الزهد الكبير

(محذوف الأسانيد)

للإمام الجليل أبي بكر علي بن الحسين
البيهقي (٤٥٨ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هذَّبه، وضبط نصَّه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه

أبو شعيب

طارق بن عبدالواحد بن عليٍّ

ـ عفا اللَّه عنه برحمته وإحسانه ـ

(الطبعة الثانية مصححة ومزيدة)

دار الحجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمةُ مهذِّبِ الكتاب

ـ عفا اللَّهُ عنه ـ

إن الحمدَ للَّهِ نحمده ونستعينُه ونستغفره، ونعوذ باللَّهِ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالِنا، من يهده اللَّهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له.

وأشهد ألَّا إلٰه إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن حبيبنا محمدًا عبدُه ورسوله، صلىٰ اللَّهُ عليه وعلىٰ آله وصحابته والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ اللَّه تعالىٰ، وأحسنَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

أما بعد:

فهٰذا ـ أحبابي ـ كتاب: «الزهد الكبير» للإمام العلم أحمد بن الحسين البيهقي ـ عليه رحمة اللَّه ورضوانه ـ، وضعتُه بين أيديكم عسلًا مصفًّىٰ؛ بعد أن حذفتُ منه الأسانيدَ والمكررات، مُبقيًا علىٰ جميع الفوائد الأخرىٰ، حتىٰ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، جريًا علىٰ منهجي الذي أتَّبعُه في تهذيب كتب أئمة الإسلام رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، حتىٰ يعرفَ المسلم ـ عامةً ـ، وطالبُ العلم ـ خاصةً ـ ما ثبت ممَّا لم يثبت، فيسير في حياته علىٰ بصيرة، ويتعلق بالثابت، ويَحذَر ويُحذِّر من خلافه.

وكما ذكرتُ في موضعٍ آخر، فإن «فقه تهذيب القلوب» من أهم العلوم في ديننا العظيم، ذٰلكم أنَّ القلب هو محلُّ نظر الرب ﷻ، وبصلاحه يصلحُ كل شيء، وبفسادِه يضيع كلُّ شيء. وقد نظرتُ في هٰذا الكتاب العظيم «الزهد الكبير»، فوجدتُه يحتوي علىٰ نفائسَ ودُررٍ لا تقدَّر بثمن؛ من كلام ربِّنا ﷻ، وأحاديث نبينا ﷺ، وأقوال سلفنا ﵃، وتعجبتُ أنه لم يأخذ العناية اللائقة به في دُور النشر إلَّا قليلًا ـ بل قليلًا جدًّا ـ؛ فإنك إذا قلَّبت ناظريك في رفوف المكتبات، قلَّ أن تقع عيناك علىٰ هٰذا الكتاب القيم، ولا أدري من أي جهةٍ وقع الخلل تُجاه هٰذه الكتب المباركة التي يَعزُّ وجود مثلها في هٰذا الزمان.

وكطالب علمٍ محبٍّ لديني، وعاشق لتقريب تُراث السلف الصالح لإخواني وأحبابي، ارتأيتُ أن هٰذا الكتاب النفيس بحاجةٍ إلىٰ أن يقدَّم بصورة «تربوية» قريبة، يكون الهدفُ منها لفتَ الأنظار إلىٰ «المعاني الدفينة» وراء أقوال السلف الصالح ﵃، فإنَّه بفهم المعاني ينصلح السلوك، وتطهُر القلوب بإذن علام الغيوب، وكم من كلامٍ نفيس فريد ـ وعلىٰ رأسه كلامُ رب العالمين ﷻ ـ، قلَّ تأثيره علىٰ القلوب لأن قارئه وسامعه لم

يفهم منه المقصود بالصورة المطلوبة، وبمجرد ما تنفتحُ المغاليق، وتنكشف الأسرار، يتعجب المرء من تلك المعاني العظيمة المختفية وراء سُتور الألفاظ، ومن ثَمَّ تؤثر في قلب من شاء اللَّهُ تعالىٰ من عباده تأثيرًا كبيرًا.

ومن هنا فإنني أرىٰ ـ كما أوضحتُ في موضع آخر ـ أن وجودَ الأسانيد مع هٰذا «المنهج التربوي» الذي أريد تقديمه، لا يعود علينا بكبير فائدة؛ لأن الأسانيد في هٰذا الباب ـ باب الآداب والرقاق ـ هي حِليةٌ وليست أصلًا ـ كما نصَّ علىٰ ذٰلك جهابذةُ المحدِّثين[(١)] ـ، وقد جرت سُنةُ سلفنا الصالح من فقهاءَ ومحدِّثين ومفسرين وغيرهم بالاستدلال بأقوال السلف الصالح مجردةً من الأسانيد في هٰذا الباب الشريف خاصةً ـ باب الرقاق ـ؛ اللهم إلَّا في جوانبَ معدودة ممَّا تقوم عليه الأصول ـ كالعقيدة وقواعد الحديث ونحو ذٰلك ـ، أما في أبواب التَّربية، فكتبهم ﵃ مشحونةٌ بما بينته، فتراهم يذكرون الحكمة من أقوال السلف، غير ملتفتين بالمرَّة إلىٰ ثبوتِها من عدمه؛ لأن المراد من هٰذا الباب هو تهذيبُ القلب وتطهير النفس، والحكمةُ ضالة المؤمن ـ سواءٌ ثبتت عن قائلها أم لم تثبت ـ، إذ المقصود الأصلي هو الانتفاع بها، والاسترشاد بمدلولها. نفعنا اللَّهُ تعالىٰ بعلوم سلفنا، ولا حرمنا بركة الاقتداء بهم.

ومن هنا يمكنني تلخيص عملي القليل في النقاط التالية:

١ ـ حذفُ الأسانيد والمكررات من الكتاب، والإبقاءُ علىٰ جميع الفوائد الأخرىٰ.

---

(١) انظر ـ علىٰ سبيل المثال ـ: «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب ؒ، تحت عنوان: «ما لا يفتقر كَتْبُهُ إلىٰ الإسناد»، وقد صدر ـ بحمده تعالىٰ ـ بتهذيبي عن دار ابن الجوزي بالدمام.

٢ ـ تخريج الأحاديث النبوية الشريفة تخريجًا وسطًا، مع الاهتمام الشديد بذكر درجة الحديث ـ صحةً وضعفًا ـ استرشادًا بأقوال علماء الحديث رضي الله عنهم قديمًا وحديثًا(١).

٣ ـ ضبطت نصَّ الكتاب بالشكل ضبطًا معتدلًا؛ لمعرفة المشكل، وإعانةً للقارئ الكريم علىٰ الاسترسال في القراءة دون تعثُّر.

٤ ـ أحيانًا قليلةً أضع كلمةً بين حاصرتين [ ] إتمامًا لمعنىٰ الأثر.

٥ ـ صححت بعض التحريفات الموجودة في المطبوعتين.

٦ ـ بينتُ المعاني الغامضة للكلمات والعبارات قدرَ طاقتي، وكان هٰذا من أهم مقاصدي في هٰذا التهذيب ـ كما سلف أن أشرت ـ.

٧ ـ استفدت من طبعتين وقفت عليهما لهٰذا الكتاب:

الأولىٰ: طبعة دار الجنان، بتحقيق الأستاذ ماهر أحمد حيدر.

الثانية: طبعة دار البصيرة، بتحقيق الأستاذ نبيل بن صلاح سليم.

٨ ـ صنعتُ فهرسين للكتاب:

ـ أحدهما للأحاديث النبوية.

ـ والآخر لفصول الكتاب الخمسة.

٩ ـ وضعتُ مقدمةً فيها بيان الهدف من وضع هٰذا التهذيب.

١٠ ـ وضعتُ ترجمةً مختصرةً للإمام البيهقي رحمه الله.

وختامًا: فما كان من توفيق ـ في أي عملٍ من أعمالي ـ، فهو من مِنَّةِ

---

(١) ولئن كنت ذكرتُ أن باب الآداب والرقائق لا نحتاج معه ـ غالبًا ـ إلىٰ معرفة الصحة من عدمها؛ إلَّا أن هٰذا الأمر لا يسري ـ من قريب أو بعيد ـ مع كلام رسول رب العالمين ﷺ؛ فإن كلامه في أي باب شرعٌ متبع، فلزامٌ علينا معرفة ما ثبت عنه ﷺ ممَّا لم يثبت.

أرحم الراحمين علىٰ من لا يستحق شيئًا، وإنما هو جُوده وكرمُه وفضلُه وإحسانه، ونعوذ باللَّهِ أن نكون مستدرَجين بالنِّعم من حيث لا ندري، راجين من فضله العفوَ عما هو أعلم به ﷻ.

كما أسأله سبحانه ـ برحمته التي وسعت كلَّ شيءٍ ـ أن يجعل هٰذا العمل ـ وكافةَ أعمالي ـ صالحةً خالصةً لوجهه الكريم، نافعةً لي في دنياي وقبري ويوم القدوم عليه، وأن يتقبلها مني بقبولٍ حسن، وألَّا يكون سوءُ عملي سببًا في حبوط أجري، وضياع سعيي.

وآخرُ دعوانا أن الحمد للَّهِ رب العالمين، وصلىٰ اللَّهُ وسلم وبارك علىٰ الحبيب محمد، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين[1].

وكتبه



طارق بن عبدالواحد بن علي

ـ عفا اللَّهُ عنه برحمته ـ

جمهورية مصر العربية

هاتف (٠١١١١٣٨٥٣٩٥)



(١) هٰذه هي المقدمة التي ذكرتُها في الطبعة الأولىٰ، ولم أزد عليها شيئًا في هٰذه الطبعة الجديدة، إذ لم أر حاجةً إلىٰ زيادة، باستثناء التنويه علىٰ أنني عالجتُ الأخطاء التي وقعت في الطبعة الأولىٰ، مع تعديلاتٍ لا بأس بها في تخريج الأحاديث النبوية، وحذف أو زيادة بعض التعليقات. تقبَّل اللَّهُ منا ومنكم.

ترجمةٌ مختصرةٌ للإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]

هو الحافظ العلَّامة، الثبت، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِرْدي[٢]، الخُراساني.

و«بَيْهق»: عدة قرًىٰ من أعمال نيسابور علىٰ يومين منها.

وُلد في سنة أربع وثمانين وثلاثِمئةٍ في شعبان، وسمع وهو ابن خمس عشرة سنة من أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي؛ صاحب أبي حامد بن الشرقي ـ وهو أقدم شيخ عنده ـ، وفاته السماع من أبي نعيم الإسفراييني؛ صاحب أبي عوانة، ورَوىٰ عنه بالإجازة في البيوع. وسمع من: الحاكم أبي عبداللَّه الحافظ، فأكثر جدًّا، وتخرج به، ومن أبي طاهر بن محمش الفقيه، وعبداللَّه بن يوسف الأصبهاني، وأبي علي الرُّوذباري، وأبي عبدالرَّحمٰن السُّلمي، وأبي بكر بن فُورك ـ المتكلم[٣] ـ، وحمزة بن عبدالعزيز المُهلَّبي، والقاضي أبي بكر الحيري... وخلق سواهم.

وبُورك له في علمه، وصنف التصانيف النافعة، ولم يكن عنده «سنن النسائي»، ولا «سنن ابن ماجه»، ولا «جامع أبي عيسىٰ»! بلىٰ عنده عن

---

(١) اكتفيتُ ببعض التَّرجمة التي أوردها الإمام الذهبي في كتابه: «سير أعلام النبلاء» (١٨/١٦٣ ـ ١٧٠)، والحاشية القادمة ـ فقط ـ منه، وما بعدها مني.

(٢) نسبة إلىٰ قرية «خُسرَوجرد» من ناحية «بيهق».

(٣) وهو المنسوب إلىٰ علم الكلام المبتدع الذي حذر منه أئمةُ أهل السُّنة والجماعة ـ كما جمعت أقوالهم في مقدمتي لـ«إحياء علوم الدين» ـ، وقد كان الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أيضًا ـ أشعري المذهب ـ مع بالغ الأسف ـ في عدة مسائل، فللَّه الأمر من قبلُ ومن بعدُ.

الحاكم وقرُ بعير أو نحو ذٰلك، وعنده «سنن أبي داود» عاليًا.

وتفقه علىٰ ناصر العمري وغيره، وانقطع بقريته مقبلًا علىٰ الجمع والتأليف، فعمل «السنن الكبير» في عشر مجلدات، ليس لأحد مثله، وألف كتاب «السنن والآثار» في أربع مجلدات، وكتاب «الأسماء والصفات» في مجلدتين، وكتاب «المعتقد» مجلد، وكتاب «البعث» مجلد، وكتاب «الترغيب والترهيب» مجلد، وكتاب «الدعوات» مجلد، وكتاب «الزهد» مجلد، وكتاب «الخلافيات» ثلاث مجلدات، وكتاب «نصوص الشافعي» مجلدان، وكتاب «دلائل النبوة» أربع مجلدات، وكتاب «السنن الصغير» مجلد ضخم، وكتاب «شعب الإيمان» مجلدان، وكتاب «المدخل إلىٰ السنن» مجلد، وكتاب «الآداب» مجلد، وكتاب «فضائل الأوقات» مجيليد، وكتاب «الأربعين الكبرىٰ» مجيليد، وكتاب «الأربعين الصغرىٰ»، وكتاب «الرؤية» جزء، وكتاب «الإسراء»، وكتاب «مناقب الشافعي» مجلد، وكتاب «مناقب أحمد» مجلد، وكتاب «فضائل الصحابة» مجلد، وأشياء لا يحضرُني ذكرها.

قال الحافظ عبدالغافر بن إسماعيل في «تاريخه»: كان البيهقي علىٰ سيرة العلماء، قانعًا باليسير، متجمِّلًا في زهده وورعه.

وقال ـ أيضًا ـ: هو أبو بكر الفقيه، الحافظ الأصولي، الديِّن الورع، واحد زمانه في الحفظ، وفردُ أقرانه في الإتقان والضبط، من كبار أصحاب الحاكم، ويزيد علىٰ الحاكم بأنواع من العلوم، كتب الحديث، وحفظه من صباه، وتفقَّه وبرع، وأخذ فن الأصول، وارتحل إلىٰ العراق والجبال والحجاز، ثم صنف، وتواليفه تقارب ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد. جَمَع بين علم الحديث والفقه، وبيان علل الحديث، ووجه الجمع بين الأحاديث. طلب منه الأئمة الانتقالَ من بيهق إلىٰ نيسابور، لسماع الكتب، فأتىٰ في سنة إحدىٰ وأربعين وأربعِمِئة، وعقدوا له المجلس لسماع كتاب

«المعرفة» وحضره الأئمة.

قال شيخ القضاة أبو علي إسماعيل بن البيهقي: حدثنا أبي قال: حين ابتدأتُ بتصنيف هٰذا الكتاب ـ يعني «المعرفة في السنن والآثار» ـ، وفرغت من تهذيب أجزاء منه، سمعت الفقيه محمد بن أحمد ـ وهو من صالحي أصحابي وأكثرهم تلاوةً وأصدقهم لهجةً ـ يقول: رأيت الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في النوم، وبيده أجزاءُ من هٰذا الكتاب وهو يقول: قد كتبت اليوم من كتاب الفقيه أحمد سبعة أجزاء ـ أو قال: قرأتُها ـ. ورآه يعتد بذٰلك.

قال: وفي صباح ذٰلك اليوم رأىٰ فقيهٌ آخر من إخواني الشافعيَّ قاعدًا في الجامع علىٰ سرير وهو يقول: قد استفدتُ اليوم من كتاب الفقيه حديث كذا وكذا.

وأخبرنا أبي قال: سمعت الفقيه أبا محمد الحسن بن أحمد السَّمرقندي الحافظ يقول: سمعت الفقيه محمد بن عبدالعزيز المروزي يقول: رأيت في المنام كأنَّ تابوتًا علا في السماء يعلوه نور، فقلت: ما هٰذا؟ قال: هٰذه تصنيفات أحمد البيهقي.

ثم قال شيخ القضاة: سمعت الحكاياتِ الثلاثةَ من الثلاثة المذكورين.

قلت[1]: هٰذه رؤيا حق، فتصانيف البيهقي عظيمةُ القدر، غزيرة الفوائد، قلَّ من جوَّد تواليفه مثل الإمام أبي بكر، فينبغي للعالم أن يعتني بهٰؤلاء سيما «سننه الكبير».

وقد قدم قبل موته بسنة أو أكثر إلىٰ نيسابور، وتكاثر عليه الطلبة، وسمعوا منه كتبه، وجُلبت إلىٰ العراق والشام والنواحي، واعتنىٰ بها الحافظ أبو القاسم الدمشقي، وسمعها من أصحاب البيهقي، ونقلها إلىٰ دمشق هو وأبو الحسن المرادي.

(١) أي: الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وبلغنا عن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني قال: ما من فقيهٍ شافعيٍّ إلا وللشافعيِّ عليه مِنَّةٌ إلا أبا بكر البيهقي، فإن المنةَ له علىٰ الشافعي لتصانيفه في نُصرة مذهبه.

قلت: أصاب أبو المعالي، هٰكذا هو، ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبًا يجتهد فيه؛ لكان قادرًا علىٰ ذٰلك، لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف، ولهٰذا تراه يلوِّح بنصر مسائلَ مما صح فيها الحديث.

ولما سمعوا منه ما أحبُّوا في قَدْمته الأخيرة، مرض، وحضرت المنيَّة، فتُوفِّي في عاشر شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة ثمان وخمسين وأربع مِئة، فغُسل وكفن، وعُمل له تابوت، فنقل ودُفن ببيهق؛ وهي ناحية قصبتها خُسْرَوجرد، هي مَحتِدُه[1]، وهي علىٰ يومين من نيسابور، وعاش أربعًا وسبعين سنة[2].

رحم اللَّهُ إمامنا البيهقي، وأسكنه فسيح جناته، وتجاوز عن زلَّاته، ونوَّله مرادَه في الدرجات العلىٰ من دار كرامته، آمين آمين آمين.



(١) **المحتد**: الأصل.

(٢) حتىٰ هنا انتهىٰ النقل من «سير أعلام النبلاء».

مقدِّمة الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الحمد للَّهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ علىٰ رسوله محمد وآله أجمعين.

أما بعد:

فقد ذكرتُ في كتاب «الجامع»[(١)] ـ في باب الزهد ـ بعض ما حضرني من الأخبار والآثار في الزهد وقصر الأمل، وذكرتُ في كتاب «دلائل النبوة» وغيره كيف كان عيش النبي ﷺ في الدنيا، ووجدتُ أقاويلَ السلف والخَلَف رضي الله عنهم في فضيلة الزهد وكيفيته في قِصَر الأمل والمبادرة بالعمل كثيرةً، فذكرتُ في هٰذه الأجزاءِ ما حضرني من ذٰلك؛ مستعينًا باللَّهِ فيه وفي جميع أموري، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ [الأنفال].



(١) يعني «الجامع لشعب الإيمان».

الفصل الأول

بيانُ الزهد وأنواعه، ومَن هو الجدير باسم «الزاهد»

الفصل الأول

بيانُ الزهد وأنواعه، ومن هو الجدير باسم «الزاهد»

١ ـ عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**نِعمتانِ مغبونٌ**[(١)] **فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغ**»[(٢)].

٢ ـ وقال بعضهم: «الزُّهدُ: ألَّا يسكنَ قلبُك إلىٰ موجودٍ في الدنيا، ولا يَرغبَ في مفقودٍ منها[(٣)]. ثم تلا قول اللَّه ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد]».

٣ ـ وقال أحمد بن أبي الحَوَاري: «قلت لأبي موسىٰ الدَّيْبُلِيِّ[(٤)]: «ما الزهدُ في الدنيا؟ قال: لا تأسَ[(٥)] علىٰ ما فاتك منها، ولا تفرحْ بما أتاك منها»[(٦)].

٤ ـ وقال أبو سليمانَ [الداراني]: «الزاهدُ حقًّا لا يذُمُّ الدنيا، ولا يمدحُها، ولا ينظرُ إليها، ولا يفرحُ بها إذا أقبلت، ولا يحزنُ عليها إذا أدبرت».

---

(١) **المغبون**: المخدوع.

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢).

(٣) أي: لا تطمع فيما ليس عندك.

(٤) نسبةً إلىٰ «دَيبُل»، مدينة علىٰ ساحل البحر الهندي قريبة من السند. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/١٢٧).

(٥) **تأس**: تحزن.

(٦) لأن كل نعيمٍ في الدنيا زائل؛ فإما أن يتركه العبد، وإما أن يترك هو العبد.

٥ ـ وقال ذو النون: «أرغبُ الناس في الدنيا، وأخفاهم لها طلبًا: أكثرُهم لها ذمًّا عند طُلَّابها، ولا سيَّما إذا كان ذمُّه للدنيا حُرقةً بها[١]!».

٦ ـ وقال: «ما رَجع مَن رجع إلَّا من الطريق[٢]؛ ولو وصلوا إلىٰ اللَّهِ ما رجعوا، فازهَدْ ـ يا أخي ـ ترَ العجب»[٣].

٧ ـ وقال بلالُ بن سعد: «عبادَ الرَّحمٰن، أمَّا ما وكَّلَكم اللَّهُ به[٤] فتُضيِّعون، وأما ما تكفَّل اللَّهُ لكم به[٥] فتطلُبون[٦]! ما هٰكذا نَعَتَ اللَّهُ عباده المؤمنين، أذوو عقولٍ في طلب الدنيا، وبَلَهٍ[٧] عما خُلقتم له؟! فكما تَرجُون اللَّهَ بما تؤدُّون من طاعته، فكذٰلك أشفِقوا من عقاب اللَّه بما تنتهكون من معاصي اللَّه».

٨ ـ وقال عامرُ بن عبدِ قَيس: «العيشُ في أربع: اللباس، والطعام، والنوم، والنساء؛ فأما النساء: فواللَّهِ ما أُبالي امرأةً رأيتُ أو جدارًا[٨]، وأما اللباسُ: فواللَّه ما أُبالي ما واريتُ به عورتي، وأما الطعامُ والنومُ: فقد غلباني، واللَّهِ لأُضارُّ بهما جَهدي[٩]، [ولأجعلن الهمَّ هَمًّا واحدًا][١٠]».

---

(١) يقصد أن أكثر الناس تعلُّقًا بالدنيا هو الذي يذمُّها كثيرًا عند طلَّابها؛ لأنه لا يقدر علىٰ تحصيلها مثلهم، ولولا تعلق قلبِه بها لما ذمها أصلًا. كذا يقصد.

(٢) أي: أثناء السير إلىٰ اللَّه ﷻ.

(٣) هٰذا الكلام كان أثرين فدمجتُهما لاتصال الآخِر بالأول.

(٤) يعني: دينه.

(٥) يعني: الرزق.

(٦) يعني طلب حرص وجشع.

(٧) **البَلَه**: الحمق. ويصح أن تضبط: «وبُلهٌ».

(٨) يقصد أنه لا يتأثر برؤية النساء.

(٩) أي: سأعمل جاهدًا علىٰ الإقلال منهما قدر طاقتي.

(١٠) ما بين الحاصرتين من رواية أخرىٰ حذفتها للتكرار.

قال الحسنُ [البصري]: «فأضرَّ ـ واللَّهِ ـ بهما».

وفي لفظٍ آخر: «ففعل وربِّ الكعبة».

قال أبو سعيد بنُ الأعرابي: «وهٰذا ـ علىٰ ما قيل في الزهد ـ: أن يكون الهمُّ هَمًّا واحدًا للَّه ﷻ وحده، ليس ذكرَ دنيا ولا آخرة، وهو غايةُ الزهد، وهو خروجُ قَدْرِ الدنيا من قلبه فيزهدُ فيها[(١)]، وخروجُ قدْرِ غيرها فيرغب فيها إذا كانت دون اللَّه ﷻ[(٢)]، هٰذا لمن كان اللَّهُ هَمَّه وحده خالصًا».

٩ ـ وقال منصور: «سألتُ سعيدَ بن جُبير عن هٰذه الآية: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥﴾ [هود]، قال: «هو الرجلُ يعملُ العملَ للدنيا لا يريد به اللَّهَ، فيُوفِّيهِ اللَّهُ عملَه في الدنيا، وهي مثلُ الآية التي في «الروم»: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]».

١٠ ـ وكان الحسنُ كثيرًا ما يقول: «يا معشرَ الشباب، عليكم بالآخرة فاطلبوها؛ فكثيرًا رأينا مَن طلب الآخرة فأدرَكَها مع الدنيا، وما رأينا أحدًا طلب الدنيا فأدرَك الآخرةَ مع الدنيا».

١١ ـ وكان يقول: «رَحِم اللَّهُ عبدًا جَعل العيشَ عيشًا واحدًا، فأكَل كِسرةً، ولَبِس خَلِقًا[(٣)]، ولَزِق بالأرض[(٤)]، واجتهد في العبادة، وبكىٰ علىٰ الخطيئة، وهَرب من العقوبة ابتغاءَ الرحمة، حتىٰ يأتيَه أجلُه وهو علىٰ ذٰلك».

١٢ ـ وقال أبو حازم: «أوحىٰ اللَّهُ ﷻ إلىٰ الدنيا: مَن خَدَمَكِ فأتعِبيه،

---

(١) في المطبوع: «أن يزهد»، ولعل الصواب ما أثبتُّه.

(٢) أي: إذا منعته من القرب من ربِّه ﷻ. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) الخَلِق: القديم.

(٤) أي: تواضع واكتفىٰ بالقليل.

ومَن خدمني فاخدُميه[١]».

١٣ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَن جعل الهُموم همًّا واحدًا، كفاه اللَّهُ دنياه وآخرتَه، ومَن تشعَّبت به الهمومُ لم يُبالِ اللَّهُ في أيِّ أودية [الدنيا] هلك**».

وفي رواية: «[**مَن جَعل الهُمومَ همًّا واحدًا**]، **كفاه اللَّهُ ما هَمَّه مِن أمر الدنيا والآخرة**»[٢].

١٤ ـ وقال سعيدُ بن إسماعيل الواعظ: «مَن لـم يكـن اللَّهُ في كلِّ المعاني هَمَّه[٣]، كان منقوصًا منَ اللَّه في كل المعاني حظُّه، فاللَّهُ منتهىٰ هِمَّةِ الهموم، فمَن كان اللَّهُ هَمَّه في كلِّ المعاني؛ لم يكن له سكونٌ ولا قرارٌ إلا إلىٰ اللَّه؛ وذٰلك أن اللَّهَ عز وجل لا مِثلَ له فيُسكَنَ إليه، وليس فوقه شيءٌ ليُنتهىٰ منه إليه، ولذٰلك لا يحسُنُ السكونُ إلَّا إليه».

١٥ ـ وقال أبو بكر بن عيَّاش: «مَن عظَّم صاحب دنيا، فقد أحدث حدثًا في الإسلام»[٤].

---

(١) أفاد الشيخ عامر ياسين ـ أثابه اللَّهُ تعالىٰ ـ في تعليقه علىٰ «صيد الخاطر» (فصل: ١٩) أن استخدام لفظ «الخدمة» ـ والمقصود بها طاعةُ اللَّهِ عز وجل ـ غير مستساغ، وأن فيه نظرًا ـ شرعًا وعقلًا ـ، لا سيما وأنه لم يأتِ به دليلٌ شرعيٌّ.
قلت: وكلامُه ـ أثابه اللَّهُ ـ سديدٌ؛ إذ الأولىٰ الوقوف عند الألفاظ الشرعية.

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٢/٤٤٣) و(٤/٣٢٩)، وابـن أبي عاصم في «الزهد» (١٦٦)، والبيهقي في «الآداب» (٨٠٤)، و«الشعب» (٩٨٥٧)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٧٩١)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سنن ابن ماجه» (١/١٧٣)، والشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٧٠).

(٣) أي: من لم يكن إرضاء اللَّهِ همَّه في كل خطواته في الحياة.

(٤) **الحَدَث**: البدعة. وإنما قصد أنه فعل شيئًا ما كان يُعرف في العصور الأولىٰ؛ لأن ميزان التعظيم في تلك العصور كان بالدين؛ وليس بالدنيا.

١٦ ـ وقال إبراهيمُ بن فاتك: «سُئل الجُنيدُ عن الزهد، فقال: خُلوُّ الأيدي من الأموال، والقلبِ من التتبُّع[(١)]».

١٧ ـ وسأل رُويمٌ الجُنيدَ عن الزهد، فقال: «استصغارُ الدنيا، ومحوُ آثارِها من القلب».

١٨ ـ وقال أبو سليمان الداراني لأبي صفوان: «أيُّ شيءٍ أولُ حدودِ الزهد؟ فقال أبو صفوان: استصغارُ الدنيا. فقال له أبو سليمان: إذا كان هٰذا أوَّلَه، فأي شيءٍ يكون أوسطَه، وأيُّ شيءٍ يكون آخرَه؟ فقال أبو صفوان: إنْ زَهِد في شيءٍ من الدنيا، لم تَتْبَعْهُ بعدُ نفسُه[(٢)]، فإذا بلغ الغايةَ استصغر الدنيا»[(٣)].

١٩ ـ وعن ابن الأعرابي قال: «سمعت جماعةً ـ ممَّن ينتسبُ إلىٰ علم ذٰلك[(٤)]ـ يقولون: أولُ الزهد: إخراجُ قَدْرِها من القلب، وآخِرُه خروجُ قدْرِها[(٥)] حتىٰ لا يقومَ لها في القلب قَدْرٌ، ولا يخطُرُ بباله رغبةٌ فيها، ولا زهدٌ فيها؛ لأن الرغبةَ والزهد لا يكونانِ إلا فيما قام قدْرُه في القلب».

٢٠ ـ وسُئل محمد بن الفضل عن الزهد، فقال: «النظرُ إلىٰ الدنيا بعين النقص، والإعراضُ عنها تعزُّزًا وتظرُّفًا[(٦)]، فمن استحسن من الدنيا

---

(١) أي: تتبُّع نعيم الدنيا والجري وراءه. واللَّهُ أعلم.

(٢) أي: لم تطمع فيه.

(٣) وظاهر هٰذا: أن بداية الزهد ونهايته: استصغار الدنيا. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٤) يعني إلىٰ علم الزهد والسلوك.

(٥) فالإخراجُ الأولُ إخراجٌ بكلفةٍ ومشقةٍ ومجاهدة، والثاني: أن يَخرج قدرُها بيُسرٍ بعد أن يكون القلبُ قد توطَّن علىٰ هٰذا بالمجاهدة الأولىٰ، فالحال هنا مثل المتحلِّم والحليم، والمتصبر والصابر؛ يجاهد أولًا، ثم يصير الحلم والصبر طبعًا لا يحتاج استدعاءً، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٦) **تعزُّزًا**: ترفُّعًا. **تظرُّفًا**: عقلًا وكياسةً.

شيئًا فقد نَبَّه عن قدْرِها[١]».

٢١ ـ وقال يحيىٰ بنُ معاذٍ الرازيُّ: «الزاهد حقًّا: مَن يخلو قلبُه عن المُرادات[٢]؛ كما تخلو يدُه من الأسباب[٣]».

٢٢ ـ وقال الحسنِ بن حَمَّاد: «سمعتُ أبي يقول: دخلتُ البصرة، فسألت مَرْحومًا[٤] العطار: هل بَقِيَ مِن جُلساء الحسن أحد؟ فقال: بقي شيخٌ. فأتيته، فقلت له: رحِمك اللَّه، إن رأيتَ أن تحدِّثني ببعضِ كلام الحسن فأتعظَ به! فقال: كان الحسنُ كثيرًا يقول في كلامه: يا ابن آدم، نُطفةٌ بالأمس، وجيفةٌ غدًا، والبِلَىٰ[٥] فيما بين ذٰلك يَمسحُ جَبينَك، كأنَّ الأمرَ يُعنىٰ به غيرُك[٦]! إنَّ الصحيحَ مَن لم تُمرِضْه الذنوب، وإن الطاهرَ مَن لم تُنجِّسْه الخطايا، وإن أكثرَكم ذِكرًا للآخرة أنساكم للدنيا، وإنَّ أنسىٰ الناسِ للآخرة أكثرُهم ذكرًا للدنيا، وإن أهل العبادة مَن أمسك نفسَه عن الشر[٧]، وإن البصير مَن أبصر الحرام فلم يَقرَبْه، وإن العاقلَ مَن يذكرُ يوم القيامة، ولم يَنسَ الحساب».

٢٣ ـ وقال ابنُ السَّمَّاك: «بلغني أن عمر بن عبدالعزيز كَتب إلىٰ الحسن البصري: أن عِظْني وأوجز. فكتب إليه الحسن: أما بعد، فإن

---

(١) أي: من استحسن منها شيئًا فقد بيَّن أن لها قيمةً في قلبه.
(٢) **المُرادات**: الرغبات.
(٣) الأخذ بالأسباب من صميم الدين، والأصح أن يقال: «خلوُّ القلب عن الركون إلىٰ الأسباب». والعلمُ عند رب الأرباب.
(٤) **مرحوم**: اسم رجل.
(٥) **البِلَىٰ**: الموت.
(٦) أي: كأن الموت لن يأتيك، وسيأتي غيرك!
(٧) لأن المعاصي تضعف القلب عن العبادات؛ فمن تمادىٰ في العصيان لن يكون عابدًا. أو يكون المعنىٰ: أن العابد حقًّا لا يؤذي أحدًا. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

الدنيا مَشغَلَةٌ للقلب والبدَن، وإنَّ الزهد راحةٌ للقلب والبدن، وإن اللَّهَ سائلُنا عن الذي نَعَّمَنا في حلاله، فكيف بما نعَّمنا في حرامه؟».

٢٤ ـ وقال محمد بن معاوية الأزرق: «كتب عمرُ بن عبدالعزيز إلىٰ الحسن: عِظني وأوجِزْ، فكتب إليه: إنَّ رأس ما هو مُصلِحُك ومُصلَحٌ به علىٰ يديك: الزهدُ في الدنيا، وإنما الزهدُ باليقين، واليقينُ بالتفكر، والتفكرُ بالاعتبار، فإذا أنت فكرتَ في الدنيا لم تجِدْها أهلًا أن تُتبِعَ بها نفسَك، ووجدتَ نفسَك أهلًا أن تكرمَها بهوانِ الدنيا؛ فإن الدنيا دارُ بلاء، ومنزلُ قُلْعة[1]».

٢٥ ـ وقال الحسن: «واللَّهِ لقد أدركتُ أقوامًا؛ إن كان أحدُهم لتكونُ به الحاجةُ الشديدة، وإلىٰ جَنْبه المالُ الحلال؛ لا يأتيه فيأخذُ منه، فيقال له: رحِمك اللَّه، ألَا تأتي هٰذا فتستعينَ به علىٰ ما أنت فيه؟ فيقول: لا واللَّهِ، إني أخشىٰ أن يكون فسادَ قلبي وعملي»[2].

٢٦ ـ وقال داودُ بنُ نُصير: «أبت الدنيا أن تجريَ إلا بالاختلاط»[3].

٢٧ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم: «الزهدُ ثلاثةُ أصناف: فزهدٌ فرض، وزهدٌ فضل، وزهدٌ سلامة، فالزهدُ الفرض: الزهدُ في الحرام، والزهد الفضل: الزهدُ في الحلال[4]، والزهدُ السلامة: ....

---

(١) أي: مفارَقة.

(٢) ترك الحلال مشروع إذا أدَّىٰ إلىٰ مكروهٌ أو محرَّم، وبخلاف ذٰلك لا يُشرع تركُه؛ إذ ليس من هدي النبي ﷺ. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) أي: لابد لمن نال منها الكثير أن يقع في بعض المحاذير، وهٰذا حقٌّ.

(٤) هذا إذا لم يكن معينًا علىٰ الآخرة والقرب من اللَّهِ تعالىٰ، وإلا فقد ثبت الحديث: «**نعمَ المالُ الصالح للرجلِ الصالح**» [صحيح]، وقد كرر الإمام ابن الجوزي رحمه الله هٰذا المعنىٰ، وأهمية أن يكون لطالب الآخرة مالٌ يكفُّ به وجهه عن سؤال الناس في كتابه الرائق «صيد الخاطر»، وقد صدر ـ بحمد اللَّه تعالىٰ =

الزهدُ في الشبهات[١]».

٢٨ ـ وقال أبو حفص: «الزهدُ في الحرام فريضة، وفي المباح فضيلة، وفي الحلال قُربة[٢]».

٢٩ ـ وقال المسيَّب: «سألتُ يوسفَ بن أسباط عن الزهد؛ ما هو؟ قال: أن تزهدَ فيما أحلَّ اللَّه، فأما ما حرَّم اللَّهُ فإن ارتكبته عذَّبك اللَّه».

يعني: أن ترْكَه فرض.

٣٠ ـ وقال السَّرِيُّ [السَّقَطي]: «خَمْسٌ من أخلاق الزهاد: الشكرُ علىٰ الحلال، والصبرُ عن الحرام، ولا يُبالي متىٰ مات، ولا يُبالي مَن أكل الدنيا[٣]، ويكون الفقرُ والغِنىٰ عنده سواءً[٤]».

= وإحسانه ـ عن دار ابن الجوزي بالدمام بعنايتي، فانظر فهرس الموضوعات.

(١) توقِّي الشبهات مستحبٌّ ـ علىٰ الأصحِّ ـ وليس واجبًا. وانظر: «مجموع الرسائل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٤٥، ٤٦ ـ ط: عالم الفوائد)، و«الشرح الممتع» للعلامة ابن عثيمين (٦/٣٠٤ ـ ط: دار ابن الجوزي).
واستمع إلىٰ كلامٍ متين للعلامة ابن القيم؛ حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عن أقسام الزهد ـ: «الزهد أقسام: زهدٌ في الحرام، وهو فرضُ عين، وزهدٌ في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة: فإن قَوِيَتْ التحقت بالواجب، وإن ضعُفت كان مستحبًّا» إلخ. «الفوائد» (١٧٠ ـ ط: عالم الفوائد)، وانظر ـ أيضًا ـ: «الاعتصام»، للعلامة الشاطبي (١/٢٨٩ ـ ٢٩٠). وقد أفاض في بيان الشبهات وقسَّمها أقسامًا لا تخلو من بعض نظر: أبو حامد الغزَّالي في «الإحياء» (كتاب الحلال والحرام).

(٢) وهٰذا ـ أيضًا ـ إذا كان المباح والحلال يُبعدون عن اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. أما إذا كانا معينين علىٰ الآخرة، فإتيانُهما قربةٌ إلىٰ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وليس الزهد فيهما من الدين.

(٣) أي: لا يهتمُّ بمن اغتنىٰ.

(٤) لعله يقصد: أن يكون مستقيمًا في الفقر والغِنىٰ؛ فلا يجزعُ من الفقر، ولا يبطر عند الغنىٰ. أما أن تستوي حالةُ قلبه عند الفقر والغنىٰ، فلا يفرح بالغنىٰ، ولا يتألم للفقر، فهٰذا خلافُ الطبع البشري، وهاهو أزهد الخلق ﷺ كان يسأل =

٣١ ـ وقال رجلٌ للزهري: «يا أبا بكر، من الزاهد؟ قال: الذي لا يَغلِبُ الحرامُ صبرَه[(١)]، ولا يمنعُ الحلالُ شُكرَه[(٢)]».

قال ابنُ عيينة: «ما سمعتُ في الزهد قطُّ شيئًا أحسنَ من هٰذا».

٣٢ ـ وسُئل الفضيل بن عياض عن الزهد؟ فقال: «طلبُ الحلال».

٣٣ ـ وقال مَخْلَدُ بن الحسين: «الزهد في الدنيا: أخذُ الحلال».

٣٤ ـ وقال ذو النون: «ثلاثةٌ من أعلام[(٣)] الصلاح في الغِنىٰ: الزهد في الحرام تركًا له، وإخراجُ الحقوق منَ المال أداءً للفرض فيه[(٤)]، والتواضعُ لجميع الناس خوفًا من الكِبر.

وثلاثةٌ من أعلام الصلاح في الفقر: القناعةُ بالمقدور له منَ الرزق، وطلاقةُ الوجه إظهارًا للشُّكر علىٰ النِّعم، وتركُ التواضع للمكثِرِ طمعًا فيه[(٥)].

وثلاثةٌ من أعلام حبِّ الآخرة: كثرةُ البكاءِ والذكرِ لها، ودوامُ الشوق إليها، وبغضُ الدنيا من أجلها»[(٦)].

٣٥ ـ وقال أبو معاوية الأسود في قول اللَّه ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا

= ربَّه الغنىٰ، ويستعيذ به من الفقر. والعلمُ عند اللَّهِ تعالىٰ.

(١) أي: لا يضعف أمام المحرمات، فينغمس فيها، ولا يصبر علىٰ دينه.

(٢) لأن كثيرًا ممن اغتنَوا نسُوا ربَّهم ﷻ وشُكرَه في غمرة غناهم. وبعضهم طغىٰ ونسب كل ما هو فيه إلا ذكائه ودهائه. واللَّهُ العاصم من الفتن.

(٣) **أعلام**: علامات.

(٤) في المطبوع: «للغرض»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

(٥) أي: عدم الذل للأغنياء طمعًا فيما عندهم.

(٦) كل ما ورد عن السلف في ذم الدنيا والدعوة إلىٰ بغضها، فالمراد منه: ما كان مبعدًا منها عن اللَّه والدرجات العُلا، فانتبه. وانظر ـ غير مأمور ـ: تعليقي علىٰ «موعظة المؤمنين» للإمام القاسمي رحمه الله (أول باب: ذم الدنيا).

﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص:]، قال: «لا يجزعُ مِن ذُلِّها، ولا ينافسُ في عزِّها»[(١)].

٣٦ ـ وقال أبو بكر الورَّاق: «بِعتَ العِزَّ مِن شهوة العِز[(٢)]، واشتريتَ الذلَّ مخافةَ الذل[(٣)]، هٰذا جزاءُ مَن خالف ربَّه».

٣٧ ـ وقال أبو سليمان الداراني: «اختلَفوا علينا في الزهد بالعراق، فمنهم من قال: مجانبةُ الناس، ومنهم من قال: تركُ الشهوات. وقولهم قريبٌ بعضُه من بعض».

قال أحمد[(٤)]: «ومَن ترك لقاءَ الناس فهو للشهواتِ أترك»[(٥)].

٣٨ ـ وقال سفيان: «الزهدُ في الرئاسة أشدُّ من الزهد في الدنيا».

٣٩ ـ وعن أبي عبداللَّه المَغرِبيِّ قال: «مَن زهدَ في نصيبِ نفسِه من

---

(١) ليس هذا مرادًا من الآية، وقد سبق أن تغير القلب عند الفقر ـ وهو نوعٌ من ذُلِّ الدنيا ـ طبعٌ بشري.

(٢) أي: بعتَ عزَّ الدنيا والآخرة بسعيك وراء شهوة العز والمال، واللَّهُ أعلم.

(٣) أي: واشتريتَ الذل بلهثك وراء الدنيا؛ خوفًا من أن تذل للخلق.
قلت: وهٰذا الكلام فيه تفصيل، فالذي يسعىٰ وراء الدنيا لئلَّا تكون له إلىٰ المخلوقين حاجة، فهٰذا أمرٌ محمودٌ مطلوب، بخلاف من سعىٰ وراء الدنيا لمجرد الدنيا، ونسي معها لقاء ربه ودار إقامته.

(٤) هو ابن أبي الحواري؛ راوي الخبر عن أبي سليمان، وتلميذه الأثير.

(٥) لأن مخالطة الناس ـ لا سيما الأغنياء ـ تغري النفس بالتطلع لما عندهم، والسعي للحصول علىٰ مثله ـ أو أكثر منه ـ ولو كان من طرقٍ محرَّمة. وقد ورد عن عون بن عبداللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كنتُ أُجالسُ الأغنياءَ، فلا أزالُ مغمومًا؛ كنتُ أرىٰ ثوبًا أحسنَ من ثوبي، ودابةً أفرَهَ من دابتي، فجالستُ الفقراء فاسترحتُ» اهـ. «العزلة» للإمام الخطابي (رقم: ٧٨، تهذيبي ـ ط: دار ابن رجب).

الراحة[(١)]، وزهِد في العزِّ والرئاسة[(٢)]؛ كُتب اسمه في ديوان الولاية[(٣)]».

٤٠ ـ وقال أبو عمرو بنُ نُجيد: «مَن قَدَر علىٰ إسقاط جاهه عند الخلق، سهُل عليه الإعراضُ عن الدنيا وأهلها»[(٤)].

٤١ ـ وقال مالكُ بن دينار: «يقولون: مالكٌ زاهد! أيُّ زهدٍ عند مالكٍ وله جُبَّةٌ وكساء[(٥)]؟!! إنما الزاهدُ عمرُ بن عبدالعزيز؛ أتته الدنيا فاغرةً فاها[(٦)]، فتركها».

٤٢ ـ وقال إسحاق بن منصور السَّلُولي: «دخلتُ علىٰ داودَ الطائيِّ أنا وصاحبٌ لي ـ وهو علىٰ التراب ـ، فقلت لصاحبي: هٰذا رجلٌ زاهد. فقال [داود]: إنما الزاهدُ مَن قَدَر فترك»[(٧)].

٤٣ ـ وعن عون بن المعتمر[(٨)]: «أن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ دخل علىٰ فاطمة[(٩)] فقال: يا فاطمة، عندك درهمٌ أشتري به عنبًا؟ قالت: لا، قال:

---

(١) أي: أعطىٰ الجهد من نفسه في أيام عمره القصيرة.

(٢) **الرئاسة**: حب الشهرة والتصدر وكثرة الأتباع.

(٣) أي: صار من أولياء اللَّه وأحبابه.

(٤) الظاهر أن إسقاط الجاه معناه: ترك الظهور وحب الرئاسة. وليس المقصود أن يعرِّض العبدُ نفسه لمواطن الذل وإهدار كرامته أمام الخلق، فهٰذا ليس من الدين الشريف ولا العقل النظيف. واللَّهُ أعلم.

(٥) أي: ثيابٌ كاملة!!

(٦) أي: فاتحةً خزائنها.

(٧) أي: الزاهد حقًّا: من قدر أن ينال متاع الدنيا، ثم أعرض عنه باختياره، أما من لم يجد أصلًا، فهو ليس بزاهد. هٰذا ما قصده داود رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٨) في المطبوعتين: «المعمَّر»، والمثبت من «حلية الأولياء» (٥/٢٥٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/١٣٤).

(٩) زوجته.

فعندك الفُلوسُ[(١)] أشتري به عنبًا؟ قالت: لا. ثم أقبلت عليه، فقالت: أنت أمير المؤمنين؛ لا تقدرُ علىٰ درهم تشتري به عنبًا، ولا علىٰ فلوس تشتري به عنبًا؟ فقال: هٰذا أهونُ عليَّ من معالجةِ الأغلال غدًا في جهنم[(٢)]».

٤٤ ـ وقال سريٌّ السقَطيُّ لإبراهيم البناء: «يا بنَّاءُ، ليس مَن زَهِد في الدنيا تقذُّرًا مثلَ مَن زهد في الدنيا تصبُّرًا»[(٣)].

٤٥ ـ وسئل ابنُ معاذ عن الزهد، فقال: «ترك البُدِّ»[(٤)].

---

(١) **الفلوس**: لعلها الأموال قليلة القيمة مما هو أقلُّ من الدراهم. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) أي: إن أخذتُ من مالِ المسلمين بغيرِ حقٍّ! ألا رحمةُ اللَّهِ علىٰ هٰذا التقيِّ الوجل.

(٣) فالذي يزهد في الدنيا تقذُّرًا لا يشتهيها أصلًا، والذي يزهد فيها تصبُّرًا اشتهاها، واحتمل البعد عنها.

(٤) **البُد**: العِوَض. وفي المقصود عدة احتمالات:

الأول: أن تعبد ربَّك، وتطلب مرضاته، دون أن تنتظر منه عِوَضًا، وإنما إقامةً لحقِّ العبودية. وهٰذا المعنىٰ ـ وإن كان لطيفًا ـ، إلَّا أن فيه نظرًا بيِّنًا، فإن خير البرية ﷺ وصحابته الأبرار ﷺ عبدوا اللَّهَ ﷻ حقَّ عبادته راجين ثوابه وجنته ونعيمه المقيم.

الثاني: أن تُحسن إلىٰ الخلق، ولا تنتظر منهم عوضًا. وإنما تطلب الثواب من مالك الدنيا والآخرة. وهٰذا معنًىٰ صحيح.

الثالث: أن تعمل علىٰ منع نفسك حظوظها، وتحرمها من ملذَّاتِها التي قد تظنُّ هي أنه لابدَّ لها منه، احتقارًا للدنيا، ورغبةً في نعيم الآخرة. وهٰذا المعنىٰ ليس علىٰ إطلاقه، كما سلف.

الرابع: أن يكون المقصود ترك ما قد تشتهيه النفس من فضول الدنيا ـ لا من مهماتِ حياتك فيها ـ، ولعل هٰذا هو الأقرب، وسوف يأتي لاحقًا في تعريفات الزهد: أن قومًا قالوا: «ترك ما فيه بدٌّ من فضول الدنيا». واللَّهُ أعلىٰ وأعلم.

٤٦ ـ وسئل أبو عمرو الدمشقيُّ عن الزهد، فقال: «أن يزهدَ فيما له؛ مخافةَ أن يَهوَىٰ ما ليس له»[(١)].

٤٧ ـ وقال يحيىٰ بنُ معاذ: «كيف يكون زاهدًا مَن لا ورعَ له[(٢)]؟ تورَّعْ عما ليس لك، ثم ازهَدْ فيما لك».

٤٨ ـ وقال بِشرُ بن الحارث: «ليس الزهدُ في الدنيا تركَ الدنيا، إنما الزهدُ أن يَزهدَ في كل ما سوىٰ اللَّه[(٣)]، هٰذا داودُ وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قد مَلَكَا الدنيا، وكانا عند اللَّه من الزاهدين».

٤٩ ـ وسُئل الشِّبْليُّ عن الزهد، فقال: «تحويلُ القلب من الأشياء إلىٰ ربِّ الأشياء»[(٤)].

٥٠ ـ وقال الفضيلُ بن عياض: «رهبةُ العبد من اللَّه علىٰ قدْرِ عِلمِه باللَّه، وزهدُه في الدنيا علىٰ قدْرِ رغبتِه في الآخرة».

٥١ ـ وقال أبو سليمان الداراني: «ليس الزاهدُ مَن ألقىٰ غمَّ الدنيا واستراح منها، وإنما تلك راحة، وإنما الزاهدُ مَن ألقىٰ غمَّها وتَعِب فيها لآخرته».

قال أبو سعيد[(٥)]: «يقول: كما زهِد فيها يزهدُ في الراحة فيها؛ فإن الراحةَ في الدنيا مِن الدنيا ومِن نعيمها»[(٦)].

---

(١) أي: أن يزهد فيما عنده، لأنه بذٰلك لن يطمع فيما عند سواه بوجهٍ أولىٰ.

(٢) والورع عند القوم: ترك ما فيه شبهة ـ ولو قليلة ـ.

(٣) أي: لا يكون له غرض بأعماله سوىٰ وجهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فلا يحب شهرةً ولا رئاسةً ولا غير ذٰلك. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٤) أي: عدم التعلق بنعيم الدنيا ـ لو حَصَل للعبد ـ، والتعلق الدائم بالمنعِم عَزَّ وَجَلَّ.

(٥) هو أبو سعيد بن زياد ـ أحد رواة الأثر ـ.

(٦) فالمقصود: أن يتعب لآخرته ويجتهد في نيل الدرجات العُلا.

٥٢ ـ وقيل لأبي هشام ـ عبدالملك المغازلي ـ: «أيُّ شيءٍ الزهد؟ قال: قطعُ الآمال[١]، وإعطاءُ المجهود، وخَلْعُ الراحة».

٥٣ ـ وقال ذو النون: «تَجوَّعْ وتَخلَّ وتفرَّد واصْحَرْ[٢]، ترَىٰ العَجَب»[٣].

٥٤ ـ وعن يحيىٰ بن معاذٍ الرازي قال: «الزهد ثلاثةُ أشياء: القِلَّة[٤]، والخَلوة[٥]، والجوع[٦]».

٥٥ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «الزهدُ في ثلاثة: في الصبر علىٰ الضُّر، والإيثارِ علىٰ الفقر، وألَّا يطلبَ الدنيا بحال[٧]».

٥٦ ـ وقال عليُّ بن المَديني: «قيل لسفيانَ بن عيينة: ما حدُّ الزهد؟ قال: أن يكون شاكرًا في الرضا، صابرًا في البلاء، فإذا كان كذٰلك فهو

---

(١) أي: في نيل حطام الدنيا، أو العيش فيها طويلًا.

(٢) **اصحَرْ**: عش في الصحراء. والمقصود: اعتزل الناس.

(٣) لٰكن معلومٌ أن كل هٰذه الأمور لها ضوابطُ شرعية، فإذا انحرف العبدُ عنها صارت تلك «العجائب» وساوس وخُدعًا من الشياطين، كما ذكر ذٰلك ابن الجوزي في «صيد الخاطر»، وابن تيمية في «الفرقان بين أولياء الرَّحمٰن وأولياء الشيطان»، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»، وغيرهم.

(٤) **القِلة**: قلة متاع الدنيا.

(٥) إذا لم تكن المصلحة أرجح في الخلطة.

(٦) الجوع الشرعي: عدم الوصول إلىٰ حد التخمة والشبع الكثير، وليس المقصود الوصول بالبدن إلىٰ حال الضعف والهزال، فإن من فعل هٰذا، فإنه يضر ببدنه غالبًا، ولا يقوىٰ علىٰ إكمال المسير في دينه ولا دنياه. وقد أكثر الإمام ابن الجوزي من الكلام علىٰ هٰذا الأمر في عدة مواضع من «صيد الخاطر»؛ فانظر فهرس موضوعاته في طبعة دار ابن الجوزي بالدمام بعنايتي.

(٧) ليس تركُ الدنيا كليةً من هديِ النبيِّ ﷺ وصحابته الكرام، وقد سلفت إشارةٌ إلىٰ هٰذا. ولعله أراد الفضول الزائد عن المهمات.

زاهد. قيل لسفيان: ما الشكر؟ قال: أن يجتنبَ ما نهىٰ اللَّهُ عنه»[١].

٥٧ ـ وقال أبو بكر الورَّاق: «الزهدُ ثلاثةُ أحرف، أما الزاي: فتركُ الزينة[٢]، وأما الهاء: فتركُ الهوىٰ، وأما الدال: فتركُ الدنيا»[٣].

٥٨ ـ وقال السريُّ: «[إنَّ اللَّهَ][٤] سَلَب الدنيا عن أوليائه، وحَماها عن أصفيائه، وأخرجَها من قلوب أهل وِداده؛ لأنه لم يرْضها لهم».

٥٩ ـ وقال أبو سليمان: «أهلُ الزهد في الدنيا علىٰ طبقتين: فمنهم مَن يزهدُ في الدنيا، ولا يُفتح له في رَوْح الآخرة[٥]، فهو في الدنيا مُقِلٌّ، قد يَئِست نفسُه من شهوات الدنيا، ولم يُفتح له في رَوح الآخرة؛ فليس شيءٌ أحبَّ إليه من الموت؛ لما يرجو من رَوح الآخرة، ومنهم مَن زَهِد في الدنيا ويُفتح له في [رَوحِ] الآخرة، فليس شيءٌ أحبَّ إليه من البقاء للتمتُّع بذكر اللَّه ﷻ، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد]، ورغبةً في أن يَذكُرَ اللَّهَ فيذكُرَه؛ لأن الميتَ ينقطعُ عمله، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، معناه: اذكروني بطاعتي، أذكرْكم برحمتي وثوابي»[٦].

---

(١) راجع تفاصيل منزلة «الشكر» في «مدارج السالكين» للإمام ابن القيم ؒ. وما ذُكر أعلاه هو بعض صور الشكر وليس كلها.

(٢) أي: التنعُّم والتباهي.

(٣) والجامع للثلاثة: ترك كل ما يبعد عن اللَّهِ ﷻ، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٤) ما بين المعكوفتين استدركه محقق طبعة «دار الجِنان» ـ أثابه اللَّه ـ من «تاريخ دمشق».

(٥) أي: لا يشعر بدرجةٍ عاليةٍ من لذةِ الإيمان وسكينةِ القلب. واللَّهُ أعلم.

(٦) ورد عن سعيد بن جُبير ؒ قال: «الذكر طاعة اللَّه، فمن أطاع اللَّهَ فقد ذكره، ومن لم يطِعْه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن» اهـ. «سير أعلام النبلاء» (٤/٣٢٦).

٦٠ ـ وقال ذو النون: اعلَموا ـ إخواني ـ أن الناس قد تكلَّموا في الزهد بمعانٍ مختلفة:

ـ فبعضهم قال: «الزهد: تركُ حُبِّ المنزلة»(١).

ـ وقالت طائفة: «الزهد: تركُ راحةِ النفوس وسرورِها، وحسمُ علائق النفوس من جميعِ ما تستريحُ إليه»(٢).

ـ وقالت طائفة: «الزهد: تركُ كلِّ ما شَغل عن اللَّه ﷻ».

ـ وقالت طائفة: «الزهد: رفضُ الدنيا، وقِصَرُ الأمل».

ـ وقالت طائفة: «الزهد: الثقةُ باللَّه ﷻ».

ـ وقالت طائفة: «الزهد: أخذُ ما يَسُدُّ الجَوْعة، ويسترُ العَورة، ورفضُ ما سواه»(٣).

ـ وقالت طائفة: «الزهد: الإيثارُ للَّه ﷻ، وتركُ كلِّ ما شَغل عن اللَّه ﷻ».

ـ وقالت طائفةٌ: «الزهد: إخراجُ المخلوقين من القلب، وحبُّ الخلوة»(٤).

---

(١) أي: لا يحبُّ أن تكونَ له منزلةٌ في قلوب العباد.
قلت: لٰكن هٰذا له ضوابط، فمن الخلق من لابد أن تكون له منزلةٌ في قلوب الخلق حتىٰ يطيعوه في طاعة اللَّهِ تعالىٰ ـ كالعلماء والصالحين ـ، وإلا فلو سقطت منزلةُ هٰؤلاء فكيف سيُقبَلُ منهم ما يأمرون به من معروف وينهون عنه من منكر؟! وكذٰلك حتىٰ لو لم يطلب العبدُ المنزلةَ في قلوبِ الناس ـ بالضوابط الشرعية ـ، فلا ينبغي أبدًا أن يرضىٰ بالذل منهم والهوان؛ لا سيما من السِّفلة والأرذال.

(٢) أي: تركُ الراحة في الدنيا، والتعب للآخرة.

(٣) أي: من فضول الدنيا الزائدة ـ إن كان حلالًا ـ.

(٤) ويجمع كلَّ ما سبق: التعلق بالمعبود سبحانه، واللَّهُ أعلىٰ وأعلم.

٦١ ـ وقال ذو النون ـ أيضًا ـ: «اعلموا أن صفة الزاهد: مَن لم يطلب المفقود، حتىٰ يفقدَ الموجود»[(١)].

٦٢ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «قالت طائفة: الزاهد: مَن لم يرَ الدنيا وأهلها وما فيها، وإنما يرىٰ اللَّهَ وحده[(٢)]، فإذا كان كذٰلك لم يأخذ منها شيئًا إلا من يدِ اللَّه ﷻ[(٣)]».

٦٣ ـ وقال ابنُ عيينة: «الزاهدُ: من إذا أُنعم عليه شَكر، وإذا ابتُليَ صبر».

٦٤ ـ وقال ذو النون: «إياك أن تكونَ في المعرفة مُدَّعِيًا[(٤)]، أو تكون بالزهد محترفًا[(٥)]، أو تكون بالعبادة متعلقًا[(٦)]. قيل له: فسِّر لنا ذٰلك ـ رحِمك اللَّه ـ، فقال: أمَا علمتَ أنك إذا أشرتَ في المعرفةِ إلىٰ نفسك بأشياءَ مُعرَّىٰ عن حقائقها كنتَ مدَّعيًا[(٧)]؟! وإذا كنت في زُهدك موصوفًا بحالةٍ فيك دون الأحوال[(٨)] كنت منحرفًا ـ أو قال: محترفًا[(٩)] ـ؟! وإذا عَلَّقت بالعبادة قلبَك، وظننتَ أنك تنجو من اللَّه ﷻ بالعبادة ـ لا باللَّه

---

(١) أي: لا يطلبُ زيادةً حتىٰ ينفد ما عنده ـ أو يكاد ـ.

(٢) أي: يرىٰ كلَّ شيءٍ بيده ﷻ وحده، فلا يركن إلىٰ الخلق، وليس معناه ترك الأخذ بالأسباب كما سلف بيانُه.

(٣) يقصد: بصدق التوكل واعتماد القلب عليه تبارك وتعالىٰ.

(٤) أي: كذابًا. نسأله تعالىٰ أن يسترَنا ولا يفضحنا.

(٥) أي: إياك أن تجعل من الزهد حرفةً لتجلب بها متاعًا رخيصًا، كحب المدح والثناء، أو نيل حطام الدنيا الزائل.

(٦) أي: لا تركن إليها وتعجب بها؛ فلعلها تُردُّ عليك وأنت لا تدري.

(٧) أي: إذا ادعيت معرفةَ اللَّهِ تعالىٰ بأشياء ليست فيك كنت كذابًا.

(٨) أي: إذا كنت مدعيًا حالًا ليس من الأحوال الصادقة.

(٩) أي: كالتاجر الذي يبيع زهده للناس.

ﷻ ـ كنتَ بالعبادة متعلقًا؛ لا بولِّيها والمنَّانِ بها عليك؟!»[١].

٦٥ ـ وقال: «قالت طائفة: الزاهد: الذي رفض الدنيا لحبِّ اللَّه ﷻ».

٦٦ ـ وقال: «اعلموا أن المُحبَّ للَّه ﷻ لا يَعظُمُ عنده الإيثارُ للَّه[٢]؛ لأنه ليس شيءٌ عنده أعظمَ من اللَّه؛ فينبغي للمحبِّ للَّه أن يُرىٰ عليه أثرُ ذٰلك من رفض الدنيا؛ لأنه من المحال أن يجتمعَ في القلب حبُّ اللَّه مع حب الدنيا، فمَن أحبَّ اللَّهَ لم ينظرْ إلىٰ ما ينالُه من الدنيا، ولا تكونُ له حاجةٌ إلىٰ غيرِ مَن أحب».

٦٧ ـ وقال ذو النون ـ أيضًا ـ: «مِن علامات المُحِب للَّه: تركُ كلِّ ما شَغَل عن اللَّه ﷻ؛ حتىٰ يكونَ الشغلُ كلُّه باللَّه وحده».

٦٨ ـ وقال: «دلائلُ أهل المحبةِ للَّه[٣]: ألَّا يأنسَ بسِوىٰ اللَّه[٤]، ولا يستوحشَ مع اللَّه؛ لأن حبَّ اللَّه إذا سكن في القلب أَنِسَ باللَّه؛ لأن اللَّهَ أجلُّ في صدور العالِمين مِن أن يحبُّوه لغيره[٥]».

٦٩ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «مَن أحبَّ اللَّهَ استَقلَّ كلَّ عملٍ يعملُه[٦]».

---

(١) أعاد الإمام هنا الأثر المتقدم عن ذي النون رحمه الله برقم (٦)، ونصه: «ما رَجع مَن رجع إلَّا من الطريق، ولو وَصلوا إلىٰ اللَّهِ ما رجعوا، فازهد ـ يا أخي ـ في الدنيا ترَ العجب».

(٢) أي: لا يستعظمُ شيئًا فعله لحبيبه ﷻ؛ بل دومًا يرىٰ المِنَّة لربِّه تبارك وتعالى.

(٣) أي: علامات الصادق في محبة اللَّه تعالىٰ.

(٤) الأنس بالخلق أمرٌ فطريٌّ لا يُنكر، وإنما أراد أن يكونَ أعظمُ أُنسِهِ باللَّهِ تبارك وتعالى.

(٥) **محبة اللَّهِ تعالىٰ لغيره**: أن تحبَّه تعالىٰ لا لذاتِه، ولٰكن لما تريد نيله منه جل جلاله من متاع دنيوي أو أخروي! فإن كان هٰذا هو المراد ففي الكلام إجمال؛ فإن أعظمَ المحبة للَّهِ سبحانه أن يُحبَّ لذاتِه بلا ريب، لٰكن لا ينفي هٰذا أن يُحَبَّ سبحانه لما يناله عبادُه علىٰ يديه من خيراتِ الدنيا والآخرة. وكيف لا تزيد المحبة مع توالي الإحسان والكرم من أرحم الراحمين؟!!

(٦) أي: رأىٰ أعمالَه كلَّها قليلة ـ مهما فعل ـ.

٧٠ ـ وقال ـ في صفة المؤمن ـ: «إن للَّه صَفوةً من عباده، فقيل له: يا أبا الفيض، فما علامتُهم؟ قال: إذا خَلع العبدُ الراحة، وأَعطىٰ المجهودَ في الطاعة، وأحبَّ سقوط المنزلة[(١)]. فقيل له: يا أبا الفيض، فما علامةُ إقبالِ اللَّهِ ﷻ علىٰ العبد؟ قال: إذا رأيتَه صابرًا شاكرًا ذاكرًا، فذٰلك علامةُ إقبال اللَّهِ عليه. فقيل له: فما علامةُ إعراض اللَّهِ عن العبد؟ قال: إذا رأيته ساهيًا لاهيًا مُعرِضًا عن ذِكر اللَّه ﷻ[(٢)]؛ فذاك حين يُعرِضُ اللَّهُ عنه. قيل له: يا أبا الفيض، فما علامةُ الأُنسِ باللَّه؟ قال: إذا رأيتَه يُوحِشُك عن خلقِه[(٣)]؛ فإنه يُؤنِسُك من نفسه، وإذا رأيتَه يؤنِسُك من خلقه[(٤)]، فإنه يُوحِشُك من نفسه».

٧١ ـ وقال ابنُ يعقوب بن الفَرَجي: اختلف الناسُ في الزهد:

ـ فقال قوم: الزهدُ في الدنيا: قِصَرُ الأمل. وهو قول الثوري، وأحمد ابن حنبل، وعيسىٰ بن يونس، وغيرهم.

ـ وقال قوم: الزهدُ هو: الثقةُ باللَّه مع حبِّ الفقر. وهو قول ابن المبارك، وشَقيق، ويوسفَ بنِ أسباط.

ـ وقال قوم: الزهد: تركُ الدينار والدرهم، وهو قول عبدالواحد بن زيد.

ـ وقال قوم: هو تركُ ما فيه بدٌّ[(٥)] من فضول الدنيا.

---

(١) راجع التعليق علىٰ الأثر (٤٠).

(٢) وإنما قصد بالذكر ـ في الموضعين ـ المعنىٰ العام له، وهو الطاعة ـ كما سلف ـ. وهٰذا من أصدق الكلام وأنفسه.

(٣) يعني يُحبِّبُك في الخلوة به تعالىٰ.

(٤) يعني ممن لا يقرِّبونك منه سبحانه.

(٥) **البُد**: العوض. وراجع الأثر (٤٥).

- وقال قوم: تركُ جميعِ ما يَشغَلُ عن اللَّه ﷻ. وهو قولُ الداراني.
- وقال قوم: حَسمُ علائقِ النفس[١].
- وقال قوم: الزهدُ: القيامُ بدلائل العلم وشواهدِ اليقين[٢].
- وقال قوم: هو عزوفُ النفس عن الدنيا بلا تكلُّفٍ، كما قال حارثة.
- وقال قوم: الزهد: هو الشكرُ عند النعمة، والصبرُ عند البلاء، وهو قول ابن عيينة.
- وقال قوم: مَن لا يغلبُ الحلالُ شكرَه[٣]، والحرامُ صبرَه[٤]. وهو قول الزُّهري.

٧٢ - وقال معاوية بنُ عبدالكَريم: «ذُكر عند الحسن الزهد، فقال بعضهم: اللباس، وقال بعضُهم: المَطعم، وقال بعضُهم: كذا، فقال الحسن: لستم في شيء، الزاهدُ الذي إذا رأىٰ أحدًا قال: هٰذا أفضلُ مني[٥]».

٧٣ - وسئل يحيىٰ بن معاذ: «ما صفةُ الزاهد؟ قال: الزاهدُ قُوتُه ما وَجد، ومَسكنُه حيث أدرك[٦]، ولباسُه ما سَتَر عورته، والدنيا سجنُه، والفقرُ ضجيعُه[٧]، والخَلوةُ مجلسُه، الشيطانُ عدوُّه، والقرآنُ أُنسُه، واللَّهُ هَمُّه، والذِّكرُ رفيقُه، والزهدُ قرينُه، والحكمةُ سلاحُه، والصمتُ كلامُه، والاعتبارُ فكرتُه، والعلمُ قائدُه، والصبرُ وِسادتُه، والتوبةُ فِراشُه،

(١) أي: ما تتعلق به مما يبعدها عن اللَّه ﷻ.
(٢) أي: العمل بالعلم علىٰ يقينٍ لا شك فيه.
(٣) أي: لا ينسىٰ اللَّهَ تعالىٰ إذا اغتنىٰ.
(٤) أي: لا يُخدع بالحرام، فينهار صبره، ويلهث خلفه. وقد تقدم المعنيان.
(٥) فالزهد - هنا - معناه: احتقار النفس، واللَّهُ أعلم.
(٦) ليس معنىٰ ذٰلك ترك اكتساب الرزق والمسكن؛ وإنما قصد: أنه إذا لم يتأتَّ له قوتٌ يشتهيه ومسكنٌ خاصٌّ؛ قنع بما تيسر حتىٰ يأتيه ربُّه ﷻ بالفرج. والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.
(٧) **الضجيع**: الملاصق.

واليقينُ صاحبُه، والنصيحةُ نَهْمتُه[١]، والصِّدِّيقون إخوانُه، والعقلُ دليلُه[٢]، والتوكلُ كَسبُه، والعملُ شُغلُه، والعبادةُ حِرفتُه، والتقوىٰ زادُه، والبِرُّ مَطيَّتُه[٣]، والمعرفةُ وزيرُه[٤]، والتوفيقُ مُستعمَلُه، والحياةُ سَفَرُه، والأيامُ مراحلُه، والجنةُ منزلُه، واللَّهُ ﷻ معتمَدُه»[٥].

٧٤ ـ وقال أبو عثمان: «زهدُ الأغنياء في القناعة[٦]، وزهدُ الفقراء في ألَّا يريدوا خلافَ حالتهم[٧]».

٧٥ ـ وقال بِشرٌ الحافي: «قال فضيلُ بن عياض: يا بشر، الرضاءُ الأكبرُ عن اللَّه ﷻ: الزهدُ في الدنيا. قلت: كيف هٰذا ـ يا أبا عليٍّ ـ؟ قال: يكون العطاءُ في قلبك والمنعُ بمنزلةٍ واحدة[٨]».

---

(١) **النهمة**: الشغف. ويقصد أنه مشغوف بنصح الخلق ودعوتِهم لدين ربِّهم ﷻ، أو المعنىٰ أنه مشغوف بقبول النصيحة، ويحب دومًا النصح والتقويم، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) اعلم أن كلَّ مدحٍ للعقل في نصوص الشرع، أو في كلام السلف، فالمقصودُ منه العقلُ الوقَّافُ عند حدود ربِّه ﷻ، وليس العقلُ الذي يظنُّ أن له حقَّ الاستقلال في الحكم علىٰ أي شيء، حتىٰ لو كان وحي اللَّه ﷻ.

(٣) **المطية**: الدابة.

(٤) أي: معرفةُ اللَّهِ تعالىٰ تصاحبه دومًا؛ كالوزير مع الملِك.

(٥) أي: وكيله الذي يعتمد عليه ﷻ.

(٦) أي: أن يقنعوا بالقليل من الكثير الذي عندهم. أو أن يقنعوا ويحمدوا ربَّهم ﷻ علىٰ ما هم فيه، ولا يطلبوا غنًىٰ أعلىٰ؛ لأنه ما من غنيٍّ إلا وهناك من هو أغنىٰ منه، واللَّهُ أعلم.

(٧) إذا كان المقصود أنهم لا يسخطون بقلوبهم علىٰ ما هم فيه ممَّا قدَّره اللَّهُ ﷻ عليهم، فالمعنىٰ قريب. ولٰكن هٰذا لا ينفي جواز أن يطلب العبدُ الغنىٰ من ربِّه وسعة الأرزاق وفتح أبواب الخيراتِ منه تعالىٰ، وأزهد الناس ﷺ كان يسأل ربَّه ﷻ الغنىٰ، ويستعيذُ به من الفقر ـ كما سلف ـ. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٨) لعله يعني العطاء من اللَّهِ تعالىٰ والمنع منه ﷻ، والمقصود: أن يرضىٰ منه =

٧٦ ـ وقال إبراهيم: «سألتُ فضيلَ بن عياض: ما الزهدُ في الدنيا؟ قال: القُنوعُ هو الزهد، هو الغنىٰ».

٧٧ ـ وقال أبو سليمانَ الداراني: «إن قومًا طلبوا الغنىٰ؛ فحسِبوا أنه في جمع المال! ألَا وإنما الغنىٰ في القناعة. وطلبوا الراحةَ في الكثرة! وإنما الراحةُ في القِلَّة[١]. وطلبوا الكرامةَ من الخلق! ألا وهي في التقوىٰ. وطلبوا النعمةَ في اللباس الرَّقيق واللّيِّن وفي طعامٍ طيب، والنعمةُ في الإسلام السِّترُ والعافية».

٧٨ ـ وقال إبراهيمُ بنُ بشَّار الصوفي: «خرجتُ أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسُولي، وأبو عبداللَّه السِّنجاوي نريدُ الإسكندرية، فمرَرْنا بنهرٍ ـ يقال له: «نهر الأردن» ـ، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كُسيراتٌ يابسات، فألقاهنَّ بين أيدينا، فأكَلْنا وحَمِدْنا اللَّه، فقمتُ أسعىٰ أتناولُ ماءً لإبراهيم، فبادر إبراهيم، فدخل النهرَ حتىٰ بلغ الماءُ ركبتَيه، فقال بكفَّيه في الماء فملأهما، ثم قال: بسم اللَّه، وشرِب، فقال: الحمدُ للَّه، ثم إنه خَرج من النهر، فمدَّ رجليه، قال: يا أبا يوسف، لو عَلِم الملوكُ وأبناءُ الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالَدُونا بالسيوف أيامَ الحياة ـ علىٰ ما نحن فيه من لذيذ العيش وقِلةِ التعب ـ، فقلت له: يا أبا إسحاق، طَلَب القومُ[٢] الراحةَ والنعيم، فأخطؤوا الطريق المستقيم. فتبسَّم ثم قال: مِن أين لك هٰذا الكلام[٣]؟!».

٧٩ ـ وقال إبراهيمُ بن بشَّار: «أمسَيْنا مع إبراهيم بن أدهم ذاتَ ليلة

= سبحانه بما قسم له وقدَّره عليه، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(١) بل الناس يختلفون في هٰذا بلا شك.

(٢) يعني الملوك وأمثالهم من أصحاب الغنىٰ والجاه الذين نسُوا ربَّهم ﷻ.

(٣) قال هٰذا إعجابًا بنفاسة العبارة.

ـ وليس معنا شيءٌ نُفطر عليه، ولا لنا حيلة ـ، فرآني مغتمًّا حزينًا، فقال: يا إبراهيمُ بنَ بشار، ماذا أنعم اللَّهُ علىٰ الفقراء والمساكين من النعيم والراحة في الدنيا والآخرة! لا يسألُهم يومَ القيامة عن زكاةٍ، ولا حجٍّ، ولا عن صدقة، ولا عن صلةِ رحم، ولا عن مواساة، وإنما يَسأل ويُحاسبُ علىٰ هٰذا هٰؤلاء المساكينَ؛ أغنياءُ في الدنيا، فقراءُ في الآخرة، أعزَّةٌ في الدنيا، أذلةٌ يوم القيامة[1]، لا تغتمَّ ولا تَحزَن؛ فرِزقُ اللَّه مضمونٌ سيأتيك، نحن ـ واللَّهِ ـ الملوكُ الأغنياء، نحن الذين قد تعجَّلْنا الراحةَ في الدنيا؛ لا نُبالي علىٰ أيِّ حالٍ أصبحنا وأمسَينا ـ إذا أطعنا اللَّه ـ.

ثم قام إلىٰ صلاته، وقمتُ إلىٰ صلاتي، فما لبِثنا إلا ساعةً، فإذا نحن برجلٍ قد جاء بثمانيةِ أرغفةٍ وتمرٍ كثيرٍ، فوضعه بين أيدينا، وقال: كُلوا ـ رحِمكم اللَّه ـ. فسَلَّم[2]، ثم قال: كلْ ـ يا مغموم ـ. فدخل سائلٌ فقال: أطعِمونا شيئًا، فأخذ ثلاثةَ أرغفةٍ مع تمرٍ فدفعه إليه، وأعطاني ثلاثةً، وأكلَ رغيفين، وقال: المواساةُ من أخلاق المؤمنين».

٨٠ ـ وقال بشرٌ الحافي: «مساكينُ أهل الدنيا! هم ـ واللَّهِ ـ موضعُ رحمة».

٨١ ـ وقال محمدُ بن عليٍّ الكِتَّاني: «مَن طلب الراحة بالراحة؛ عُدِم الراحة»[3].

---

(١) وهٰؤلاء ـ أيضًا ـ الأغنياء الذين نسوا اللَّهَ تعالىٰ، وغرَّتْهم الحياةُ الدنيا.

(٢) أي: إبراهيم بن أدهم، لما سلَّم من صلاتِه.

(٣) أي: من طلب راحة الآخرة ونعيمها براحة الدنيا والكسل والتفريط في الطاعات، عُدم ما أمَّله من راحة الآخرة. وصدق من قال: «من طلب الراحة ترك الراحة».

٨٢ ـ وقال ذو النون: «سُلب الغِنىٰ مَن حُرم الرضا[(١)]، مَن لم يُقنِعْه اليسير افتُقر في طلب الكثير».

٨٣ ـ وقال: «لو لم يكن لصاحب القُنوع إلا التمتعُ بالعزِّ لكفاه[(٢)]».

٨٤ ـ وقال إبراهيمُ: «إن اللَّهَ ﷻ يجعلُ السكينةَ علىٰ الشاكر مِن الناس».

٨٥ ـ وقال زكريا بن دَلُّويَهْ: «قال لي عبدُاللَّه بن أبي زياد القطَواني: يا خُراساني، ما الذي أخرجك من ديارك؟ قلت: حبُّ الشرف، فقال لي: صدقتَ؛ الزم القناعةَ تشرُفْ في الدنيا والآخرة، فليس الشرفُ في الإكثار[(٣)]».

٨٦ ـ وقال عليُّ بن عبدالعزيز: «مَن عُدم القناعة، لم يَزده المالُ غنًىٰ».

٨٧ ـ وقال صِلةُ بن الأشيم: «طلبتُ الرزق من مظانِّه فأعياني؛ إلا رِزقَ يومٍ بيوم، فعلمتُ أنه خيرٌ لي. وإنَّ امرأً جُعل رزقُه يومًا بيوم، فلم يعلم أنه خيرٌ له لَعاجزُ الرأي».

٨٨ ـ وفي لفظٍ: «طلبتُ الدنيا من مظانِّ حلالها، فجعلتُ لا أُصيبُ منها إلا قوتًا[(٤)]؛ أمَّا أنا فلا أَعِيلُ فيها[(٥)]، وأما هي فلا تجاوزني[(٦)]، فلما رأيتُ ذٰلك قلت: أيْ نفس، جُعل رزقُك كفافًا[(٧)]؛ فارْبَعِي. فرَبَعَتْ ولم

(١) أي من حرم الرضا بالمقدور لن يغنيه شيءٌ أبدًا، وانظر الأثر القادم عن علي ابن عبدالعزيز رقم (٨٦).
(٢) ويقصد بالعز: الاستغناء عن الخلق. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.
(٣) يعني: كثرة المال.
(٤) أي: رزق يومٍ بيوم.
(٥) **أعيل**: أفتقر.
(٦) أي: فلن يفوتني رزقي فيها.
(٧) **الكفاف**: ما يكفي.

تَكَدْ[١]».

قال أبو عبيد: قوله: «مظانِّ حلالها»: يعني مواضعَ الحلال. وقوله: «فلا أعيل فيها»؛ يقول: لا أفتقر. وقوله: «فاربعي»؛ يقول: اقتصري علىٰ هٰذا وارضَيْ به.

٨٩ ـ وعن لقمانَ أنه قال لابنه: «يا بُني، زاحِمِ العلماء برُكبتيك[٢]، ولا تُجادِلْهم فيمقتوك، وخُذْ من الدنيا بلاغًا[٣]، ولا تدخلْ فيها دخولًا يُضِرُّ بآخرتك، ولا ترفضْها فتصيرَ عيالًا[٤] علىٰ الناس، وصُمْ صومًا يقطعُ شهوتك، ولا تصُمْ صومًا يمنعُك عن الصلاة؛ فإن الصلاة أحبُّ إلىٰ اللَّه من الصيام».

٩٠ ـ وقال محمدُ بن عليٍّ الكتَّاني: «مَن باع الحرصَ بالقناعة[٥]، ظَفِر بالعز والمروءة».

٩١ ـ وقال أبو الحسن البُوشَنْجيُّ عن القناعة: «المعرفة بالقِسْمة»[٦].

٩٢ ـ وقال ذو النون: «مَن وَثِقَ بالمقادير لم يَغتمَّ»[٧].

---

(١) أي: كفَّت بالكاد.

(٢) ليس المراد المعنىٰ الحرفي ـ وهو أن تلاصق رُكبتاه رُكبَ العلماء ـ، بل المراد: داوم علىٰ حضور مجالسهم.

(٣) **البلاغ**: القليل الذي يكفيك لسفرك.

(٤) **العيال**: العالة علىٰ الخلق.

(٥) أي: هجر الحرص ورضي بالقناعة.

(٦) أي: الرضا بقسمةِ اللَّهِ ﷻ في عباده، وأنه لن ينال عبدٌ إلا ما قُدِّر له. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٧) لأنه يعلم أنها قسمة ربِّه ﷻ، فلا يعترض علىٰ اختيار حبيبه ووليِّه، كما قال تباركت آياتُه: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف].

٩٣ ـ وقال: «مَن عرف اللَّهَ رضي باللَّه، وسُرَّ بما قضىٰ اللَّه».

٩٤ ـ وقال إبراهيمُ بن بشار: «قلت لإبراهيم بن أدهم: أَمُرُّ اليومَ أعملُ في الطين[(١)]، فقال: يا ابنَ بشار، إنك طالبٌ ومطلوب، يطلبُك مَن لا تفوتُه، وتطلبُ ما قد كُفِيتَه؛ كأنك بما غاب قد كُشف لك[(٢)]، وما أنت فيه قد نُقِلتَ عنه! يا ابن بشار، كأنك لم ترَ حريصًا محرومًا، ولا ذا فاقةٍ مرزوقًا! ثم قال له: ما لك حيلةٌ[(٣)]؟ قلت: لي عند البقال دانقٌ[(٤)]، فقال: عَزَّ عليَّ بك[(٥)]! تملكُ دانقًا وتطلبُ العمل؟!».

٩٥ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم ـ أيضًا ـ: «قِلةُ الحرصِ والطمعِ يورِّثُ الصدقَ والورع، وكثرةُ الحرص والطمع يُكثِرُ الغمَّ والجزع».

٩٦ ـ وقال الجُنيدُ بن محمد ـ وسُئل عن القلب: ما يفسده؟ ـ، قال: «الطمع. قيل: ما يُصلحه؟ قال: الورع».

٩٧ ـ وقال بُنانٌ الحَمَّال: «الحُرُّ عبدٌ ما طَمِع، والعبدُ حرٌّ ما قَنِع».

٩٨ ـ وعن عليِّ بن عبدالعزيز قال: «مَن عُدِمَ القناعةَ لا يُغنيه شيءٌ بحال»[(٦)].

٩٩ ـ وقال سعدُ الخير لابنه: «أظهِرِ اليأسَ[(٧)]؛ فإنه غِنًىٰ، وإياك وطلبَ ما عند الناس؛ فإنه فقرٌ حاضر، وإياك وما يُعتذرُ منه، وأسبغ الوضوء[(٨)]،

---

(١) أي: في الزرع، واللَّهُ أعلم.

(٢) أي: كأنك بما غاب عنك ـ وهو الموت ـ قد حلَّ بك وجاءك علىٰ غير ميعاد.

(٣) أي: أما لك مالٌ عند أحد أو طعام؟

(٤) **الدانق**: سدس الدرهم.

(٥) أي: عزيزٌ عليَّ أن تفعل ذٰلك.

(٦) سبق بنحوه.

(٧) أي: الاستغناء عن الخلق.

(٨) أي: أتِمَّه علىٰ أكمل وجهٍ. وليس المقصودُ مجاوزةَ الحدود المفروضة في =

وصلِّ صلاةَ مودِّع؛ عسىٰ ألَّا تُصلِّيَ صلاةً غيرها، وإن استطعت أن تكون اليومَ خيرًا منك أمس، وغدًا خيرًا منك اليوم فافعل».

١٠٠ ـ وعن سعد بن أبي وقَّاصٍ ﵁ قال: أَتىٰ النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول اللَّه، أوصِني وأوجِزْ، فقال النبيُّ ﷺ: «**عليك بالإياسِ مما في أيدي الناس، وإياكَ والطمعَ؛ فإنه فقرٌ حاضر، وإذا صليتَ فصلِّ صلاةَ مودِّع، وإياك وما يُعتذَرُ منه**»[١].

١٠١ ـ وعن أبي أيوبَ الأنصاريِّ ﵁ قال: أتىٰ النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: عِظني وأوجز. قال: «**إذا قمتَ في صلاتك، فصلِّ صلاةَ مودِّع، ولا تَكَلَّمَنَّ بكلامٍ تَعتذرُ منه غدًا، وأجْمِعِ اليأسَ مما في أيدي الناس**»[٢].

١٠٢ ـ وقال عمرُ ﵁: «مَن استغنىٰ باللَّه اكتفىٰ، ومَن انقطع إلىٰ غير اللَّه يَعمَىٰ، ومَن كان من قليلِ الدنيا لا يشبع، لم ينفَعْه كثيرُ ما يجمع، فاكتفِ منه[٣] بالكَفاف، وألزِمْ نفسك بالعفاف[٤]، ودعِ الغلول[٥]؛ فإن

= غسل الأعضاء؛ فهٰذا خلافُ السنة المطهرة.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/٤١٢)، وفي «الزهد» (١٠١٧)، ابن ماجه (٤١٧١)، والحاكم (٤/٣٢٦)، وأبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (٣٢٢٦)، والطبراني في «الكبير» (٣١٢). **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، لٰكن عقَّب الحافظ المنذري في «الترغيب» (١٢٣٢) علىٰ تصحيح الحاكم بقوله: «**كذا قال**»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٤٩٩). **وضعَّفه** الإمام البوصيري، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن ماجه (٥/٢٧٠)، بينما **حسَّنه** الشيخ الألباني. وانظر التالي.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٥/٤١٢)، وابن ماجه (٤١٧١)، والطبراني في «الكبير» (٤/١٥٤)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/٣٦٢)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن ماجه (٥/٢٧٠).

(٣) أي: من قليل الدنيا.

(٤) **العفاف**: عدم الطمع فيما عند الآخرين.

(٥) **الغلول**: الخيانة.

حسابها غدًا يطول».

١٠٣ ـ وعن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**القناعةُ كَنزٌ لا يفنى**»[(١)].

١٠٤ ـ وعن النبي ﷺ قال: «**مَن أصبح آمِنًا في سِرْبِه**[(٢)]**، مُعافًى في جَسَدِه، عنده طعامُ يومه؛ فكأنما حِيزَتْ له الدنيا**»[(٣)].

١٠٥ ـ وقال عبدُاللَّه بن المبارك:

لا تَضْرَعَنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ ... فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدينِ[(٤)]

واسترزِقِ اللَّهَ ممَّا في خزائنه ... فإنما هي بين الكافِ والنونِ

ألَا ترى كلَّ مَن ترجو وتأمَلُه ... من البرية مِسكينَ بنَ مِسكينِ!

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٩٢٢)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٨٧/٢)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢٣٣/٢)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٨٣)، وابن شاهين في «الترغيب» (٣٠٦)، **وضعَّفه** الإمام البيهقي ـ هنا ـ بعد إيراده، وصدَّره الحافظ المنذري في «الترغيب» (١٢٣٣)، **بصيغة التمريض**، وقال في إثره: «**ورفعه غريب**»، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٥٠٠).

(٢) **سِرْبه** ـ بكسر السِّين وسكون الراء ـ: الأهل والعيال.
وضُبطت ـ أيضًا ـ: «سَرْبه» ـ بفتح السين وسكون الراء ـ، أي: طريقه.
وضبطت ـ أيضًا ـ: «سَرَبه» ـ بفتح السين والراء ـ، أي: بيته.
انظر: «تُحفة الأحوذي» (٩/٧، ١٠).

(٣) حسن: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٠)، والتِّرمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٩٨٧٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٢٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٤٠)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن غريب**»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (٣٧١/٤).

(٤) **تضرعن**: تخضع وتذل.

١٠٦ ـ وأنشد أبو عبداللَّه محمد بن عرفة النحوي:

إذا ما كساك الدهرُ ثوبًا لصحةٍ ولم تَخْلُ من قوتٍ يَحِلُّ ويَعذُبُ
فلا تَغبِطَنَّ المترَفينَ فإنه علىٰ حسبِ ما يُعطيهمُ الدهرُ يَسلُبُ

١٠٧ ـ وقال الخليل بن أحمد: «حسبُكَ مِن دهرك هٰذا القوت؛ ما أكثرَ القوتَ لمن يموت!».

١٠٨ ـ وقال منصورٌ الفقيه:

إذا القوتُ تأتَّىٰ لك والصحةُ فأصبحتَ أخا حُزنٍ فلا فارقك الحزنُ

١٠٩ ـ وأنشد المسعودي لبعضهم:

نفسُك ثوبُ الغنىٰ فصُنْها مَن لم يصُنْ نفسَه يُهِنْها
إن عَرَضت حاجةٌ فدعها يأتيك منها غَناؤُك عنها

١١٠ ـ وقال منصورٌ الفقيه: «هٰذا زمانُ العزلة».

١١١ ـ وقد قلت في ذٰلك[1]:

الخيرُ أجمَعُ في السكوتْ وفي ملازمةِ البيوتْ
فإذا تأتَّىٰ ذا وذٰلك فاقتنِعْ بأقلِّ قوتْ

١١٢ ـ وقال محمد بن عبدالكَريم المَرْوَزي: لمَّا وَلِيَ يحيىٰ بنُ أكثم القضاء، كَتب إليه أخوه عبدُاللَّه بن أكثم من مَرْوَ ـ وكان من الزهاد ـ:

ولقمةٌ بجَريشِ المِلحِ تأكلُها ألذُّ مِن تَمرةٍ تُحشىٰ بزُنبورِ[2]

---

(١) لم يتحرر لي القائل: هل هو بقية كلام منصور أو من كلام البيهقي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ!

(٢) **الجَريش**: الغليظ. **الزنبور**: نوع من شجر التين. قاله ابن الأعرابي كما في «تاج العروس».

وأكلةٌ قـرَّبَـتْ للهُلْـكِ صـاحبَهـا   كحبةِ الفخِّ دَقَّتْ عُنْقَ عُصفورِ[(١)]

١١٣ ـ وقال أبو بكر الورَّاق: «لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشكُّ في المقدور. [ولو] قيل: ما حرفتُك؟ قال: اكتسابُ الذلِّ: ولو قيل: ما غايتُك؟ قال: الحرمان».

١١٤ ـ وقال بعضهم:

الحـرصُ لـؤمٌ ومِـثلُـهُ الطمـعُ   ما اجتمع الحرصُ قطُّ والورعُ

مَن أَلِفَ الحرصَ لم يزَلْ جَشِعًا   وجـشـعُ الدهـرِ مـا لـهُ شِـبَـعُ

١١٥ ـ وقال البُحتُري:

وأرىٰ هِـمَّـتـي تُـكـلِّـفُـنـي   حَمْـلَ أمـرٍ خفـيفُـه لَثقيـلُ

ولو أني رضيتُ مَقسومَ حظِّي   لكفـاني مـنَ الكثيـرِ قليـلُ

١١٦ ـ وأنشد مُظفَّر القِرْمَيسني:

أفادتنـي القـنـاعـةُ كـلَّ عـزٍّ   وهل عـزٌّ أعـزُّ مـنَ القناعةْ؟!

فـصيِّـرها لنفـسِك رأسَ مـالٍ   وصيِّر بعدها التقوىٰ بضاعةْ[(٢)]

---

(١) الهُلك: الهلاك.

(٢) البضاعة: المال المُعد للتجارة.



الفصل الثاني

العُـزلــة والخُمــول

الفصل الثاني

العُزلـة والخُمـول

١١٧ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أيُّ الناس أفضل؟**»، قالوا: اللَّه ورسولُه أعلم، فأعادها ثلاث مرات، قالوا: يا رسول اللَّه، مَن جاهد بماله ونفسه؟ قال: «**ثم مَن؟**» قالوا: اللَّهُ ورسوله أعلم، قال: «**مؤمنٌ يَعتزِلُ في شِعْبٍ**[1]**؛ يتَّقي ربَّه، ويدَعُ الناسَ مِن شرِّه**»[2].

١١٨ ـ وعن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه قال: «إن في العزلة راحةً من أخلاق السوء»، أو قال: «من أخلاطِ السوء[3]».

١١٩ ـ وعن عَدَسة قال: «مرَّ بنا ابنُ مسعود، فأُهديَ له طيرٌ، فقال ابن مسعود: وددتُ أني أصيدُ هٰذا الطيرَ؛ لا يكلِّمُني أحد، ولا أكلِّمُ أحدًا».

١٢٠ ـ وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «خُذوا بنصيبكم منَ العزلة».

١٢١ ـ وقال سعيدُ بن المسيَّب للوليد بن المُغيرة: «عليك بالعزلة؛ فإنها عبادة[4]».

١٢٢ ـ وقال الرَّبيعُ بن خُثيم: « تفقَّهْ، ثم اعتزل»[5].

---

(١) **الشِّعب**: الطريق بين الجبلين، والمقصود: الأماكن الخالية.

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).

(٣) **الأخلاط**: الأصحاب.

(٤) إنما تكون العُزلة عبادةً إذا كان في مخالطةِ الناس معصية اللَّهِ تعالىٰ، أو كانت معينةً علىٰ القربِ منه سبحانه، أما مجرد العزلة ـ بلا عمل ولا فائدة ـ، فليست عبادةً ولا قربةً، وآثارها ـ غالبًا ـ غير حميدة.

(٥) نعم؛ فالعزلة النافعة إنما تكون للعالم، أما الجاهل فاعتِزالُه فسادٌ له ولمن =

١٢٣ ـ وقال أبو حفص: سمعتُ عبدَاللَّه بن داود يقول: «مجاورةُ الشاةِ أحبُّ إليَّ من مجاورة الإنسي. قلت: يا أبا عبدالرَّحمٰن، لِمَ؟ قال: إن الإنسيَّ يؤذي، والشاةَ لا تؤذي».

١٢٤ ـ وقال مكحولٌ: «إن كان في مخالطةِ الناس خيرٌ؛ فإن في العزلةِ سلامةً».

١٢٥ ـ وقال وُهيبُ بن الورد: «كان يقال: الحكمةُ عشَرةُ أجزاء، منها تسعةُ أجزاءٍ في الصمت، والعاشرةُ عُزلةُ الناس؛ فإني عالجتُ نفسي علىٰ الصمت؛ فلم أجدني أَضبِطُ كما أريد، فرأيتُ أن خيرَ هٰذه العشَرةِ عاشرُها: عزلةُ الناس».

١٢٦ ـ وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**الحكمةُ عشَرةُ أجزاء؛ تسعةٌ منها في العزلة، وواحدٌ في الصمت**»[(١)].

١٢٧ ـ وعن أبي الدرداء ﵁ قال: «نِعمَ صومعةُ[(٢)] الرجل المسلم بيتُه، يَكُفُّ فيه نفسَه وبصَرَه وفرْجَه، وإياكم والمجالسَ في السوق، فإنها تُلغِي وتُلهي[(٣)]».

١٢٨ ـ وقال الفضيلُ بنُ عياض: «مَن خالَطَ الناس لا ينجوُ من إحدىٰ اثنتين: إما أن يخوضَ معهم ـ إذا خاضوا ـ في الباطل، أو يسكتَ إن رأىٰ منكرًا، ويسمعُ من جليسه شيئًا[(٤)] فيأثمُ فيه».

= حوله، وقد نبَّه علىٰ هٰذا الإمام ابن الجوزي في «صيد الخاطر» في عدة مواضع.

(١) **ضعيف جدًّا**: رواه العُقيلي في «الضعفاء» (٨/١٩٥)، وقال الإمام البيهقي ـ بعد إيراده هنا ـ: «**إسناده ضعيف، ومتنه مرفوع منكر**»، وضعَّفه **جدًّا** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٧٨٧).

(٢) **الصَّومعة**: مكان العبادة.

(٣) **تُلغي**: تدفع للغو والإثم. **تُلهي**: تُبعد عن اللَّهِ تعالىٰ.

(٤) يعني من العصيان.

١٢٩ ـ وقال وكيعٌ: «جاء إلىٰ أبي سِنانٍ رجلان، فقال لهما: ما لكما لم تفترقا[١]؟ فإنكما إذا كنتما جميعًا تحدثتُما، وإذا تفرَّقْتُما ذكرتما اللَّه ﷻ»[٢].

١٣٠ ـ وعن الفضيلِ قال: «رَحِمِ اللَّهُ عبدًا أخْمَلَ ذِكرَه[٣]، وبكىٰ علىٰ خطيئته قبل أن يُرتَهَنَ بعمله[٤]».

١٣١ ـ وقال ابنُ عون: «ثلاثٌ أُحبُّهُنَّ لنفسي ولأصحابي: قراءةُ القرآن، و[اتباع] السُّنة، والثالثة: أَقبَلَ رجلٌ علىٰ نفسه، ولَهَىٰ[٥] عنَ الناس إلَّا من خير».

١٣٢ ـ وقال نُعيم بن حَمَّاد: «كان ابنُ المبارك يُكثر الجلوسَ في بيته، فقيل له: ألَا تستوحش؟! فقال: كيف أستوحشُ؛ وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه[٦]؟».

١٣٣ ـ وقال أبو الحسن الخُوارزمي: «مَن استوحش منَ الوحدة وهو حافظٌ لكتاب اللَّه ﷻ؛ فإن تلك وحشةٌ لا تزولُ أبدًا[٧]».

١٣٤ ـ وقال أبو العالية: «كنَّا نُحدَّثُ: أنه سيأتي علىٰ الناس زمانٌ

---

(١) أي: أراكما تسيرانِ مع بعضكما دومًا.

(٢) وقد صارت مجالسنا ـ نحن زاعمي الالتزام ـ لا يُذكر اللَّهُ تعالىٰ فيها إلا قليلًا؛ بل جُلُّها عن الدنيا وأحوال الناس؛ فضلًا عن العصيان بغيبةٍ ونميمةٍ وغير ذٰلك، واللَّهُ المستعان.

(٣) أي: جعله من الأتقياء الأخفياء.

(٤) **الارتهان**: الحبس، وكلُّ عبدٍ محبوس بعمله، فإن كان صالحًا فُكَّ إلىٰ الجنة، وإن كانت الأخرىٰ، فنسألُه تعالىٰ السلامة.

(٥) **لَهىٰ**: أعرض.

(٦) يقصد مع الكتب التي فيها علمُهم.

(٧) نعم؛ فإذا لم يأنس العبدُ باللَّهِ وكلامه، فبأيِّ شيءٍ سيأنس؟!

يكون المؤمن فيه أذلَّ منَ الأَمَة، أكيسُهم[١] في ذٰلك الزمان الذي يروغُ بدينه روغانَ الثعلب[٢]».

١٣٥ ـ وعنه قال: «كنا نحدَّث: أنه سيأتي علىٰ الناس زمانٌ؛ خيرُ أهله الذي يرىٰ الحقَّ فيُجانبُه قريبًا[٣]».

١٣٦ ـ وقال الشعبيُّ: «ما بكيتُ من زمانٍ؛ إلا بكيتُ عليه!»[٤].

١٣٧ ـ وعن الحسنِ بن الحسن قال: «واللَّهِ إنَّ أغبطَ الناس[٥] عندي: لَأعرابيٌّ في هٰذه البَرِّيَّة[٦] تقيٌّ غنيٌّ[٧] يُقيم الصلاة، ويُؤتي الزكاة، لم

---

(١) **أكيسُهم**: أعقلهم.

(٢) أي: يهربُ به من الفتن.

(٣) **المجانبة** ـ هنا ـ معناها: الوقوف بجانبه، وليس معناها الابتعاد، وهٰذا هو الأصح ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ، فقد روىٰ ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٨٦/٧)، هٰذا الأثر تحت عنوان: «من كره الخروج في الفتنة وتعوَّذ منها»، ولفظه يكاد يطابق لفظ البيهقي. ورواه الحاكم (٥٩٣/٤)، بلفظ: «كُنَّا نحدَّث أنه سيأتي علىٰ الناس زمانٌ خيرُ أهله من يرىٰ الحق قريبًا، فيجانب الفتن».
وعليه فمعنىٰ الأثر: أن خير الناس ـ في أوقات الفتن ـ من يعرف الحق من الباطل، ويرىٰ الحق قريبًا إليه ـ لطهارة قلبه ونقاء سريرته ـ، فيقف بجانب الحق، ويبتعدُ عن الفتن وأهلها. وإنما كان هٰذا الرجل خير الناس، لأن جُلَّ الخلقِ أوقاتَ الفتن يخوضون فيها، وينغمسون في شرورها، وتسحبهم في مهاويها، ولا ينجو منها إلَّا من اعتصم بدينه، واستمسك بشريعة ربّه ﷻ، واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(٤) وورد عن بعض السلف قال: «سيأتي علىٰ الناس زمانٌ يترحَّمون فيه علىٰ الحجَّاج»!!

(٥) أي: أسعدهم.

(٦) **البريَّة**: الصحراء.

(٧) أي: غنيُّ النفس، لا يريد شيئًا من الناس.

يدخل في شيءٍ من هٰذه الأهواء[١]».

١٣٨ ـ وقال بعضُ العلماء: «ما أخلص العبدُ للَّه؛ إلا أحبَّ أن يكون في جُبٍّ[٢] لا يُعرَف»[٣].

١٣٩ ـ وقال ذو النون: «مِن صفة الحكيم[٤]: حُبُّ خُمولِ الذِّكر، وفيه ذهابُ الوحشة[٥]، وسقوطُ الأُنسِ بغير اللَّه، فإذا أَنِس الحكيمُ بالوحدة فقد اعتقد الإخلاص، حينئذٍ تحرِّكُه الحكمةُ للحق والصواب ـ إن شاء اللَّه ـ ».

١٤٠ ـ وعنه قال: «إذا أحبَّ القلبُ الخلوةَ، فقد أوصله حبُّ الخلوةِ إلىٰ الأُنس باللَّه، ومَن أَنِسَ باللَّه استوحش من غير اللَّه، فللَّهِ درُّ قلوبٍ أَنِسَتْ بجلالِ اللَّه، وارتعدت فَرَقًا لهَيْبته».

١٤١ ـ وقال شُعبة: «ربما ذهبتُ مع أيوبَ في الحاجة، فأُريدُ أن أمشي معه، فلا يدَعُني[٦]، ويخرجُ فيأخذُ هاهنا وهاهنا ـ لئلَّا يُفطَنَ له ـ. وقال لي: ذُكِرتُ[٧]؛ وما أُحبُّ أن أُذكَر».

١٤٢ ـ وقال سفيانُ الثوري: «ما رأينا للإنسان خيرًا له من أن يدخل في جُحر».

١٤٣ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «إذا رأيتَ الرجلَ قد ذُكر في بلدةٍ بالقراءة

---

(١) يعني البدع والضلالات.
(٢) **الجُب**: البئر المهجور.
(٣) كما قيل: ما صدق اللَّهَ من أحبَّ الشُّهرة.
(٤) يعني العاقل.
(٥) أي: تقلُّ وحشته من الناس، لأن من اعتاد الشهرة، ثم ابتعد عنه الناس شعر بالوحشة.
(٦) أي: خوفًا من الشهرة واجتماع الخلق حوله.
(٧) أي: عُرفت بين الناس.

والنسُك[١]، وعلا فيها بالاسم، واضطرب به الصوتُ[٢]؛ فلم يخرج منها: فلا ترجو خيرَه»[٣].

١٤٤ ـ وعن السائب بن الأقرع ـ فذكر قصة قتالِ النُّعمان بن مقرِّن، وإخبارِه عمرَ بن الخطاب بمن قُتل معه[٤]ـ، وقول عمر: «ثم مَن؟ قلت:

---

(١) **القراءة**: العلم. **النُّسك**: العبادة.

(٢) أي: صار مشهورًا معروفًا.

(٣) ليس هٰذا الأمر قاعدةً مضطردة، وإلا فيكون الواجبُ علىٰ كلِّ مشهور أن يهرب من بلده، وكثيرًا ما يكونُ في هٰذا من المشقة والعناء ما فيه، وإنما الواجب علىٰ العبد أن يستعيذ باللَّهِ أولًا من طلب الشهرة، فإذا اشتُهر ـ بقضاء اللَّه وقدره ـ استعاذ بربِّه ثانيةً من عواقبها التي لا تُرضيه ﷻ.

(٤) وهي قصةٌ جليلةٌ طويلة، نذكرها هنا لإتمام الفائدة:

عن جُبير بن حيَّة: أن عمر بن الخطاب ﵁ قال للهُرمزان: أما إذا فُتَّني بنفسك فانصحْ لي، وذٰلك أنه قال له: تكلَّمْ لا بأس، فأمَّنه، فقال الهُرمزان: نعم؛ إن فارس اليوم رأسٌ وجناحان، قال: فأين الرأس؟ قال: بنهاوند مع بنذاذقان، فإن معه أساورةَ كسرىٰ وأهل أصفهان، قال: فأين الجناحان، فذكر الهرمزان مكانًا نسيتُه، فقال الهرمزان: فاقطعِ الجناحين تُوهِنِ الرأس، فقال له عمر ﵁: كذبت ـ يا عدو اللَّه ـ، بل اعمَدْ إلىٰ الرأس فيقطعه اللَّه، وإذا قطعه اللَّهُ عني انفضَّ عني الجناحان، فأراد عمرُ ﵁ أن يسيرَ إليه بنفسه، فقالوا: نذكِّرُك اللَّهَ ـ يا أمير المؤمنين ـ أن تسير بنفسك إلىٰ العجم، فإن أُصبتَ بها لم يكن للمسلمين نظام، ولٰكن ابعث الجنود، قال: فبعث أهل المدينة، وبعث فيهم عبداللَّه بن عمر بن الخطاب، وبعث المهاجرين والأنصار، وكتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري: أن سِرْ بأهل البصرة، وكتب إلىٰ حذيفة بن اليمان: أن سِرْ بأهل الكوفة، حتىٰ تجتمعوا جميعًا بنهاوند، فإذا اجتمعتم، فأميرُكم النعمانُ ابن مقرِّن المُزني، قال: فلما اجتمعوا بنهاوند جميعًا أرسل إليهم بنذاذقان العلجُ: أن أرسلوا إلينا ـ يا معشر العرب ـ رجلًا منكم نكلِّمْه، فاختار الناس المغيرةَ بن شعبة، قال جُبير: فكأنِّي أنظر إليه رجلٌ طويل، أشعرُ أعور، فأتاه، =

= فلما رجع إلينا سألناه، فقال لنا: إني وجدت العلجَ قد استشار أصحابه في أي شيءٍ تأذنون لهٰذا العربي: أبشارتنا وبَهجتنا ومُلكنا، أو نتقشف له، فنزهده عما في أيدينا؟ فقالوا: بل نأذن له بأفضل ما يكون من الشارة والعُدة. فلما أتيتُهم رأيت تلك الحرابَ والدِّرق يلتمعُ منه البصر، ورأيتهم قيامًا علىٰ رأسه، وإذا هو علىٰ سرير من ذهب، وعلىٰ رأسه التاج، فمضيتُ كما أنا، ونكَّستُ رأسي لأقعد معه علىٰ السرير، قال: فدُفعتُ ونُهرتُ، فقلت: إن الرسل لا يُفعل بهم هٰذا، فقالوا لي: إنما أنت كلبٌ، أتقعد مع الملِك؟ فقلت: لأنا أشرفُ في قومي من هٰذا فيكم! قال: فانتهرني، وقال: اجلس، فجلستُ، فتُرجم لي قوله، فقال: يا معشر العرب، إنكم كنتم أطولَ الناس جوعًا، وأعظمَ الناس شقاءً، وأقذرَ الناس قذَرًا، وأبعد الناس دارًا، وأبعده من كل خير، وما كان منعني أن آمر هؤلاء الأساورةَ حولي أن ينتظموكم بالنُّشَّاب إلَّا تنجُّسًا بجِيَفكم لأنكم أرجاس، فإن تذهبوا نُخلِّي عنكم، وإن تأبَوا نُرِكُم مصارعكم، قال المغيرة: فحمدت اللَّهَ وأثنيتُ عليه، وقلت: واللَّهِ ما أخطأتَ من صِفتنا ونعتنا شيئًا، إنْ كنَّا لأبعدَ الناس دارًا، وأشدَّ الناس جوعًا، وأعظم الناس شقاءً، وأبعدَ الناس من كل خير؛ حتىٰ بعث اللَّهُ إلينا رسولًا، فوَعَدنا النصرَ في الدنيا، والجنةَ في الآخرة، فلم نزل نتعرفُ من ربنا ـ مذ جاءنا رسوله ﷺ ـ الفلجَ والنصرَ، حتىٰ أتيناكم، وإنا واللَّهِ نرىٰ لكم ملكًا وعيشًا، لا نرجع إلىٰ ذٰلك الشقاء أبدًا حتىٰ نغلبكم علىٰ ما في أيديكم، أو نُقتل في أرضكم، فقال: أما الأعورُ، فقد صدقكم الذي في نفسه.

فقمتُ من عنده، وقد ـ واللَّهِ ـ أرعبتُ العِلجَ جهدي، فأرسل إلينا العلجُ: إما أن تعبروا إلينا بنهاوند، وإما أن نعبر إليكم، فقال النعمان: اعبُروا، فعَبرنا. قال جُبير: فلم أر كاليوم قط، إن العلوج يجيئون كأنهم جبال الحديد، وقد تواثقوا ألَّا يفرُّوا من العرب، وقد قُرن بعضهم إلىٰ بعض، حتىٰ كان سبعةً في قران، وألقوا حَسَكَ الحديد خلفهم، وقالوا: مَن فرَّ منا عَقَره حسكُ الحديد، فقال المغيرة بن شعبة ـ حين رأىٰ كثرتَهم ـ: لم أر كاليوم فشلًا، إن عدوَّنا يتركون أن يتتامُّوا فلا يعجلوا! أما واللَّهِ لو أن الأمر إليَّ لقد أعجلتهم به. =

= قال: وكان النعمان رجلًا بكَّاءً، فقال: قد كان اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يُشهدك أمثالها فلا يخزيك، ولا يعرِّي موقفك، وإنه ـ واللَّهِ ـ ما منعني أن أناجزهم إلا لشيءٍ شهدته من رسول اللَّه ﷺ، إن رسول اللَّه ﷺ كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار، لم يَعْجَل حتىٰ تحضر الصلوات وتَهُبَّ الأرواح، ويطيبَ القتال، ثم قال النعمان: اللهم إني أسألك أن تُقر عيني اليوم بفتحٍ يكون فيه عزُّ الإسلام وأهلِه، وذلُّ الكفر وأهله، ثم اختم لي علىٰ إثر ذٰلك بالشهادة. ثم قال: أمِّنوا ـ يرحمكم اللَّه ـ، فأَمَّنَّا، وبكىٰ وبكينا. ثم قال النعمان: إني هازٌّ لوائي، فتيسَّروا للسلاح، ثم هازُّهُ الثانية، فكونوا متيسِّرين لقتال عدوكم بإزائهم، فإذا هززتُه الثالثة، فلْيَحْمِل كلُّ قوم علىٰ من يليهم من عدوكم علىٰ بركة اللَّه.

فلما حضرت الصلاة وهبت الأرواح كبَّر وكبَّرنا، وقال: ريحُ الفتح واللَّهِ ـ إن شاء اللَّه ـ، وإني لأرجو أن يستجيب اللَّهُ لي، وأن يفتح علينا. فهز اللواء فتيسروا، ثم هزَّه الثانية، ثم هزه الثالثة، فحملنا جميعًا كلُّ قوم علىٰ من يليهم، وقال النعمان: إن أنا أُصبت فعلىٰ الناس حذيفة بن اليمان، فإن أصيب حذيفة، ففلان، فإن أصيب فلان ففلان، حتىٰ عدَّ سبعة آخرهم المغيرة بن شعبة، قال جُبير: فواللَّهِ ما علمت من المسلمين أحدًا يحبُّ أن يرجع إلىٰ أهله، حتىٰ يُقتل أو يَظفر. وثبتوا لنا، فلم نسمع إلا وقع الحديدَ علىٰ الحديد، حتىٰ أصيب في المسلمين مصابةٌ عظيمة، فلما رأوا صَبْرَنا، ورأونا لا نريد أن نرجع انهزموا، فجعل يقعُ الرجل، فيقع عليه سبعةٌ في قران، فيُقتلون جميعًا، وجعل يعقرُهم حسكُ الحديد خلفهم، فقال النعمان: قدِّموا اللواء. فجعلنا نقدم اللواء فنقتلهم ونضربُهم، فلما رأىٰ النعمانُ أن اللَّهَ قد استجاب له، ورأىٰ الفتح جاءته نُشَّابةٌ، فأصابت خاصرتَه فقتلته، فجاء أخوه معقلُ بن مقرِّن، فسجَّىٰ عليه ثوبًا، وأخذ اللواء، فتقدم به، ثم قال: تقدموا ـ رحمكم اللَّه ـ، فجعلنا نتقدم فنهزمهم ونقتلهم، فلما فرغنا واجتمع الناس، قالوا: أين الأمير؟ فقال معقل: هذا أميركم قد أقر اللَّهُ عينه بالفتح، وختم له بالشهادة، فبايع الناسُ حذيفة بن اليمان.

قال: وكان عمر رضي الله عنه بالمدينة يدعو اللَّه، وينتظر مثل صيحةِ الحُبلَىٰ، فكتب =

يا أمير المؤمنين، ثم لم يُصَبْ من المؤمنين أحدٌ تعرفه، فقال: لا أمَّ لك! وما تصنعون بمعرفة عمر؟ لٰكن يعرفُهم مَن هو خيرٌ لهم مني معرفةً، مَن ساق إليهم الشهادة، وأكرمهم بها».

١٤٥ ـ وقال سَرِيٌّ السَّقَطي: «اجتهِدْ في الخمول؛ فإن أحوالك تُشهِرُك بين أوليائه إذا صحَّ مَقامُك فيها[(١)]».

١٤٦ ـ وقال بِشرٌ الحافي: «اللهم إن كنتَ شهرتَني في الدنيا، لِتَفْضَحَني في الآخرة، فاسلُبْه عني[(٢)]».

١٤٧ ـ وقال الفُضيل: «إن قَدَرتَ ألَّا تُعرف فافعل، وما عليك ألَّا تُعرف! وما عليك ألَّا يُثنَىٰ عليك! وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت محمودًا عند اللَّه ﷻ[(٣)]؟!».

= حذيفة إلىٰ عمر بالفتح مع رجل من المسلمين، فلما قدم عليه قال: أبشر ـ يا أمير المؤمنين ـ بفتحٍ أعز اللَّهُ فيه الإسلام وأهله، وأذلَّ فيه الشرك وأهله، وقال: النعمانُ بعثك؟ قال: احتسِبِ النعمان ـ يا أمير المؤمنين ـ. فبكىٰ عمر واسترجع، وقال: ومَن ـ ويحك ـ؟ فقال: فلان، وفلان، وفلان، حتىٰ عدَّ ناسًا، ثم قال: وآخرين ـ يا أمير المؤمنين ـ لا تعرفهم، فقال: عمر رضي الله عنه ـ وهو يبكي ـ: لا يضرهم ألَّا يعرفهم عمر؛ لٰكنَّ اللَّه يعرفهم». **صحيح**: رواه ابن حِبَّان (٤٧٥٦)، والطبري في «تاريخه» (٤/١١٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/١٢)، **وقوَّاه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن حِبَّان (١١/٧٠).

(١) أي: إن صحت لك تلك الأحوال، ولم تكن مجردَ ادعاءٍ كاذب. وليُعلَمْ أنه ما لبس العبدُ ثوبًا إلا أظهره اللَّهُ تعالىٰ عليه؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

(٢) أي: اسلب عني الشهرة.

(٣) نعم؛ هٰذا الكلام يصح إذا وُضع العبد بين اختيارين: رضا اللَّهِ تعالىٰ، ورضا الناس؛ فلا يحل له إلا أن يُرضي اللَّهَ ﷻ ـ كره من كره، ورضي من رضي ـ، ولا ينفي هٰذا أن الإنسان يحب دومًا أن يكونَ طاهر الساحة نقيَّ السمعة.

١٤٨ ـ وقال أبو يحيىٰ الكُردي: «دُقَّ علىٰ داودَ الطائيِّ بابه، فقال: ليس هٰذا زمانَ تَلَاقٍ، لم يبقَ من الدنيا إلا الهمومُ والأحزان». ودَفَع بابه.

١٤٩ ـ وقال الفضيلُ: «كاملُ المروءة: مَن برَّ والدَيه، وأصلَح ماله، وأنفَق من ماله، وحسَّن خُلُقَه، وأكرمَ إخوانه، ولَزِمَ بيته».

١٥٠ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «ما أجدُ لذةَ راحةٍ، ولا قُرَّةَ عينٍ إلَّا حين أخلُو في بيتي بربِّي، فإذا سمعتُ النداءَ[١] قلت: إنا للَّه وإنا إليه راجعون؛ كراهيةَ أن ألقىٰ الناسَ؛ فيشغلوني عن ربِّي تبارك وتعالىٰ».

١٥١ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «إذا رأيتَ الأَسَد فلا يهُولنَّك، وإذا رأيتَ ابنَ آدم فخذ ثوبَك ثم فِرَّ، ثم فِرَّ، ثم فِرَّ».

١٥٢ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «تباعَدْ من القرَّاء[٢]؛ فإنهم إن أحبُّوك مدَحوك بما ليس فيك، وإن غضِبوا شهِدوا عليك، وقُبِل منهم».

١٥٣ ـ وقال مالكُ بن دينار: «منذُ عَرَفتُ الناس ما أُبالي مَن حَمِدَني، ولا من ذمَّني؛ لأني لا أرىٰ إلَّا من جاء حامدًا مُفرِطًا، أو ذامًّا مُفرِطًا»[٣].

١٥٤ ـ وقال الفضيل: «مَن عَرَف الناسَ استراحَ»[٤].

---

(١) أي: للصلاة.

(٢) **القرَّاء**: العلماء.

(٣) وهٰذا ـ واللَّهِ ـ حالُ أغلب الخلق، من أحبَّك منهم أعطاك فوق حقِّك، وبالغ في مدحك وصداقتك، فإذا رأىٰ منك يومًا أمرًا ـ وقد يكون أمرًا لا بأس به ـ، حوَّره في عقله، وفسَّره حسب رأيه، ثم رأيت منه من الذم المفرط والقطيعة العجيبة ما تَذهَلُ معه من تقلب حاله!

(٤) وللعلامة الكبير البارع الشيخ أبي حمزة عبدالرَّحيم الطحَّان محاضرة بديعة ـ كسائر محاضراته ـ بهٰذا العنوان: «من عرف الخلق استراح»؛ فراجعها علىٰ موقع الشيخ تسمع فيها ما يُبهج ويُسعد.

١٥٥ ـ وقال قاسمٌ الجَوْعي: «السلامةُ كلُّها في اعتزال الناس، والفرحُ كلُّه في الخلوةِ باللَّه ﷻ».

١٥٦ ـ وقال جعفرُ بن سليمان: «رأيتُ مالكَ بنَ دينارٍ جالسًا، وإلىٰ جنبه كلبٌ، فقلت: ما هٰذا ـ يا أبا يحيىٰ ـ؟! قال: هٰذا خيرٌ من جليس السوء».

١٥٧ ـ وقال بشرٌ الحافي: «بي داءٌ حتىٰ أُعالجَ نفسي، فإذا عالجتُ نفسي تفرَّغتُ لغيري. ما أبصَرَني بموضع الداء، وموضع الدواء ـ إن أعانني[1] منه بمعونة ـ! ثم قال: أنتم الداء؛ أرىٰ وجوهَ قومٍ لا يخافون، متهاوِنين بأمرِ الآخرة».

١٥٨ ـ وقال سفيان: «ليس الزهدُ في لُبس الخشِن وأكل الجَشِب[2]، إنما الزهدُ في قِصَر الأمل».

قال بشرٌ: «ما أحسَنَ ما قال أبو عبداللَّه! وأنا أقول: إن الزهدَ في ترك معرفة الناس».

١٥٩ ـ وقال عبدُالعزيز بن عمر ـ وكانت رابعةُ تسمِّيه: «سيد العابدين» ـ: «قيل لعبدالعزيز الراسِبيِّ: ما بقيَ ممَّا يُتلذَّذُ به؟ فقال: سردابٌ[3] أخلو فيه؛ فلا أرىٰ أحدًا حتىٰ أموت».

١٦٠ ـ وعن زيد بن أسلم قال: «سكن رجلٌ المقابر، فعُوتب في ذٰلك، فقال: جيرانُ صِدقٍ، ولي فيهم عِبرة».

١٦١ ـ وقال ثابتٌ: «كان خُليدٌ العَصَريُّ يُصلِّي الغداةَ[4] في نادي قومه،

---

(١) أي: اللَّهُ تعالىٰ.

(٢) **الجَشِب**: الغليظ.

(٣) **السرداب**: الدهليز، أو النفَق.

(٤) وهي صلاة «الفجر»، وتسمىٰ ـ أيضًا ـ: «الصُّبْح». ومن البدع الشائعة: أن =

ثم يذكرُ اللَّهَ حتىٰ تطلُعَ الشمس، ثم يرجع فيأمر ببيتِه فيَقُمُّ(١)، ويغلق بابه، ثم يقول: مرحبًا بملائكة ربي مرحبًا، أمَا ـ واللَّهِ ـ لأُشهِدنكم اليومَ من نفسي خيرًا. بسم اللَّه ـ أو قال: سبحان اللَّه ـ، والحمد للَّه، ولا إلٰه إلا اللَّه، واللَّهُ أكبر، فلا يزال كذٰلك حتىٰ تغلبَه عيناه، أو يخرجَ إلىٰ الصلاة».

١٦٢ ـ وقال حفصُ بن عمر الجُعْفي: «قيل لداودَ بن نُصيرٍ الطائي: لِمَ لا تُسرِّحُ لحيتك؟ قال: الدنيا دارُ مأتم(٢)، قيل له: لِمَ لا تجالسُ الناس؟ فقال: اللهم غَفرًا، إما صغيرٌ لا يوقِّرُك، وإما كبيرٌ يُحصي عليك عيوبك.

قال: وجاء رجلٌ من الأكابر يريد أن يلقاه، فجعل لا يُمكِّنُه(٣)؛ كان يخرج متقنِّعًا بثوبه كأنه خائفٌ، فإذا سلَّم الإمامُ(٤) جاء مسرعًا كأنه رجلٌ هاربٌ حتىٰ يدخلَ بيته».

١٦٣ ـ وقال محمدُ بن حرب: «كتب أبو حفصِ بنُ حُميدٍ إلىٰ أحمد بن حفص البخاري: اعلمْ أني جرَّبتُ من الناس ما لم تجرِّبْ أنت، فلم أجد أخًا سَتر عليَّ عورة، ولا غَفر لي ذنبًا فيما بيني وبينه، ولا أَمِنتُه إذا غضب، ولا وَصَلني إذا جفوتُه(٥)، فالاشتغالُ بهٰؤلاء حُمقٌ كبير، فالاشتغالُ

= بعضهم يعتقد أن «الفجر» هي التي تصلّىٰ في وقتها المعروف ـ قبل الشروق ـ، بينما «الصبح» هي التي تصلّىٰ بعد الشروق! وهٰذا كلام باطلٌ لا أصل له.

(١) يَقُمُّ: يَكنس وينظِّف.

(٢) داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعلم بحاله ـ إن صح عنه الأثر ـ، لٰكن التأنق المعتدل والاعتناء بالنفس أمرٌ محبوب شرعًا، ولم يعرف عن النبي ﷺ ـ وهو سيد الزاهدين ـ أنه كان يخرج لأصحابه شعث اللحية والرأس، بل الظاهر من حاله ﷺ التجمُّل المعتدل، والنظافة التامة عليه صلواتُ ربي وسلامه دومًا وأبدًا.

(٣) أي: لا يمكِّنه من مقابلته.

(٤) يعني من صلاةِ الجماعة.

(٥) أي: ولا وصلني إذا قطعته وابتعدتُ عنه.

بهٰؤلاء حُمقٌ كبير، فالاشتغالُ بهٰؤلاء حُمقٌ كبير».

١٦٤ ـ وقال الشعبيُّ: «ما جلس رَبيعُ بنُ خُثيمٍ علىٰ مجلس ولا علىٰ ظَهر طريقٍ كذا وكذا[١]، قال: أخافُ أن يُظلَمَ رجلٌ فلا أنصره، وأن يفتريَ رجلٌ علىٰ رجل فأُكلَّفَ الشهادة، أو يُسلَّمَ عليَّ فلا أردَّ السلام[٢]، أو يقعَ عن حاملةٍ حِملُها فلا أحْمِلها».

١٦٥ ـ وقال مجاهدٌ: «سأل يحيىٰ بن زكريا ربَّه ﷻ؛ قال: ربِّ، اجعلني أَسلمُ من[٣] ألسنةِ الناس، ولا يقولون فيَّ إلَّا خيرًا، فأوحىٰ اللَّهُ ﷻ إليه: يا يحيىٰ، لم أجعل هٰذا لي؛ فكيف أجعلُه لك؟».

١٦٦ ـ وقال سفيان الثوري: «رضا الناس غايةٌ لا تُدرَك، وطلبُ الدنيا غايةٌ لا تدرَك».

١٦٧ ـ وقال: «رضا المُتمنِّي[٤] غايةٌ لا تدرَك»[٥].

١٦٨ ـ وقال جريرُ بن حازم: «قيل للحسن البصري: إن الناس يأتُون مجلسَك ليأخذوا سَقَطَ كلامك، فيَجِدُّون [في] الوقيعةِ فيك[٦]، فقال: هوِّنْ عليك؛ فإني أطمعتُ نفسي في جِوارِ اللَّهِ فطَمِعَتْ، وأطمعتُ نفسي في الجِنانِ فطَمِعَتْ، وأطمعتُ نفسي في الحُور العِينِ فطَمِعَت، وأطمعتُ نفسي في السلامة من الناس؛ فلم أجد إلىٰ ذٰلك سبيلًا! إني لمَّا رأيتُ الناس لا يَرضَون عن خالقهم[٧]، علمتُ أنهم لا يرضَون عن مخلوقٍ

(١) أي: سنوات عديدة.
(٢) يقصد: سهوًا ونسيانًا.
(٣) في المطبوع: «علىٰ»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.
(٤) **المتمني**: صاحب الآمال العريضة.
(٥) لأنه إذا تمنىٰ شيئًا وناله، تمنىٰ غيره وغيره وغيره، فمتىٰ يرضىٰ؟!
(٦) أي: يأخذون بعض زلل كلامِك ليشهِّروا به عليك ويطعنوا فيك.
(٧) أي: لا يقنعون بما قسم اللَّهُ لهم.

مثلِهم».

١٦٩ - وحكىٰ يونسُ بنُ عبدِالأعلىٰ عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن رجلينِ كانا يتعاتبانِ - والشافعيُّ يسمعُ كلامهما -، فقال لأحدهِما: إنك لا تقدرُ تُرضي الناسَ كلَّهم؛ فأصلِحْ ما بينك وبين اللَّه عَزَّوَجَلَّ، فإذا أصلحتَ ما بينك وبين اللَّه عَزَّوَجَلَّ فلا تُبالِ بالناس».

١٧٠ - وقال الشافعيُّ - أيضًا -: «طُبع ابنُ آدم علىٰ اللؤم، فمِن شأنه أن يتقرَّب ممن يتباعدُ منه، ويتباعدَ ممن يتقربُ منه[١]».

١٧١ - وقال إبراهيمُ بن بشَّار - خادمُ إبراهيم بن أدهم[٢]-: «فِرُّوا من الناس؛ أوصانا إبراهيمُ بن أدهم قال: أقِلُّوا معرفةَ الناس، ولا تَعرَّفوا إلىٰ مَن لم تعرفوه، وأنكِروا من تعرفونه[٣]».

١٧٢ - وقال إبراهيمُ بن بشَّار - أيضًا -: «أوصانا إبراهيمُ بنُ أدهم قال: فِرُّوا من الناس كفراركم من السَّبُعِ الضاري[٤]، ولا تَخلَّفوا عن الجُمعة والجماعة».

١٧٣ - وقال السَّرِيُّ السَّقَطيُّ: «لولا الجمعةُ والجماعة لطيَّنتُ عليَّ الباب[٥]».

١٧٤ - وكان يقول: «إني إذا نزلتُ أريدُ صلاةَ الجماعة أذكرُ مجيءَ

---

(١) ولا يكون هٰذا إلا فيمن يتعاملون مع بعضهم من أجل المصالح، لا من أجل اللَّهِ تعالىٰ والحبِّ فيه حقًّا.

(٢) وتأملوا كيف يكون انتفاع الخادم من سيده الصالح!

(٣) أي: ادَّعُوا عدم معرفته، وهٰذا الكلام خاصٌّ بغير الإخوة في اللَّه، أو بالذين لا يقربون العبد من ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

(٤) **الضاري**: الشرس الفتَّاك.

(٥) أي: لجعلته حائطًا لا يصلح لدخول ولا خروج.

الناس إليَّ، فأقول: اللهمَّ هَبْ لهم عبادةً يجِدُون لذتَها تَشغلُهم بها عني».

١٧٥ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «مَن أراد أن يَسلَمَ دينُه، ويستريحَ قلبُه وبدَنُه، ويَقِلَّ غَمُّه؛ فلْيعتزلِ الناس؛ لأن هٰذا زمانُ عزلةٍ ووِحدة ـ أو قال: فإن هٰذا زمانُ وَحشة ـ، والعاقلُ مَن اختار منها الوحدة».

١٧٦ ـ وقال سيَّارُ بنُ جعفر: «قلت لمالكِ بن دينار ـ حين ماتت أم يحيىٰ[١] ـ: يا أبا يحيىٰ، لو تزوجتَ! قال: لو استطعتُ لطلَّقتُ نفسي[٢]».

١٧٧ ـ وقال بِشرُ بن الحارث: «حُبُّ الدنيا حبُّ لقاءِ الناس، والزهدُ في الدنيا الزهدُ في لقاء الناس».

١٧٨ ـ وقال محمدُ بن حامد: «جاء رجلٌ إلىٰ زيارةِ أبي بكر الورَّاق، فلما أراد أن يرجع قال له: أوصِني، فقال: وجدتُ خيرَ الدنيا والآخرةِ في الخَلوة والعزلة، ووجدتُ شرَّهُما في الكثرةِ والاختلاط».

١٧٩ ـ وقال العباسُ الدامغاني: «أوصاني الشِّبْليُّ، فقال: الزم الوِحدة، وامحُ اسمَك عن القوم[٣]، واستقبل الجدارَ حتىٰ تموت[٤]».

١٨٠ ـ وقال ذو النون المصريُّ: «مَن نظر في عيوب الناس عَمِيَ عن عيوب نفسه، ومَن عُني بالنار والفردوسِ شُغل عن القال والقيل، ومَن هرب من الناسِ سَلم من شرورهم، ومَن شَكَر زِيدَ[٥]».

١٨١ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «ثلاثةٌ من أعلام الخمول[٦]: تركُ الكلام لمن

---

(١) زوجة مالك.
(٢) أي: لو استطعت لفارقتُها، كيلا تشغلني عن ربِّي ﷻ.
(٣) أي: حاول ألَّا يعرفوك.
(٤) أي: الزم الصلاة ـ فرضًا ونفلًا ـ إلىٰ آخر العمر.
(٥) أي: زاده اللَّهُ تعالىٰ من فضله.
(٦) أي: من علامات الاختفاء وعدم طلب الشهرة.

يكفيهِ[١]، ونفيُ الحِرصِ في إظهار العلم عند القرناء[٢]، ووَجْدُ الألَم لكراهيةِ الكلام عند المحاورة[٣] والموعظة[٤]».

١٨٢ ـ وقال ـ أيضًا ـ «الاستئناسُ بالناس من علامة الإفلاس»[٥].

١٨٣ ـ وعن يحيىٰ بنِ معاذٍ قال: «الوحدةُ مُنيةُ[٦] الصِّديقين، والأُنسُ بالناس وحشتُهم».

١٨٤ ـ وقال أبو يعقوب السُّوسي: «الانفرادُ لا يَقوَىٰ عليه إلا الأقوياءُ من الرجال، ولأمثالنا الاجتماعُ أنفع، يعملُ بعضُهم علىٰ رؤية بعض[٧]».

١٨٥ ـ وقال أبو عثمانَ المَغرِبي: «مَن اختار الخَلوةَ علىٰ الصُّحبة ينبغي أن يكون خاليًا من جميعِ الأذكار إلَّا ذِكرَ ربِّه، وخاليًا من جميع الإرادات[٨] إلا مرادَ ربه، وخاليًا من مُطالبة النفس من جميعِ الأسباب[٩]؛ فإن لم يكن بهٰذه الصفة، فإنَّ خلوتَه توقعُه في فتنةٍ وبليَّة».

---

(١) أي: تترك الكلام الذي تريد أن تقوله؛ إذا رأيتَ غيرك قال مثله، وكفاك إياه.

(٢) أي: لا تحرص علىٰ إظهار ما عندك من العلم عند أصحابك، لتبين لهم أنك مُجِدٌّ مجتهد.

(٣) في المطبوع: المجاورة، ولعلَّ الأصح ما أثبتُّه.

(٤) لعله يقصد: أن تتألَّم إذا أُرغمت علىٰ الكلام في المحاورات والمواعظ، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٥) الاستئناس بالخلق أمرٌ فطري، وإنما المقصود الاستئناس بهم فيما يعود علىٰ العبد بالخسران.

(٦) **المُنية**: الأمنية.

(٧) في المطبوع: «يعملون بعضهم علىٰ بعض». والتصحيح من «الرسالة القشيرية». والمقصود: الانتفاع بمجالسة الصالحين، أما الاجتماع مع أهل الدنيا فلا.

(٨) **الإرادات**: الأهداف والغايات.

(٩) أي: وإن أخذ بالأسباب في أمرٍ فلا يتعلق بها، ولا يعتمد عليها؛ وإنما يعتمد علىٰ مسبِّبها ﷻ.

١٨٦ ـ وسُئل أبو محمد الجُريري عن العزلة، فقال: «الدخول بين الزحام[١]، وتحفظُ سِرَّك[٢] ألَّا يُزاحِموك، وتعتزلُ نفسَك عن الآثام، حتىٰ يكون سِرُّكَ مربوطًا بالرب ﷻ[٣]».

١٨٧ ـ وعن ابن مسعود ﷺ قال: «خالطوا الناس، وزايلوهم[٤]، وصافُوهم[٥] بما يشتهون[٦]، ودينُكم لا تَكْلَمُونه[٧]».

١٨٨ ـ وعن عليٍّ ﷺ أنه قال: «خالطوا الناسَ بألسنتكم وأجسادِكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم؛ فإنَّ لامرئٍ ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع مَن أحب».

١٨٩ ـ ورُوينا عن النبي ﷺ قال: «**المسلمُ الذي يُخالِطُ الناسَ ويصبرُ علىٰ أذاهم، أفضلُ من الذي لا يُخالطُ الناس، ولا يصبرُ علىٰ أذاهم**»[٨].

---

(١) أي: أن تختلط بالناس، فلا تميِّز نفسك عنهم لتشتهر.

(٢) **السِّر**: القلب والنية.

(٣) وعلىٰ هٰذا يكون الجريري ﷺ فسَّر العُزلة بـ«العُزلة المعنوية»، أن تكون بين الناس، لٰكن لا تتأثر بهم وكأنك لست بينهم، وهٰذا لا يقدر عليه جُلُّ الخلق. واللّٰهُ تعالىٰ أعلم.

(٤) **زايلوهم**: فارقوهم. والمقصود كالتعليق السابق.

(٥) في المطبوع: «وصافحوهم»، والأصح ـ إن شاء اللّٰه ما أثبتُّه ـ، وقد رأيتُه في بعض المصادر الأخرىٰ.

(٦) وإنما تكون مصافاة الناس فيما يشتهون: إذا لم يكن ما يشتهونه حرامًا، أما إذا أرادوا الحرام، فلنتلطف معهم في نَهيهم عنه، فإذا أصرُّوا وتمادَوا علىٰ العصيان، فارقناهم غيرَ حزانَىٰ عليهم ولا ندامَىٰ؛ فلا خير ـ وربي ـ في اجتماعٍ علىٰ مغاضب الرب تعالىٰ.

(٧) **الكَلْم**: الجَرح، والمراد: لا تخدشوا دينكم بمعصيةٍ.

(٨) **صحيح**: رواه أحمد (٤٣/٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، والترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (٨٦٧)، =

وكلُّ ذٰلك في مسلمٍ لا يمنعُه مخالطةُ الناس ومعاشرتُهم عن عبادة اللَّه تعالىٰ وإخلاصِ العملِ للَّه ﷻ، فإن كان ذٰلك يمنعُه منه، وإذا عَزَلهم اشتَغل بالعبادة، وتفرَّغ لها، فاعتزالُهم والاشتغال بالعبادة أولىٰ، واللَّهُ أعلم.

١٩٠ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: قام فينا رسولُ اللَّه ﷺ خطيبًا، فكان من خطبته أن قال: «**أَلَا إني أُوشِكُ أن أُدعىٰ فأجيب، فيَلِيكم عُمَّالٌ من بعدي، يقولون بما يعلمون، ويعملون بما يعرفون**[١]**، وطاعةُ أولٰئك طاعة [للَّه]، فيَلبثون كذٰلك دهرًا، ثم يليكم عمَّالٌ مِن بعدهم، يقولون ما لا يعلمون، ويعملون ما لا يعرفون**[٢]**، فمَن ناصحهم ووازَرهم**[٣] **وشدَّ علىٰ أعضادهم، فأولٰئك قد هلكوا. خالِطوهم بأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم، واشهَدوا علىٰ المحسن بأنه مُحسن، وعلىٰ المسيء بأنه مسيء**»[٤].

١٩١ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يا أبا ذرٍّ، كيف أنتَ إذا كنت في حُثالةٍ**[٥]**؟**» ـ وشبَّك بين أصابعه ـ، قلت: يا رسول اللَّه، ما تأمرني؟ قال: «**اصبر اصبر، خالِقوا الناسَ بأخلاقهم**[٦]**، وخالِفوهم في**

= والبيهقي في «السنن» (١٠/٨٩)، وفي «شُعب الإيمان» (٨١٠٢)، وفي «الآداب» (٢٢٦)، وأبو محمد البغوي في «شرح السنة» (٣٥٨٥)؛ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٩/٦٤).

(١) أي: هم علىٰ الحق والسُّنَّة.

(٢) أي: ما لا يعرفونه ثابتًا في الشرع المطهر، كالبدع.

(٣) **وازَرَهم**: ساندهم وأعانَهم.

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٩٨٨)، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٥/٤٢٦)، بينما **صحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤٥٧)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٢/١٣٠).

(٥) **الحُثالة**: الرديء من الشيء. والمراد: العصاة المنحرفون.

(٦) أي: عاملوهم حسب طباعهم.

أعمالِهم»[١].

١٩٢ ـ وقال ذو النون: «مَن عرف ربَّه، وَجد طعمَ العبودية ولذةَ الذِّكرِ والطاعة، فهو بين الخلقِ ببدنِه؛ قد نأىٰ[٢] عنهم بالهموم والخطَرات[٣]».

١٩٣ ـ وقال سفيان بن عُيينة: «لمَّا بلغتُ خَمْسَ عشْرة سنةً قال لي أبي: يا بني، قد انقطعتْ عنك شرائعُ الصِّبا[٤]، فاختلِطْ بالخير تكنْ من أهله، ولا تُزايلْه فتبَينَ منه، ولا يغرَّنَّكَ مَن مَدَحَك بما تعلمُ أنت خلافَه منك[٥]؛ فإنه ما مِن أحدٍ يقول في أحدٍ من الخير ما لم يعلمْ منه؛ إلا قال فيه ـ عند سَخَطِه عليه ـ من الشر علىٰ قدْر ما مدحه[٦]. واستأنِسْ بالوحدةِ مِن جُلساء السوء، ولا تَنقُل أحسنَ ظني بك إلىٰ أسوإِ ظني بمن هو دونك[٧]. واعلم أنه لن يَسعدَ بالعلماء إلَّا من أطاعهم؛ فأطِعْهُم تسعَدْ، واخدُمْهم تقتبس من علمهم.

---

(١) **ضعيف**: رواه الحاكم (٣/٣٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٠)، **وصحَّحه** الحاكم، **فتعقبه** الذهبي، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/٥٥٤)، والشيخ حسين الداراني في تحقيقه (١٥/٣٠٣).

(٢) **نأىٰ**: ابتعد.

(٣) أي: ابتعد عنهم لانشغاله بهَمٍّ أكبر، وهو إرضاء اللَّهِ ﷻ، وحفاظًا علىٰ قلبِه أن يصيبها خطراتٌ لا تُرضي معبوده، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٤) أي: أيام الطيش واللهو. وكثيرٌ من أهل زماننا يتعدىٰ أحدهم الثلاثين ـ بل ما فوقها ـ، ثم يزعم أنه يريد التمتع بالحياة!

(٥) أي: لا تغتر بمدح المادح لك، ما دمت تعلمُ تقصيرك وتفريطك في حقِّ ربِّك ﷻ.

(٦) أي: إذا مدحك أحدٌ نفاقًا بما لا يعلمُه فيك، أوشك أن يطعن فيك بما ليس فيك، فإن المنافق يتلَّون كل ساعة.

(٧) أي: لا تجعلني ـ بعدما أحسنتُ ظني بك ـ أرىٰ منك ما يجعلني أُسيءُ الظن بك أكثر من إساءتي بمن هو دونك في الصلاح، واللَّهُ أعلم.

قال سفيان: فجعلتُ وصية أبي قِبلةً أميلُ إليها، ولا أَعدِلُ عنها[١]».

١٩٤ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مرَّ عمرُ بمعاذٍ وهو يبكي، قال: يا معاذ، ما يبكيك؟ قال: حديثٌ سمعتُه من صاحب هٰذا القبر ـ يعني النبي ﷺ ـ، يقول: «**إن أدنىٰ الرياءِ شِركٌ، وإنَّ أحبَّ العبادِ إلىٰ اللَّه الأتقياءُ الأخفياء، الذين إذا غابُوا لم يُفتَقَدوا[٢]، وإذا شَهِدوا لم يُعرفوا[٣]، أولٰئك أئمةُ الهدىٰ، ومصابيحُ العلم**»[٤].

١٩٥ ـ وعن أبي أمامةَ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إنَّ من أغبطِ الناس[٥] عندي ذا حظٍّ من صلاةٍ، أطاع ربَّه، وأكثَرَ عبادتَه في السر، وكان لا يُشار إليه بالأصابع، وكان غامضًا في الناس[٦]، وكان عيشُه كَفافًا، عُجِّلت منيَّتُه[٧]، وقلَّ تُراثُه[٨]، وقلَّ بَواكِيه[٩]**»[١٠].

---

(١) **أعدل**: أبتعد. وهٰكذا تكون وصايا الآباء المتقين لأبنائهم الصالحين.

(٢) أي: إن غابوا لم يفتقدهم الناس لأنهم أخفياء لا يُعرفون.

(٣) أي: وإن حضروا مجلسًا لم يعرفهم أحدٌ؛ لعدم شهرتِهم بين الخلائق.

(٤) **ضعيف**: رواه ابن ماجه (٣٩٨٩)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٦)، وفي «التواضع والخمول» (٨)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٧٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٣٢١)، والحاكم (١/٤)، وتمام في «فوائده» (١٦٧٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٥)، والبيهقي في «الشُّعب» (٦٨١٢)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي! بينما **ضعَّفه** الإمام البوصيري في «زوائد ابن ماجه»، والشيخ الألباني عنده ـ أيضًا ـ، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن ماجه (٥/١٢٦).

(٥) أي: أسعدهم.

(٦) **غامضًا**: لا يُعرف.

(٧) **المَنيَّة**: الموت.

(٨) **التُّراث**: المال المتروك للورثة؛ فهو لم يتركْ شيئًا لأنه فقيرٌ معدم.

(٩) أي: لعدم معرفة أحدٍ به.

(١٠) **ضعيف جدًّا**: رواه أحمد (٥/٢٥٢)، والحُميدي (٩٠٩)، وابن المبارك في =

١٩٦ ـ وعن جابر بن عبداللَّه ﵄ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إن الإسلامَ بدأ غريبًا، وسيعودُ كما بدأ، فطُوبىٰ للغرباء**»، قالوا: ومَن هم ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**الذين يَصلُحون حين يفسُدُ الناس**»[(١)].

١٩٧ ـ وفي لفظٍ آخر عن أبي الدرداء، وأبي أمامة، وأنس بن مالك، وواثلةَ بنِ الأسقع ﵃ ـ هٰكذا جميعًا ـ: «**الذين يَصلُحون إذا فَسد الناسُ، ولا يُمارُون**[(٢)] **في دين اللَّه، ولا يُكفِّرون أهلَ القبلةِ بذنْبٍ**»[(٣)].

١٩٨ ـ وعن ابن عمر ﵄ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعودُ كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء، ألا لا غربةَ علىٰ مؤمنٍ ما مات**

= «الزهد» (١٩٦ ـ زوائد نُعيم)، والترمذي (٢٣٤٧)، وابن ماجه (٤١١٧)، والحاكم (١٢٣/٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٣٥١)، والآجري في «الغرباء» ص(٤٧)، والخطابي في «العزلة» (رقم: ١٠٩ ـ تهذيبي، ط: دار ابن رجب)، وصحَّحه الحاكم، **وضعَّفه** الذهبي، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «**ضعيف جدًّا شبه موضوع**». **وضعَّفه** الشيخ الألباني ـ أيضًا ـ.

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٩١٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٨٩)، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (١٧٣)، وابن بشران في «الأمالي» (١٩٤). وقال الهيثمي في «المجمع» (٥٤٦/٧): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عبدُاللَّه بن صالح ـ كاتب الليث ـ، وهو ضعيفٌ وقد وُثِّق» اهـ. **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٢٧٢)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢٩١/١٥).

(٢) **يُمارون**: يجادلون.

(٣) **ضعيف جدًّا**: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٢/٨)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (٢٢٦/٢)، والآجري في «الغرباء» (٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧٠/٣٣)، وهو حديث طويل، وذكر الإمام الهيثمي في «المجمع» (٣٨٨/١) أن أحد رواته **ضعيفٌ جدًّا**. وكذا **ضعَّفه** الشيخ حسين الاراني في تحقيق «المجمع» (٢٢٨/١٥).

مؤمنًا»[(١)].

١٩٩ ـ وفي لفظٍ آخر عنه رضي الله عنه: «**إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعودُ كما بدأ؛ يأرِزُ**[(٢)] ـ يعني بين المسجدين ـ **كما تأرِزُ الحَيَّةُ في جُحرها**»[(٣)].

٢٠٠ ـ وعن عبداللَّه بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: كنَّا عند النبي ﷺ، فطَلَعت الشمسُ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**يأتي اللَّهُ بقومٍ ـ يوم القيامة ـ نورُهم كنور الشمس**»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنحن هم ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**لا؛ ولكم خيرٌ كثير، ولٰكنَّهم فقراءُ المهاجرين**[(٤)] **الذين يُحشَرون من أقطار الأرض**». ثم قال: «**طوبىٰ للغرباء، طوبىٰ للغرباء**»، قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**ناسٌ صالحون قليل، في ناسٍ سَوءٍ كثير؛ من يعصيهم أكثرُ ممَّن يُطيعُهم**[(٥)]»[(٦)].

---

(١) رواه مسلم (١٤٦). دون قوله: «**ألا لا غربة...**». وهو لفظٌ **ضعيف**، جاء من وجهٍ مرسل، كما في «كشف الخفا» (١/٣٣٢)، و«نظم المتناثر» (٣٣).

(٢) **يأرِز**: يجتمع وينضمُّ.

(٣) رواه مسلم (١٤٦).

(٤) يقصد الذين هجروا أوطانَهم عامةً، وليس المقصود منهم المهاجرين الأولين من مكة علىٰ الأخص.

(٥) جاءت الجملة الأخيرة في مطبوع «الزهد»: «**في ناسٍ كثير في بعضِهم أكثر من بعض**»! والظاهر أنه تحريف، والمثبت من رواية الإمام أحمد في «مسنده»، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٦) **حسن**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٧٧٥)، وأحمد (٢/٢٢٢)، والآجري في «الغرباء» (٦) ـ بذكر القسم الأول منه فقط ـ، وعزاه الحافظ المنذري في «الترغيب» (٤٨١٨) للطبراني، وأورد الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/٢٧٨) القسم الأول منه فقط، **وضعَّفه**، بينما قال الإمام المنذري: «أحد إسنادي الطبراني رواته رواة الصحيح»، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (١١/٢٣٢)، والشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣١٨٨)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/٣٠٠).

وفي لفظٍ آخر: قيل: يا رسول اللَّه، ومن الغرباء؟ قال: «**الفرَّارُون بدينهم، يبعثُهم اللَّهُ مع عيسىٰ ابن مريم**»(١).

٢٠١ ـ وعن عَمرِو بن عوفٍ المُزَنيِّ ﷺ، عن النبي ﷺ: «**إن هٰذا الدينَ بدأ غريبًا، وسيعودُ كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء**»، فقيل: يا رسول اللَّه، ومن الغرباء؟ قال: «**الذين يُحيُون سُنَّتي، ويعلِّمونها عبادَ اللَّه**»(٢).

٢٠٢ ـ وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إن الإسلامَ بدأ غريبًا، وسيعودُ غريبًا، فطوبىٰ للغرباء**». قيل: يا رسول اللَّه ﷺ، ومن الغرباء؟ قال: «**النُّزَّاعُ من القبائل**»(٣).

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد في «الزهد» (٨٠٩)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٦)، والآجُري في «الغرباء» (٣٧)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ٢٥)، وابن بطة في «الإبانة» (٧٧١)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٨٥٩)، و«ضعيف الجامع» (١٧١)، وكذٰلك **ضعَّفه** الشيخ عامر بن ياسين في تحقيقه القيم لـ«مدارج السالكين» (٣/١٧٠).

(٢) **ضعيف**: رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/٢٠٨٠)، والبزار (٣٢٨٧ ـ زوائده)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٥٢)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٢٣)، والهروي في «ذم الكلام» (١٤٧٩)، والقاضي عياض في «الإلماع» (١٨)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٩٠٢) ـ وفيه زيادةٌ ومغايرة في اللفظ ـ، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ مشهور حسن في تحقيق «إعلام الموقِّعين» (٣/٤٦٨)، وهٰذا التخريج مستفادٌ منه. وكذا **ضعَّفه جدًّا** الشيخ عامر بن ياسين في تحقيقه لـ«مدارج السالكين» (٣/١٧٠)، وقد وقع له وهمٌ في التخريج؛ فليُراجَع.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/٣٩٨)، وابن أبي شيبة (١٣/٢٣٦)، والترمذي (٢٦٢٩)، وابن ماجه (٣٩٨٨)، والدارمي (٢٧٩٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٨٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٨١)، والشاشي (٧٢٩)، والآجري في «الغرباء» (١، ٢)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (٦/٣٢٥)، بينما **ضعَّف** الشيخ الألباني =

«النُّزَّاعُ»: جمع «نزيع»، هو الغريبُ الذي نَزع[١] من أهلِه وعشيرته.

وأراد بقوله: «**فطوبىٰ للغرباء**»: المهاجرين الذي هَجَروا أوطانهم في اللَّه ﷻ.

٢٠٣ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَن تَمسَّك بسُنتي عند فساد أمتي؛ فله أجرُ مِئةِ شهيد**»[٢].

٢٠٤ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**الناسُ كالإبل المِئة، لا يَجدُ الرجلُ فيها راحلة**[٣]»[٤].

قال الأَزهريُّ ـ حكايةً عن العُتبي ـ: «إن النبي ﷺ أراد بهٰذا أن الناس

= جُملة «**النزَّاع من القبائل**» في «ضعيف ابن ماجه» (٨٦٢).

(١) **نزع**: خرج وفارق.

(٢) **ضعيف جدًّا**: رواه ابن عدي في «الكامل» (٣٢٧/٢)، وابن بشران في «الأمالي» (٩٣/١) و(١٤١/٢)، والدقاق في «مجلس في رؤية اللَّه ﷻ» (٥٠٣)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (٣٠)، و«الضعيفة» (٣٢٦).
ورواه ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ: أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٢٠٠/٨)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤١٤)، وقال الإمام المنذري في «الترغيب» (٦٥): «**إسناده لا بأس به**»، بينما قال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤١٨/١): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه محمد بن صالح العدوي، ولم أر من ترجمه، وبقية رجاله ثقات»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٩١٨)، و«الضعيفة» (٣٢٧)، وكذا الشيخ الداراني في تحقيق «المجمع» (٢٦٠/٢).
تنبيه: لفظ رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «**فله أجرُ شهيد**»، بخلاف رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أي: الناس كمئةٍ من الإبل متقاربة، قلَّ أن تجدَ فيها ناقةً قويةً متميزةً عن صاحباتها، وهٰذا بيان لحال أغلب الناس في ضعف إيمانِهم وتكاسُلهم عن طاعةِ اللَّهِ تعالىٰ، وهٰذا هو الأصح ـ كما سيأتي قريبًا ـ.

(٤) رواه البخاري (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٧).

متساوون في النسَب، ليس لأحدٍ منهم فضل، ولٰكنهم أشباهٌ كإبلٍ مئةٍ، ليس فيها راحلة».

قال الأزهري: «والذي عندي فيه: أن اللَّه تعالىٰ ذمَّ الدنيا، وحذَّر العباد سوء مَغِبَّتِها[1]، وضَرَبَ لهم فيها الأمثالَ ليعتبروا، كقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾ [يونس: ٢٤] ـ وما أشبَهها من الآي ـ، وكان النبيُّ ﷺ يحذِّرُهم ما حذَّرهم اللَّهُ، ويُزهِّدُهم فيها، فقال: «**يَجِدُون**[2] **الناسَ بعدي كإبلٍ مِئةٍ؛ ليس فيها راحلةٌ**»، أراد أن الكاملَ في الزهدِ في الدنيا، والرغبةِ في الآخرة قليل».

وذكر أبو سليمان الخطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المعنيين، فقال: «هٰذا يُتأوَّلُ علىٰ وجهين:

أحدهما: أن الناسَ في أحكام الدِّين سواء، لا فضلَ فيها لشريف، ولا لرفيعٍ منهم علىٰ وضيع؛ كالإبل المئةِ لا يكون فيها راحلةٌ ـ وهي الذَّلولُ التي تُرحَّل[3] وتُركب ـ.

والوجه الآخر: أن أكثرَ الناس أهلُ نقصٍ وجهل؛ فلا تستكثِرْ من صحبتهم، ولا تؤاخ منهم إلا أهلَ الفضل، وعددُهم قليلٌ بمنزلة الراحلة في الإبل الحَمُولة[4]؛ ودليل ذٰلك قول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٧﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۝١١١﴾ [الأنعام]، وترجمةُ المتقدِّمين لهٰذا الحديث بباب ذمِّ الناس وعَزلهم[5] تدلُّ علىٰ [ذٰلك]».

---

(١) **المَغِبة**: العاقبة.
(٢) في المطبوع: «**لا يجدون**»! والصحيح حذف «**لا**»، والعلمُ عنه اللَّه تعالىٰ.
(٣) **تُرحَّلُ**: يوضع عليها الرِّحال ـ الأمتعة ـ.
(٤) **الحمولة**: القوية التي تحمل المتاع.
(٥) أي: اعتزالهم. واللَّهُ أعلم.

٢٠٥ ـ وعن مِرداسٍ الأسلميِّ ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**يَذهبُ الصالحون ـ الأولُ فالأول ـ، وتبقىٰ حُفالةٌ**[(١)] **مثلُ حُفالةِ الشعير ـ أو التمر ـ؛ لا يُباليهم اللَّهُ بالًا**[(٢)]»[(٣)].

٢٠٦ ـ وعن أبي وائلٍ قال: «مَثَلُ قرَّاءِ الزمان كمَثَل غنمٍ ضوائنَ[(٤)] ذواتِ صوفٍ عِجافٌ[(٥)]، أكلت منَ الحَمِض[(٦)]، وشربت من الماء حتىٰ انتفخت خواصرها[(٧)]، فمرَّت برجلٍ فأعجبته[(٨)]، فقام إليها، فمسَّ شاةً منها، فإذا هي لا تُنقِي[(٩)]، ثم مسَّ أخرىٰ فإذا هي كذٰلك، قال: كلٌّ لا خيرَ فيه».

٢٠٧ ـ وعن شقيقٍ قال: «ما شبَّهتُ أهلَ الزمان إلا بدرهمٍ دَلكتُه، فبدت حُمرتُه»[(١٠)].

٢٠٨ ـ وقال ابن أبي بكرٍ الورَّاق: «ما بقي منَ العزلة إلا وله مثالُ المتمنِّي»[(١١)].

---

(١) **الحُفالة** ـ كالحثالة ـ: الرديء من كل شيء.
(٢) أي: يعرض عنهم سبحانه، ويسقطون من عينه.
(٣) رواه البخاري (٤١٥٦).
(٤) **الضَّوائن**: السمينة. ويقصد: ظاهرها الخير.
(٥) **العِجاف**: الهزيلة الضعيفة. ويقصد أنها في الحقيقة ضعيفة العقل والإيمان.
(٦) **الحَمِض**: المالح. ويقصد: انغماسها في الخطايا والمخالفات.
(٧) **الخواصر**: جوانب البطون.
(٨) أي: لسِمَنِها.
(٩) **لا تُنقي**: لا نخاع في عظمها. وهي علامةٌ علىٰ فساد الباطن.
(١٠) أي: درهمٌ مزيَّف.
(١١) كذا في المطبوعات والمخطوط ـ كما بيَّن محقق طبعة دار الجنان ـ، ولعله يقصد: صارت العزلةُ أمنية، لكثرة الأشغال وطلب الأرزاق، ممَّا يستدعي الاختلاط بالناس، أو لكثرة أصحاب الحاجات إليك. والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

٢٠٩ ـ وعن عائشة ﵂ قالت: قال لَبيد:

ذَهب الـذيـن يُعـاشُ في أكـنافِهم ... وبَقِيتُ في خَلْفٍ كجِلدِ الأجربِ[(١)]

يــتحـدَّثـونَ مخافــةً ومَلامــةً ... ويُعـابُ قـائلُهم وإن لم يَـشغَبِ[(٢)]

ثم تقول عائشة ﵂: كيف لو أدرك لبيدٌ مَن نحن بين ظَهرانَيه؟

ويقول الزهري: كيف لو أدركت عائشةُ مَن نحن بين ظهرانَيه؟

وقال مَعمَر: كيف لو أدرك الزهريُّ مَن نحن بين ظهرانَيه؟».

٢١٠ ـ وأنشد بشرُ بن الحارث:

ذَهب الذيـن يُعاشُ في أكنافِهم ... والمنكِـرونَ لكـلِّ أمـرٍ مُنكَـرِ[(٣)]

وبَقِيتُ في خَلْفٍ يُـزيِّنُ بعضُهم ... بعضًا لـيدفعَ مِعوَرٌ عن مِعوَرِ[(٤)]

٢١١ ـ وعن أبي هريرة ﵁ قال: «ذهب الناس، وبقي النَّسْناس؟ قيل له: وما النَّسناس؟ قال: الذين يُشبِهون الناس، وليسوا بالناس»[(٥)].

٢١٢ ـ وقال عبدُالرَّحمٰن بن أبي قتادةَ الأنصاري: كنَّا علىٰ باب المأمون نتذاكر، فقال أبو المهلول: الزمانُ وعاءٌ؛ وإنما فَسد أهله. ثم أنشأ يقول:

أرىٰ حُلـلًا تُـصـانُ علـىٰ أنـاسٍ ... وأعراضًـا تُـنــالُ ولا تــصـانُ

---

(١) في لفظٍ آخر: «كنسل الأجربِ».
(٢) **يَشغب**: يقول كلامًا باطلًا.
(٣) **الأكناف**: الرحاب.
(٤) أي: بقيتُ في قومٍ سوءٍ يتزيَّنون لبعضهم البعض ظاهرًا، ليخفوا نقائصهم عن أنفسهم.
(٥) **النَّسناس** ـ لغةً ـ: الطائر إذا أسرع في الطيران. ومن معانيه ـ أيضًا ـ: نوعٌ من الخَلْق يَثِبُ علىٰ رِجلٍ واحدة. والمراد: أنهم في الظاهر ناسٌ، لٰكنهم في الحقيقة وحوشٌ كاسرة؛ لا رحمة فيهم ولا عدل.

يقولون: الزمانُ زمانُ سُوءٍ! وهم فَسدوا وما فَسد الزمانُ

٢١٣ ـ وأنشد أبو العباس ـ محمد بن شادل ـ الهاشمي:

يَعيبُ الناسُ كلُّهمُ الزمانا وما لزمانِنا عيبٌ سوانا
نَعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا فلو نَطق الزمانُ بهِ رمانا
لَبِسنا للخِداع مُسوكَ ضأنٍ فويلٌ للمُغيرِ إذا أتانا[١]
وليسَ الذئبُ يأكلُ لَحمَ بعضٍ ويأكلُ بعضُنا بعضًا عِيانا

٢١٤ ـ قال أبو نُعيم: كثيرًا يُعجبني من بيتِ عائشة:

ذَهب الذين يُعاشُ في أكنافهم ....

لٰكنَّ أبا نعيم يقول:

ذهبَ الناسُ فاستقلُّوا وصِرْنا خَلْفًا في أراذل النَّسناسِ[٢]
في أناسٍ نَعدُّهم من عجيجٍ فإذا فُتِّشوا فليسوا بناسِ
كلما جئتُ أبتغي النيلَ منهم بدَروني قبل السؤال بياسِ[٣]
وبكَوا لي حتىٰ تَمنَّيتُ أني مفلتٌ منهم رأسًا براسِ

٢١٥ ـ وللعتَّابي:

ألا قد تكسَّرَ الدهرُ فأضحىٰ حُلوُهُ مُرَّا
وقد جربتُ مَن فيه فلم أجدهمُ طُرَّا[٤]

---

(١) المُسوك: الجلود.
(٢) سبق معنىٰ «النَّسناس» قريبًا.
(٣) أي: إذا أحسوا أني جئتُهم لأخذ شيءٍ منهم، بادروني بادعاء الفقر والحاجة؛ ليؤيسوني منهم.
(٤) طرًّا: جميعًا.

فألزِمْ نفسَك اليأسَ | من الناسِ تعِشْ حُرًّا

٢١٦ ـ وقال محمد بن الحسين الجُمحي:

قُل لمن رامَ عِزَّةً وتوقَّى | ذِلةً أو أحبَّ أن لا يَهُونا
جانِبِ الناسَ واعتزِلْ ما أحبُّوا | مِن حُطامٍ تعِشْ عزيزًا مصونا
واتقِ اللَّهَ واسألِ الفضلَ منه | فهو للخلْق ضامنٌ أن يمُونا[(١)]

٢١٧ ـ وله ـ أيضًا ـ:

إذا أنا أرضىٰ بعيشِ العفافِ | ونَيلِ الكفافِ سِدادًا يسيرًا[(٢)]
ولم أتعرَّضْ لكسب الحرام | وجَمْعِ الحُطام مُسِرًّا مُغيرًا[(٣)]
فإن الجوادَ وإن البخيلَ | وإن الغنيَّ وإن الفقيرا
لديَّ سواءٌ فألقَ الجميعَ | بوجهٍ عَنِيٍّ تَخلَّىٰ منيرًا[(٤)]
دعيني وعيشي عيشَ السُّراةِ | أروح عفيفًا وأغدو خطيرًا[(٥)]

٢١٨ ـ وأنشد أبو بكر بن الأنباري:

وكنتَ أخي بإخاءِ الزمانِ | فلما انقضىٰ صرتَ حربًا عَوانًا[(٦)]
وكنتُ أذمُّ إليك الزمانَ | فأصبحتُ فيك أذمُّ الزمانا[(٧)]

(١) **يَمُون**: يُعطي ويُغني.
(٢) **السِّداد** ـ بكسر السين ـ: القليل.
(٣) **الحُطام**: المال الحرام. **مُسِرًّا**: في الخفاء. **مغيرًا**: مغتصبًا لأمول الناس.
(٤) **عَنِيٍّ**: مهتم بمن أمامه، واللَّهُ أعلم.
(٥) **السُّراة**: الأشراف. **خطيرًا**: ذا شأنٍ عظيم.
(٦) **العَوان**: التي لا هوادة فيها.
(٧) أي: كنت أشكو إليك أحوال أهل الزمان، فأصبحت أنت سبب شكواي.

وكـــنـتُ أعـــدُّك للنائـــبـاتِ فأصـبحتُ أطـلبُ مـنك الأمانـا

٢١٩ ـ وقال منصورٌ الفقيه:

الـنـاسُ بحـرٌ عمـيـقٌ والـبعدُ عنهم سفينةْ

وقد نـصحتُك فانظـرْ لنفسِـكَ المـسكينـةْ

٢٢٠ ـ وقال ـ أيضًا ـ:

قـد قلـتُ إذ مَدحـوا الحـيـاةَ: في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرَفُ

فمـنهـا أمـانُ لقـائِـهِ بلقـائـهِ وفِراقُ كـلِّ مُعـاشِـرٍ لا يُنـصِفُ

٢٢١ ـ وقال إبراهيم النخعي: «يأتي علىٰ الناس زمانٌ يقال له: «زمان الذئاب»، فمَن لم يكن في ذٰلك الزمانِ كلبًا أكلوه».

٢٢٢ ـ وروِّينا عن النبي ﷺ قال: **«سيأتي علىٰ الناس زمانٌ يُخيَّرُ الرجلُ بين العجزِ والفجور**[(١)]**، فمَن أدرك ذٰلك الزمانَ فلْيَختَرِ العجزَ علىٰ الفجور»**[(٢)].

فسبيلُ من أراد الآخرة: أن يختارَ العجزَ علىٰ الفجور، ولا يكون كلبًا يأكل ـ وإن كان يؤكل ـ، وباللَّهِ التوفيق.

٢٢٣ ـ وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«مَن كان يؤمنُ**

---

(١) أي: يخيَّر بين أن يُتَّهم بالعجز عن فعل الحرام ـ إذا أباه ـ، وبين الفجور بأن يفعله.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٢/٢٧٨)، وإسحاق بن راهويه (١٥٨)، والحاكم (٤/٤٣٨)، والدارمي (٦٤٠٣)، والدقاق في «مجلس في رؤية اللَّه ﷻ» (٥٧)، ونُعيم بن حماد في «الفتن» (٥٠٠)، والدَّارَقُطْني في «العلل» (١١/٢١٥)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٧١١)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٣/١٦٩) و(١٥/٤٧٨).

باللَّهِ واليوم الآخِر، ويشهدُ أني رسولُ اللَّه؛ فلْيَسَعْهُ بيتُه، ولْيَبكِ علىٰ خطيئته، ومَن كان يؤمنُ باللَّهِ واليومِ الآخِر، ويشهدُ أني رسولُ اللَّه فلْيَقل خيرًا فيَنعَم[(١)]، ويَسكتَ عن شرٍّ فيَسلَم»[(٢)].

٢٢٤ ـ وعنه رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**نِعمَ صومعةُ الرجل المسلم بيتُه**»[(٣)].

٢٢٥ ـ وعن عقبةَ بن عامر رضي الله عنه قال: لقيتُ رسول اللَّه ﷺ يومًا، فقلت: ما النجاة؟ فقال: «**يا عقبةُ، أملِكْ عليك نفسَك**[(٤)]**، ولْيَسَعْك بيتُك، وابكِ علىٰ خطيئتك**»[(٥)].

---

(١) كذا في مطبوع «الزهد»، وعند الطبراني في «الكبير»: «**فيغنم**»، وهي أشبه.

(٢) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨/١٦٨)، **وضعَّفه** الإمام المنذري في «الترغيب» (٤٣٢٥) ـ مصدِّرًا إياه بصيغة التمريض ـ، وكذا الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/٥٣٧)، والشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٧٠١)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/٤٧٣).

(٣) **ضعيف**: رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٢٢)، وعزاه العجلوني في «كشف الخفا» (٢٨٣٠)، للعسكري، وهو بنفس إسناد الحديث السابق ـ كما أشار الإمام البيهقي هنا عند ذكره ـ. وقد رواه الأكثرون من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه، وبعضهم ذكره من كلام طاووس رحمه الله.

(٤) والرواية المشهورة: «**لسانك**».

(٥) **حسن**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٤)، وأحمد (٤/١٤٨)، وفي «الزهد» (٨٢)، والتِّرمذي (٢٤٠٦)، وابن وهب في «الجامع» (١٣٤)، والحاكم (٤/١٧٨)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٨/١٧٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/٢٧٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٧٨٤)، وفي «الآداب» (٢٩٦)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن صحيح**»، **وسكت عليه** الإمامان الحاكم والذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، **وحسَّنه** في «الصحيحة» (٨٩٠)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (٢٨/٥٦٩).

٢٢٦ ـ وقال هاشمُ بن يعلىٰ الأنصاري: إن بعضَ إخوانِنا وقف علىٰ راهب من «وادي جهنم»[١]، فقال: لِمَ حبستَ نفسَك؟ فقال: أما سمعت قول الشاعر:

طِبْ عن الأُمَّةِ نفْسَا … وارضَ بالوحدةِ أُنسا

لا أرىٰ في الناسِ مَن يسوىٰ … علىٰ الخُبزةِ فِلسا

٢٢٧ ـ أنشدنا أبو سعد عبدالرَّحمٰن:

لا تَعجَبَنَّ إذا اشتكىٰ … الحرُّ الكريمُ إليك دَهْرَهْ

فالوقتُ وقتُه والزمانُ … زمانُه والدهرُ دَهْرُهْ

٢٢٨ ـ وأنشد جعفر بن محمد الخَلَدي غيرَ مرة:

بمن أستغيثُ بمن أستجيرُ … فأين الوليُّ وأين النصيرُ!

إلىٰ مَن دُفِعتُ وفيمن بقِيتُ … أُناسٌ فأعذِرُهم أم حَميرُ!

٢٢٩ ـ وقال سفيانُ بن عيينة: «الزم الحقَّ، ولا تستوحِشْ لقلةِ أهلِه».

٢٣٠ ـ وفي لفظٍ: «اسلُكْ طريق الحقِّ، ولا تستوحش منه؛ وإن كان أهلُه قليلًا».

٢٣١ ـ وقال أحمد بن أيوب المُطَّوِّعي: «لا تستوحِشْ طريقَ الهدىٰ لقِلَّةِ أهلها، ولا تغترَّ بكثرةِ الناس».

(١) اسم موضع في «القدس».

الفصل الثالث

ترك الدنيا، ومخالفة النفس والهوى

الفصل الثالث

تركُ الدنيا، ومخالفة النفس والهوى

٢٣٢ ـ عن عمر ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنما الأعمالُ بالنية، وإنما لامرئٍ ما نوىٰ، فمَن كانت هجرتُه إلىٰ اللَّه ورسوله، فهجرتُه إلىٰ اللَّه وإلىٰ رسوله، ومَن كانت هجرتُه إلىٰ دنيا يُصيبُها، أو امرأةٍ يتزوَّجُها، فهجرتُه إلىٰ ما هاجر إليه**»[(١)].

٢٣٣ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن الدنيا خَضِرةٌ حُلْوة، وإن اللَّهَ مُستخلِفُكم فيها؛ فينظرُ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا فتنةَ النساء؛ فإن أول فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء**»[(٢)].

٢٣٤ ـ وعن عبداللَّه بن الشِّخِّير ﷺ قال: لما نزلت هٰذه الآية: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر]، قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول ابن آدم: «مالي مالي»، وهل لك من مالِكَ إلا ما أكلتَ فأفنَيت، أو لبِستَ فأبلَيت، أو تصدَّقتَ فأمضَيت؟**»[(٣)].

٢٣٥ ـ وعن جابر بن عبداللَّه ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**الدنيا ملعونٌ ما فيها، إلا ما كان منها للَّهِ ﷻ**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).
(٣) رواه مسلم (٢٩٥٨).
(٤) **ضعيف**: رواه المصنف في «الشعب» (١٠٠٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/١٥٧)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٩٧٧)، وفي «الزهد» (٦٥)، **واستغربه** الإمام أبو نُعيم، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٣٠١٩). =

٢٣٦ ـ وعن الفُضيل بن عياض قال: «جُعل الشرُّ كلُّه في بيت، وجُعل مفتاحُه حبَّ الدنيا، وجُعل الخيرُ كلُّه في بيت، وجُعل مفتاحُه الزهدَ في الدنيا».

٢٣٧ ـ وقال أبو سليمانَ الداراني: «إذا أحبَّ العبدُ الدنيا فآثرَها؛ يقول اللَّه ﷻ: لأُنسِيَنَّه معرفتي حتىٰ يلقاني وهو لا يعرفُني».

٢٣٨ ـ وقال بِشرُ بن الحارث: «لا يجدُ مَن يُحبُّ الدنيا حلاوةَ العبادة».

٢٣٩ ـ وقال عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: «رأسُ كل خطيئةٍ حبُّ الدنيا».

٢٤٠ ـ وكان عليه السلام يقول: «حبُّ الدنيا أصلُ كل خطيئة، والمالُ فيه داءٌ كثير. قالوا: وما داؤه؟ قال: لا يَسلَمُ من الفخر والخيلاء. قالوا: فإن سَلِم؟ قال: يُشغِلُه إصلاحه عن ذِكر اللَّه ﷻ».

٢٤١ ـ وقال مالكُ بن دينار: «بقَدْر ما تحزَنُ للدنيا؛ كذٰلك يَخرجُ هَمُّ الآخرة من قلبك، وبقَدْر ما تحزنُ للآخرة؛ كذٰلك يخرج همُّ الدنيا من قلبك».

٢٤٢ ـ وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: «مَن نظر إلىٰ الدنيا نظر إرادةٍ

= ويغني عنه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكر اللَّهِ وما والاه، أو عالمًا، أو متعلمًا**»، وهو حديث حسن: رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والدارمي (٣٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤/٢٣٦)، والبزار (٥/١٤٤). وقال الترمذي: «**حسن غريب**»، **وأقرَّه** الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء» (١/٥٥)، **وجوَّده** العلَّامة ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢/١٢٥)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيقه» (٢/١٢٦)، وفي تحقيق «سنن ابن ماجه» (٥/٢٣١)، وكذا الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٧٩٧). بينما **ضعَّفه** أئمةٌ آخرون؛ فانظر: «ضعفاء العقيلي» (٢/٣٢٦)، و«العلل المتناهية» لابن الجوزي (٢/٧٩٦). و«علل الدارقطني» (٥/٨٩)، و«علل ابن أبي حاتم» (٢/١٢٤)، و«جامع العلوم والحكم» (٥٥٩).

وحبٍّ لها؛ أخرج اللّٰه نورَ اليقينِ والزهدِ من قلبه».

٢٤٣ ـ وقال مالكُ بن دينار: «إن البدنَ إذا سَقِمَ لم يَنجع فيه طعامٌ ولا شرابٌ، ولا نومٌ ولا راحة، كذٰلك القلب إذا عَلِقَ حبَّ الدنيا لم تنجعْ[1] فيه المواعظ».

٢٤٤ ـ وقال بعضُ أهل العلم: «نظرتُ في أصل كل إثمٍ، فلم أجد من كثرةِ امتحاني له إلا حبَّ المال، فمَن أُلقي عنه حبُّ المال فقد استراح».

٢٤٥ ـ وقال أبو سليمان الداراني: «إذا سَكَنَتِ الدنيا في القلب، ترحَّلت عنه الآخرة».

٢٤٦ ـ وقال الفضيلُ بن عياض: «حُزنُ الدنيا للدنيا[2] يَذهب بهَمِّ الآخرة، وفرحُ الدنيا للدنيا يَذهب بحلاوةِ العبادة».

٢٤٧ ـ وقال مالكُ بن دينار: «حُزنُك علىٰ الدنيا يُخرِجُ حزنَ الآخرة من قلبك، وفرحُك بالدنيا يُخرج حلاوةَ الآخرة من قلبك».

٢٤٨ ـ وقال أبو حازم: «يسيرُ الدنيا يَشغلُ عن كثيرٍ من الآخرة».

٢٤٩ ـ وقال: «إنك لَتجدُ الرجلَ يهتمُّ بهَمِّ غيره؛ حتىٰ إنه أشدُّ هَمًّا من صاحب الهمِّ بهمِّ نفسه».

٢٥٠ ـ وقال: «ما أحببتَ أن يكون معك في الآخرة فقدِّمْه اليوم، وما كرهتَ أن يكون معك في الآخرة فاترُكْه اليوم».

٢٥١ ـ وقال: «كُل عملٍ تكرهُ الموتَ من أجله فاترُكْه، ثم لا يضرُّك متىٰ مُتَّ».

---

(١) في الموضعين: «ينجح، وتنجح» ـ بالحاء ـ، والصواب ـ إن شاء اللّٰه ـ ما أثبته.

(٢) أي: الحزن علىٰ فواتِ بعض متاع الدنيا. وقوله: «للدنيا»، لأن هناك حزنًا علىٰ بعض ما يفوتُ من الدنيا، ممَّا يكون معينًا علىٰ الآخرة، فمن حَزِن علىٰ هٰذا، فقد حزن لآخرته لا لدنياه، وكذا ما سيأتي عن «الفرح»، واللّٰهُ تعالىٰ أعلم.

٢٥٢ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**هل من أحدٍ يَمشي علىٰ الماء إلا ابتلَّت قدماه؟**»، قالوا: لا ـ يا رسول اللَّه ـ! قال: «**كذٰلك صاحبُ الدنيا؛ لا يَسلَمُ من الذنوب**»[(١)].

٢٥٣ ـ وقال مالكُ بن دينار: «قلبٌ ليس فيه حزنٌ كبيتٍ خَرِب ليس فيه شيء». يريد: حزنَ الآخرة.

٢٥٤ ـ وقال الحسنُ: «لو لم تكن لنا ذنوبٌ نخافُ علىٰ أنفسنا منها إلا حبّنا للدنيا، لخَشِينا علىٰ أنفسنا، إن اللَّه يقول: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، أَرِيدُوا ما أراد اللَّه».

٢٥٥ ـ وقال بلالُ بن سعد في موعظته: «عبادَ الرَّحمٰن، لو سَلِمتم من الخطايا ـ فلم تعملوا فيما بينكم وبين اللَّه خطيئةً، ولم تتركوا للَّه طاعةً إلا أجهدتم أنفسكم في أدائها ـ؛ إلا حبَّكم الدنيا[(٢)]؛ لوسعكم ذٰلك شرًّا، إلا أن يتجاوزَ اللَّهُ عز وجل ويعفو».

٢٥٦ ـ وعن ابنِ السمَّاك قال: «مَن أذاقتْه الدنيا حلاوتَها بمَيلهِ إليها؛ جرَّعته الآخرةُ مرارتَها بمجانبته عنها[(٣)]».

٢٥٧ ـ وقال إبراهيمُ بن بشار الصوفي: «وقف رجلٌ صوفيٌّ علىٰ إبراهيم بن أدهم، فقال: يا أبا إسحاق، لِمَ حُجِبَتِ القلوبُ عن اللَّه؟ قال: لأنها أحبَّت ما أبغض اللَّه؛ أحبتِ الدنيا، ومالت إلىٰ دار الغرورِ واللهوِ واللعب، وتركتِ العملَ لدارٍ فيها حياةُ الأبد، في نعيمٍ لا يزولُ ولا يَنفد،

---

(١) **ضعيف**: رواه المصنف في «الشعب» (٩٩٧٣)، **وضعَّفه** الإمام المنذري في «الترغيب» (٤٩١٠) ـ مصدِّرًا إياه بصيغة التمريض ـ، والإمام السيوطي في «الجامع» (١/١٨٢)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٧٤١)، وفي «ضعيف الترغيب» (١٨٨٣).

(٢) أي: إذا لم تفعلوا أي خطيئةً ـ إلا حب الدنيا ـ، ولم تتركوا أي طاعة.

(٣) **المجانبة**: الابتعاد.

خالدٍ مخلَّد، في مُلكٍ سَرْمدٍ[(١)] لا نفادَ له ولا انقطاع».

٢٥٨ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم: «ليس من أعلام الحبِّ أن تُحبَّ ما يُبغِضُه حبيبُك! ذَمَّ مولانا الدنيا فمَدحناها! وأبغَضها فأحببناها! وزهَّد فيها فآثرناها، ورَغِبنا في طلبها! ووعدكم خرابَ الدنيا فحصَّنتموها! ونهاكم عن طلبها فطلبتموها! وأنذركم الكنوزَ فكنزتموها! دعتكم إلىٰ هٰذه الغرارةِ دواعيها، فأجبتم ـ مسرعين ـ مُناديَها، خدعتكم بغُرورها، ومنَّتكم[(٢)] فأقررتم خاضعين لأمانيِّها، تتمرَّغون في زهراتها، وتتمتعون في لذاتها، وتتقلَّبون في شهواتها، وتُلَوَّثُون بتبعاتها، تَنبِشون بمخالبِ الحرص عن خزائنها، وتحفِرون بمعاولِ[(٣)] الطمع في معادنها، وتبنُون بالغفلة في أماكنها، وتُحصِّنون بالجهل في مساكنها».

٢٥٩ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «قد رضِينا من أعمالنا بالمعاني[(٤)]، ومِن طلب التوبة بالتواني[(٥)]، ومِن العيش الباقي بالعيش الفاني».

٢٦٠ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «ما بالُنا نشكو فقرَنا إلىٰ مِثلِنا، ولا نطلبُ كشفه من ربِّنا؟! ثكلتْه أمُّه عبدٌ أحبَّ عبدًا للدنيا، وليس عنده ما في خزائن مولاه»[(٦)].

٢٦١ ـ وقال بلالُ بن سعد: «واللَّهِ لكفىٰ به ذنبًا أن اللَّه يُزهِّدُنا في الدنيا، ونحن نرغبُ فيها! فزاهدُكم راغب، وعابدُكم مقصِّر، وعالمُكم جاهل».

(١) **السرمد**: الأبدي.
(٢) **منَّتكم**: غرَّتكم بالأماني الكاذبة.
(٣) **المَعاول**:الفؤوس.
(٤) **المعاني**: الكلام الحسن.
(٥) **التواني**: التكاسل عن الطاعات.
(٦) أي: ليس عنده أعمالٌ صالحةٌ يدخرها عند مولاه تُنجيه من سوء المصير بإذن العزيز الغفور.

٢٦٢ ـ وعن عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «الدنيا مزرعةُ إبليس، وأنتم عُمَّارُها».

٢٦٣ ـ وقال يزيدُ بن ميسرة: «كان أشياخُنا يُسمُّون الدنيا «خِنزيرة»، ولو وجدوا لها اسمًا شرًّا منها لسَمَّوها به، وكانوا إذا أقبلت إلىٰ أحدهم دنيا قالوا: إليكِ عنا ـ يا خنزيرة ـ؛ لا حاجة لنا فيكِ، إنَّا نعرف إلٰهَنا».

٢٦٤ ـ وقال لقمانُ لابنه: «يا بُني، إن الدنيا بحرٌ عميق، هَلك فيه عالَمٌ وخَلقٌ كثير، فاجعل سفينتَك فيه الإيمان باللَّه، واجعل حَشْوَها تقوىٰ اللَّه وطاعتَه، واجعل شِراعَها الدِّين، به تجري توكلًا علىٰ اللَّه، لعلَّك تنجو، ولعلَّك لا تنجو».

٢٦٥ ـ وقال الفضيلُ بن عياض لأبي تراب: «يا أبا تراب، الدخولُ في الدنيا هيِّن، ولٰكنَّ التخلُّصَ منها شديد».

٢٦٦ ـ وقال سريٌّ السَّقَطي: «ما بدت لي من الدنيا زهرةٌ إلا جَدَّدتُ لي من الدنيا عُزوفًا[1]».

٢٦٧ ـ وقال بشرُ بن الحارث: «لو لم أُبغِضِ الدنيا إلا لأن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يُعصَىٰ فيها؛ كان ينبغي أن أُبغضها».

٢٦٨ ـ وقال أبو سليمان: «من صارَع الدنيا صرعته»[2].

٢٦٩ ـ وقال أحمد بن أبي الحَوَاري: «مَن عرَف الدنيا زهِد فيها، ومَن عرف الآخرة رغب فيها، ومن رغب في اللَّه آثر رضاه».

٢٧٠ ـ وقال رجلٌ لأبي سهلٍ الحارثيِّ الصوفي: «أوصِني، فقال: نَمْ عن

---

(١) أي: كلما جاءني شيءٌ من نعيم الدنيا بادرتُه بالإعراض عنه.

(٢) أي: من دخل في شهواتِها ظانًّا أنه سيسلمُ له دينه، فإن الدنيا ستَسلبُه دينَه رغمًا عنه. وهٰذا الكلام يستقيمُ مع من دخل في الدنيا للدنيا، لا لتعينه علىٰ مرضاة ربِّه جَلَّ جَلَالُهُ.

الدنيا وزهرتِها، لتستيقظَ برَوح الآخرة ونعيمِها».

٢٧١ ـ وقال إبراهيمُ الخَوَّاص: «مَن لم تبكِ عليه الدنيا[(١)]، لم تضحك الآخرة إليه، والإنسانُ في خَلِقِه[(٢)] أحسنُ منه من جديدِ غيره. والهالكُ حقًّا من ضَلَّ في آخِرِ سفره وقد قارَب المنزل»[(٣)].

٢٧٢ ـ وقال الكتاني: «كنْ في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك».

٢٧٣ ـ وقال جريرُ بن يزيد: «قلتُ لمحمدِ بن عليٍّ بن حسين: عظني، قال: يا جرير، اجعل الدنيا مالًا أصبتَه في منامك، ثم انتبهتَ وليس معك شيء»[(٤)].

٢٧٤ ـ وقال أبو إسحاقَ القُرشي: «كتب إليَّ أخي من مكة: يا أخي، إن كنتَ تصدَّقتَ بما مضىٰ من عمرك علىٰ الدنيا ـ وهو الأكثر ـ، فتصدَّقْ بما بقي من عمرِك علىٰ الآخرة ـ وهو الأقل ـ».

٢٧٥ ـ وكان بشرُ بن الحارث، يتمثَّلُ بهٰذين البيتين ـ وهما لمحمود الوراق ـ:

مُكـرِمُ الدنـيـا مُهـانٌ ... مـستَـذَلٌّ في القـيـامـةْ
والـذي هـانـت علـيـه ... فلـــه ثَـــمَّ كـــرامــةْ

٢٧٦ ـ وقال هشامٌ: «سمعتُ الحسن يَحلفُ باللَّه: ما أعزَّ الدرهمَ أحدٌ،

---

(١) أي: إشفاقًا عليه من كثرة اجتهاده مع ربّه وعزوفه عن زهرتِها.

(٢) **الخَلِق**: المتاع القديم.

(٣) وهو عجوز السوء الذي كلما كَبِر زاد جراءةً علىٰ ربِّه وتماديًا في إغضابه، كما قال بعضهم:

شيـخٌ كـبـيـرٌ لـه ذنـوبٌ ... تعجِزُ عن حَمْلِها المطايا
قد بيَّضت شَعْرَه الليالي ... وسوَّدت قلبَه الخطايا

(٤) يقصد: لا تركن إلىٰ نعيمها، فهو عاجلُ الزوال.

إلا أذلَّه اللَّهُ ﷻ».

٢٧٧ ـ وقال الفضيلُ بن عياض: «بلغني أن رجلًا كتب إلىٰ داودَ الطائي: أن عِظْني، فكتب إليه: أما بعدُ، فاجعل الدنيا كيومٍ صُمتَه عن شهوتك، واجعل فِطرَك الموت، فكأنْ قد[1]. والسلام.

فكتب إليه: زدني، فكتب إليه: أما بعد، فلا يراك اللَّهُ عند ما نهاك عنه، ولا يَفقِدُك عند ما أمرك به.

فكتب إليه: زدني، فكتب إليه: أما بعد، فارضَ من الدنيا باليسير مع سلامةِ دينك، كما رضي أقوامٌ بالكثير مع ذهاب دينهم. والسلام».

٢٧٨ ـ وعن سفيانَ الثوريِّ قال: «فضولُ الدنيا[2] رجسٌ عند اللَّه يوم القيامة».

قال منصور: «فأخبرني سعدانُ بن حُميس أن رجلًا سأله، فقال: يا عبدَ اللَّه، ما فضول الدنيا؟ قال: أن يكونَ عندك فضلُ رداء وأخوك عارٍ، ويكون عندك فضلُ حذاءٍ وأخوك حافٍ».

٢٧٩ ـ وقال السَّريُّ: «كلُّ الدنيا فضول إلا خمسُ خصال: خبزٌ يُشبِعُه، وماءٌ يَرويه، وثوبٌ يستُرُه، وبيتٌ يُكِنُّه، وعلمٌ يَستعملُه».

٢٨٠ ـ وقال ثابتٌ البُناني: «قيل لعيسىٰ ابن مريم عليه السلام: لو اتخذتَ حِمارًا تركبه لحاجتك؟ قال: أنا أكرم علىٰ اللَّه ﷻ من أن يجعل لي شيئًا يشغلني عنه»[3].

(١) أي: فكأن قد نزل بك الموت ورحلتَ عن الدنيا.

(٢) **الفضول**: ما زاد عن حوائجك المهمة. ويقال في هٰذا الكلام ما قيل في أمثاله، وهو إذا كان الفضول مبعدًا عن رب العالمين.

(٣) الأثر من الإسرائيليات، وفيه نظرٌ بيِّن، فكم من نبيٍّ كريم علىٰ ربه ﷻ، ركب المراكب المتنوِّعة، ولم يبعده هٰذا عن ربِّه ﷻ! ويكفينا أسوةً نبيُّنا ﷺ.

٢٨١ ـ وقال بشرٌ الحافي: «قد أَجْمَعَ أهلُ العلم أن الخِفَّةَ[(١)] في القيامة خيرٌ».

٢٨٢ ـ وقال مالكُ بن دينار: «أدعُو، وأمِّنوا علىٰ دعائي: اللهمَّ لا تُدخِلْ بيت مالكٍ من الدنيا قليلًا ولا كثيرًا؛ قولوا: آمين».

٢٨٣ ـ وكان بشرُ بنُ الحارث يدعو قائلًا: «اللهم لا تجعَلْني في هٰذه الدار[(٢)]، ولا ترزُقْني فيها دارًا، ولا أهلًا، ولا ولدًا، ولا مالًا حتىٰ تُميتَني علىٰ ذٰلك»[(٣)].

٢٨٤ ـ وقال سفيان: «ما أنفقتُ في بناءٍ درهمًا قط».

٢٨٥ ـ وقيل للشِّبليِّ: «ما الدنيا؟ فقال: قِدرٌ يغلي، وكَنيفٌ يُملأ»[(٤)].

٢٨٦ ـ وقال: «الدنيا خيال، وطلبُها وَبَال[(٥)]، وتركُها جَمال، والإعراضُ عنها كمال، والمعرفةُ باللَّه اتصال».

٢٨٧ ـ وقال الفضيلُ بن عياض: «إن أردتَ أن تستريحَ، فلا تبالي مَن أَكَل الدنيا».

٢٨٨ ـ وقال محمدُ بن يعقوب بن الفَرَجي: «أشرفتُ علىٰ راهبٍ في صومعة، فقلت له: ما الزهدُ في الدنيا؟ فقال: تركُ ما فيها علىٰ مَن فيها».

---

(١) **الخِفة**: قلة المال.

(٢) الظاهر أنه يدعو بعدم طول البقاء، فإذا كان المراد ألَّا يُردَّ إلىٰ أرذل العمر فنعم، أما طول البقاء ـ دون الوصول إلىٰ هٰذا الحد ـ، فقد ثبتت السنة الصحيحة أنه خيرٌ للعبد الصالح.

(٣) وهٰذا ليس عامًّا لجميع الخلق، بل هٰذه حالةُ بِشرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وخيرُ الهدي هدي محمدٍ ﷺ.

(٤) أي: بلاءٌ وأقذار.

(٥) **الوبال**: الهلاك.

٢٨٩ ـ وقال محمدُ بن عليٍّ الواعظ: «سألتُ أبا عبداللَّه بن رِشدين علىٰ غفلةٍ: ما الفتوة(١)؟ قال: ألَّا تبالي مَن أخذَ الدنيا».

٢٩٠ ـ وقال عبدُاللَّه بن محمد بن مُنازِل: «قلت لأبي صالح حَمْدُون: أوصني؟ قال: إن استطعتَ ألَّا تغضب لشيءٍ من الدنيا فافعل»(٢).

٢٩١ ـ وقال رجلٌ لذي النون: «الدنيا لمن؟ قال: لمن تركها، قال: الآخرة لمن؟ قال: لمن طلبها».

٢٩٢ ـ وقال عليُّ بن الليث الصوفي: «سألتُ الشِّبليَّ، فقلت له: ما علامة القاصد(٣)؟ قال: ألَّا يكون للدرهم راصدًا(٤)».

٢٩٣ ـ وقال أبو الحسن الصائغ: «ينبغي أن يترك المريدُ(٥) الدنيا مرتين: مرةً بنضارتِها ونعيمِها، وألوانِ مطاعمِها ومشاربها، وجميع ما فيها، ثم إذا عُرف بترك الدنيا و[باتَ] يُبجَّلُ ويكرمُ بها، فينبغي أن يسترَ ـ إذ ذاك ـ حاله بالإقبال علىٰ أهلها لئلَّا يكون تركُه للدنيا ذنبًا هو أعظم من الإقبال علىٰ الدنيا وطلبها، أو فتنةً أعظم منها».

٢٩٤ ـ وعن أبي أُمامة ﵁ قال: صلَّىٰ بنا رسول اللَّه ﷺ صلاة الظهر ذات يوم، ثم هَبط إلىٰ البَقيع، وتبعه أهل المسجد، وهو يمشي بين

---

(١) **الفتوَّة**: مكارم الأخلاق. والظاهر أن المراد هنا: شرف النفس. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) أما الغضب للَّهِ تعالىٰ ورسوله ﷺ ودينه المبارك، فمطلوب بضوابطه.

(٣) **القاصد**: المتوسط المعتدل.

(٤) **راصد**: مراقب.

(٥) **المُريد**: تعبير صوفي، والمقصود منه: مَن يريدُ اللَّهَ تعالىٰ.
وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «جرت عادة أهل المعرفة بتسمية هٰذا الطالب: «المريد»؛ فإن أول الخير إرادة اللَّهِ ورسوله والدار الآخرة» اهـ. «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/١٤٦ ـ ١٤٧).

أيديهم، ثم هبط إلىٰ البقيع، وفي يده جريدةٌ من نخل، فجعل يقول للناس: «**مُرُّوا، مُرُّوا**»، حتىٰ كانوا كلُّهم بين يديه، فقال رجل: كنَّا خلفك، فقدمتنا بين يديك؛ فمِمَّ ذٰلك؟ قال: «**إني سمعتُ صوتَ نِعالِكم، فأشفقتُ أن يقعَ في نفسي شيءٌ منَ الكبر**»[(١)].

٢٩٥ ـ وعن عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: «ما رُئي رسولُ اللَّه ﷺ يأكلُ متكئًا[(٢)]، ولا يطأُ عَقِبَه رجلان[(١)]»[(٢)].

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد (٥/٢٢٦)، وابن ماجه (٢٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٦٩)، **وضعَّفه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، والشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٦/٦٢٦).

(٢) قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فُسِّر «الاتكاء» بالتربع، وفُسِّر بالاتكاء علىٰ الشيء ـ وهو الاعتماد عليه ـ، وفسِّر بالاتكاء علىٰ الجنب. والأنواع الثلاثة من الاتكاء، فنوعٌ منها يُضِرُّ بالآكل ـ وهو الاتكاء علىٰ الجنب ـ؛ فإنه يمنع مجرىٰ الطعام الطبيعي عن هيئته، ويعوقُه عن سرعة نفوذه إلىٰ المعدة، ويضغطُ المعدة، فلا يستحكم فتحُها للغذاء، وأيضًا فإنها تميلُ ولا تبقىٰ منتصبة، فلا يصلُ الغذاء إليها بسهولة.

وأما النوعان الآخران: فمن جلوس الجبابرة المنافي للعبودية؛ ولهٰذا قال: «**آكل كما يأكل العبد**» [صحيح]، وكان يأكل وهو مُقْع. ويُذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متورِّكًا علىٰ ركبتيه، ويضع بطنَ قدمه اليُسرىٰ علىٰ ظهر قدمه اليمنىٰ تواضعًا لربه عز وجل، وأدبًا بين يديه، واحترامًا للطعام وللمؤاكل، فهٰذه الهيئةُ أنفع هيئات الأكل وأفضلها؛ لأن الأعضاء كلَّها تكون علىٰ وضعها الطبيعي الذي خلقها اللَّه سبحانه عليه، مع ما فيها من الهيئة الأدبية.

وأجود ما اغتذىٰ الإنسان إذا كانت أعضاؤه علىٰ وضعها الطبيعي، ولا يكون كذٰلك إلا إذا كان الإنسان منتصبًا الانتصاب الطبيعي، وأردأُ الجِلْسات للأكل الاتكاءُ علىٰ الجنب، لما تقدم من أن المريء وأعضاء الازدراد تضيق عند هٰذه الهيئة، والمعدةُ لا تبقىٰ علىٰ وضعها الطبيعي؛ لأنها تنعصر مما يلي البطن بالأرض، ومما يلي الظَّهْر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء، وآلات التنفس. =

٢٩٦ ـ وعن جابرِ بن عبداللَّه رضي الله عنهما قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا خرج مشَوا بين يديه، وخلَّوْا ظَهرَه للملائكة»[٣].

٢٩٧ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مشيتُ وراءَ رسول اللَّه ﷺ أنظر أيكرهُ أن أمشيَ وراءه، أم يُقرُّ ذٰلك؟ فالتمَسَني بيده، فألحقني به حتىٰ مشيتُ بجنبه، ثم تخلَّفتُ الثانيةَ أمشي وراءه، فالتمَسني بيده، فألحقني به حتىٰ مشيتُ بجنبه، فعرفتُ أنه يكره ذٰلك»[٤].

= وإن كان المراد بالاتكاء: الاعتماد علىٰ الوسائد والوطاء الذي تحت الجالس، فيكون المعنىٰ: إني إذا أكلتُ لم أقعد متكئًا علىٰ الأوطية والوسائد، كفعل الجبابرة ومَن يريد الإكثار من الطعام، لٰكني آكلُ بُلْغةً كما يأكل العبد» اهـ. «زاد المعاد» (٤/ ٢٠٢ ـ كتاب: الطب النبوي).

وقال رحمه الله في موضع سابق من الكتاب (١/١٤٣): «كان [ﷺ] لا يأكل متكئًا، والاتكاء علىٰ ثلاثة أنواع: **أحدها**: الاتكاء علىٰ الجنب، **والثاني**: التربع، **والثالث**: الاتكاء علىٰ إحدىٰ يديه وأكله بالأخرىٰ، والثلاث مذمومة» اهـ.

(١) أي: لا يمشي وراءه رجلان يحرسانه.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/١٦٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/٦٤٢)، وأبو داود (٣٧٧٠)، وابن ماجه (٢٤٤)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٥٩٧٢)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١١٢)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١١/١٠٧).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/٣٠٢)، وابن ماجه (٢٤٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٠٧٥)، وابن حبان (٦٣١٢)، والحاكم (٢/٤١١)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٧/١١٧)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» ص(٩٤)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٢/١٠٤).

(٤) **ضعيف**: رواه الخطيب في «التاريخ» (١٣/٥٧٠)، وفي «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٢٩ ـ تهذيبي، ط: دار ابن الجوزي)، والطبراني في «الأوسط» (٤٠٢٨)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٨/١٥٨): «فيه «الحسين بن عبداللَّه =

٢٩٨ ـ وقال سليمانُ بنُ حنظلةَ البكريُّ: «كنَّا جلوسًا حولَ أُبيٍّ بن كعبٍ ﷺ نسأله، فقام فاتبعناه، فرُفع لعُمر بن الخطاب[(١)]، فعلاه بالدِّرة[(٢)]، فقال أُبيٌّ: مهلًا ـ يا أمير المؤمنين ـ! فقال: إنها فتنةٌ للمتبوع، ومذلَّةٌ للتابع»[(٣)].

٢٩٩ ـ وعن الهيثم بن حبيب: «أن سعيدَ بن جُبير رأىٰ ناسًا يتبعونه، فنهاهم، وقال: إن هٰذه مذلَّةٌ للتابع، فتنةٌ للمتبوع».

٣٠٠ ـ وعن الحسن أن بعضَ البصريين مشىٰ خلفَه، فقال: «رحِمكم اللَّه؛ ما يُبقي هٰذا من مؤمنٍ ضعيف[(٤)]!!».

٣٠١ ـ وعن المِقداد بن الأسود ﷺ قال: استعمَلَني رسول اللَّه ﷺ علىٰ عمل، فلما رجعت قال: «**كيف وجدتَ الإمارة؟**»، قلت: يا رسول اللَّه، [وجدتُ] أن الناسَ كلَّهم خَوَلٌ لي[(٥)]، واللَّهِ لا أَلِي علىٰ عملٍ ما دمت

= الهاشمي»، وهو متروك»، **وضعَّفه** الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٦/٢٦٠).

(١) أي: أُبلغ عمرُ بمسيرِنا خلفه.

(٢) **الدِّرَّة**: السوط.

(٣) اللَّه أعلم بصحة هٰذا الأثر؛ فإن المنكر فيه أن عمر ﷺ عاقب أُبيًّا ﷺ علىٰ أمرٍ لا يد له فيه.

(٤) فماذا نقول لقراء القرآن المفتونين الذين يبيعون كلام اللَّه ويشترونه في مآتِمِهم المبتدعة، وضلالاتهم المخترعة! وليتهم اكتفَوا بهٰذا ـ وكفىٰ بها بليةً ـ، لٰكنهم يسحبون معهم «جوقةً» من أتباعهم، مهمتهم الأولىٰ والأخيرة أن يرفعوا أصواتَهم بالثناء والمدح بعد كل آيةٍ يقرؤها القارئ في حفلات القرآن، بل ويعطيهم هٰؤلاء القراءُ أجرًا علىٰ هٰذا العمل المنكر!! فنسأله تعالىٰ أن يحفظ علينا ديننا وعقولَنا.

(٥) **الخَوَل**: الخَدَم.

حيًّا[١].

٣٠٢ ـ وقال سهلُ بن محمد: «مَن أراد خَفقَ النِّعال خَلفَه فقد أراد الدنيا بأسرها ومَن فيها، وكانت حقيقةُ أمره أن: أعطُوني دنياكم وخذوا ديني، واخلَعوا لي دنياكم؛ فقد خلعتُ لها ولكم ديني!!».

٣٠٣ ـ وعن مجاهد قال: «مَن كثُر خدمُه كثُرت شياطينُه[٢]».

٣٠٤ ـ وسئل ذو النون عن الآفة التي يُخدع بها المريدُ عن اللَّه ﷻ، قال: «برؤية الألطافِ والكراماتِ والآيات. قيل له: يا أبا الفيض، فما يُخدعُ [به] قبلَ وصوله إلىٰ هٰذه الدرجة؟ قال: بوطءِ الأعقاب، وتعظيمِ الناس له، والتوسعِ في المجالس، وكثرةِ الأتباع، فنعوذ باللَّهِ من مَكرِه وخُدَعِه».

٣٠٥ ـ وعن القَرقسانيِّ قال: «أُتي يوسفُ بن أسباط بباكورةِ ثمرة، فقلَّبها[٣]، ثم وضعها بين يديه، وقال: إن الدنيا لم تُخلَق لننظرَ إليها؛ إنما خُلقت لننظرَ بها إلىٰ الآخرة».

٣٠٦ ـ وقال بشرُ بن الحارث: «لا أعرف أحدًا في هٰذه القريةِ يَدفع الدنيا بالصحَّة[٤]، إنما يدفعُ ليأتيَه منها أكثر».

---

(١) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٨٦٩٥)، والحاكم (٣/٣٤٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/١٧٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٢٥٨)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وأقرَّهما** العلَّامة شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سير أعلام النبلاء» (١/٣٨٨)، **وصحَّحه** المعلق علىٰ «المستدرك» (٤/٤٢٠ ـ ط: المعرفة).

(٢) وهٰذا إذا لم يكن الغنيُّ ـ صاحب الخدم ـ من الأبرار الذين يتقون اللَّهَ في خُدَّامه.

(٣) أي: أخذ يتأملها.

(٤) أي: لا أعرف أحدًا يعطي الدنيا بصحة النية وابتغاء وجه اللَّهِ تعالىٰ، وإنما يعطي ليأخذ أكثر مما أعطىٰ. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

٣٠٧ـ وقال الحارثُ المحاسبي: «تَرْكُ الدنيا ـ مع ذِكرها[(١)] ـ صفةُ الزاهدين، وتركُها ـ مع نسيانها[(٢)] ـ صفةُ العارفين».

٣٠٨ـ وكتب عمرُ بن عبدالعزيز إلىٰ الحسن: «عِظني وأوجز، فكتب إليه الحسن: أمَّا مُصلِحُكَ ومُصلَحٌ به علىٰ يديك: الزهدُ في الدنيا، وإنما الزهدُ في الدنيا باليقين، واليقينُ بالتفكر، والتفكرُ بالاعتبار، فإذا أنت تفكرتَ في الدنيا لم تجِدْها أهلًا أن تبيعَ بها نفسك، ووجدتَ نفسك أهلًا أن تكرمَها بهوان الدنيا؛ فإن الدنيا دارُ بلاءٍ، ومَنزلُ قُلْعَة»[(٣)].

٣٠٩ـ وقال يحيىٰ بن معاذٍ الرازي: «الدنيا بأجمعِها لا تَسْوَىٰ غَمَّ ساعة، فكيف بغمِّ طولِ عمرِك فيها، وقطعِ إخوانِك بسببها؛ مع قليل نصيبك منها؟!».

٣١٠ـ وعن أنس رضي الله عنه ـ في قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢] ـ، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**قال جبريل** عليه السلام: **يا يوسف، اذكر هَمَّك، فقال:** ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣][(٤)]»[(٥)].

٣١١ـ وعن عبداللَّه بن يزيد بن عاصم رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ اللَّه

---

(١) أي: تعلُّق القلب بها.

(٢) أي: عدم التعلق بها.

(٣) **القُلعة**: الرحيل.

(٤) هٰذا علىٰ قول من قال: إن هٰذه الجملة من قولِ يوسف عليه السلام؛ والصواب أنها من كلامِ امرأةِ العزيز. انظر: «تفسير القرطبي»، وغيره عند الآية الكريمة.

(٥) **ضعيف**: وقد عزاه الشيخ الألباني رحمه الله للحاكم وابن مردويه والديلمي في «الفردوس» (٢/٨١/١) ـ كما في «الضعيفة» (١٩٩١) ـ، وحكم عليه **بالنكارة**.

تنبيه هام: وليعلم أنه لم يقع من يوسف عليه السلام همٌّ أصلًا؛ فأنبياء اللَّه تعالى معصومون عن مثل تلك البلايا. وانظر تقرير هٰذا في «أضواء البيان» للعلامة الشنقيطي عند الآية الكريمة.

ﷺ يقول: «**يا نَعايا العرب، يا نعايا العرب** ـ ثلاثًا ـ، **إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الرياءُ والشهوةُ الخفية**»[(١)].

النعايا جمع «النَّعِيِّ»، وهو الرجل الهالك[(٢)].

٣١٢ ـ وعن الجُنيد ـ وسُئل عن الدنيا: ما هي؟ ـ، فقال: «الدنيا علىٰ وجوه: فهي عند قوم هٰذا الفتحُ الذي تراه بين السماءِ والأرض[(٣)]، وقومٌ يجعلون الدنيا المتاعَ الذي فيها من الاتساع والغَناء[(٤)]، والدنيا عندي ما قارَبَ الهوىٰ».

٣١٣ ـ وقال بعضُ المشايخ: «إذا ابتدأتَ في أمرين؛ لا تدري أيهما الصواب؛ فانظر أيَّهما أقربُ إلىٰ هواك فخالفه؛ فإن كثرةَ الصواب في خلافِ الهوىٰ».

٣١٤ ـ وقال أبو عثمانَ الحِيري: «مَن أمَّر السُّنةَ علىٰ نفسه قولًا وفعلًا نَطق بالحكمة، ومَن أمَّر الهوىٰ علىٰ نفسِه نطق بالبدعة؛ لأن اللَّه تعالىٰ

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» ـ كما في «الصحيحة» (٢/٣٤) ـ، والبيهقي في «الشُّعَب» (٥/٣٣٢)، وابن عدي في «الكامل» (٤/١٥٢٩)، **وصحَّحه** الحافظ المنذري في «الترغيب» (٣٦٠٦)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٦/٦٥٥): «رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، خلا عبداللَّه بن بُديل بن ورقاء، وهو ثقة»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥٠٨)، وكذا محقق «شعب الإيمان» (٩/١٥٠)، والشيخ الداراني في تحقيق «المجمع» (١٣/٦٢٩).

(٢) كلمة تدلُّ علىٰ الحزن والإشفاق. ولها عدةُ معانٍ، فانظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٤/١٦٩)، و«الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٤/٤).

(٣) يقصد أنهم لا يرونها إلا هٰذا المخلوق الموجود بين السماء والأرض، والذي يحتوي علىٰ البحار والجبال والرمال... إلخ.

(٤) **الغَناء** ـ بفتح الغين ـ: الغنىٰ والنعيم.

يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]».

٣١٥ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم: «أشدُّ الجهاد جهادُ الهوىٰ، مَن منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظًا معافًىٰ من أذاها».

٣١٦ـ وقال: «الهوىٰ يُردي[1]، وخوفُ اللَّه يَشفِي، واعلمْ أن ما يُزيل عن قلبك هواك: إذا خفتَ مَن تعلمُ أنه يراك»[2].

٣١٧ـ وسُئل سهلُ بن عبداللَّه عن المعرفة[3]، فقال: «لا ينالُها أحدٌ إلا بعد المكابدة، فيتلذَّذُ بمخالفةِ هواه أكثرَ مما يتلذَّذُ بمتابعة هواه؛ فعند ذٰلك يَعرف».

٣١٨ـ وقال: «لا تُطلَقُ رُوحُ العبد في معرفةِ اللَّه، حتىٰ تستقيمَ نفسُه في طاعةِ اللَّه».

٣١٩ـ وقال الجُنيد: «أرِقتُ ليلةً، وقمتُ إلىٰ وِرْدي، فلم أجد ما كنتُ أجدُ من الحلاوة، فأردتُ أن أنام فلم أقدِرْ عليه، فقعدتُ فلم أُطِقِ القعود، ففتحتُ الباب وخرجت، فإذا رجلٌ ملتفٌّ في عباءة، مطروحٌ علىٰ الطريق[4]، فلما أحسَّ بي رفع رأسه، وقال: يا أبا القاسم، إليَّ الساعة. قلت: يا سيدي، من غير موعد؟ قال: بلىٰ، سألتُ محرِّكَ القلوب أن يحرِّكَ لي قلبك، قلت: قد فَعَل، فما حاجتُك؟ فقال: متىٰ يصيرُ داءُ النفس دواءَها؟ فقلت: إذا خالفت النفسُ هواها صار داؤها دواءها.

فأقبل[5] علىٰ نفسه، وقال: اسمعي؛ قد أجبتُكِ بهٰذا الجواب سبعَ

---

(١) يُردي: يُهلك.

(٢) أي: ما يزيل عن قلبك الهوىٰ: أن تخاف من لا يغفل عنك ولا ينام.

(٣) أي: معرفةِ اللَّهِ تعالىٰ.

(٤) أي: نائم علىٰ جانب الطريق.

(٥) أي: الرجل الذي سأل الجُنيد.

مراتٍ، فأبيتِ إلا أن تسمعِيهِ من الجنيد؛ فقد سمعتيهِ.

وانصرف عني، ولم أقف عليه، ولم أعرفه».

٣٢٠ـ وقال الحسن بن عليٍّ: «الخَلقُ مالكٌ ومملوك: فالمالكُ الذي يملكُ هواه، والعبدُ الذي يملكه هواه».

٣٢١ـ وقال محمدُ بن الفضل: «أنزِلْ نفسك منزلةَ مَن لا حاجةَ له فيها ـ ولابدَّ له منها[(١)]ـ؛ فإن مَن مَلَك نفسَه عز، ومن ملَكَتْه ذل».

٣٢٢ـ وقال بعضُهم: «ما لم تقتُل نفسَك بنفسك، لا تصِلْ إلىٰ ربِّك، قيل: فما قتلُ النفس؟ قال: قتلُها بسيوفِ المخالفة[(٢)]».

٣٢٣ـ وقال بعضُهم ـ أيضًا ـ: «لولا الشَّرعُ زَجَرني، لقتلتُ نفسي بنفسي لنفسي[(٣)]».

٣٢٤ـ وقال أبو عليٍّ الدقَّاق: «مَن لم يكن الغالبُ علىٰ قلبه ربَّه؛ فإنما يعبدُ هواه ونفسه».

٣٢٥ـ وسُئل ابنُ عطاء عن أقرب شيءٍ إلىٰ مقت اللَّه، قال: «رؤيةُ النفس وأحوالها، وأشدُّ من ذٰلك مطالعةُ الأعواض علىٰ أفعالها[(٤)]».

٣٢٦ـ وقال أبو عمرو ـ جَدُّ أبي عبدالرَّحمٰن السلمي ـ: «مَن كرُمت عليه نفسُه، هان عليه دينُه»[(٥)].

---

(١) أي: كأنك لا تحتاجها في شيء، وإن كنت لا تستغني عنها.

(٢) أي: مخالفة شهواتِها التي لا تُرضي ربَّها ﷻ.

(٣) أي: لقتلتُها بيدي حرصًا عليها ألَّا تسقط في أوحال المخالفة؛ فقتلي إياها سيكون لنفعها لا لضرها. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٤) أي: طلب الثواب علىٰ ما تفعله. يقصد: لأنه ينبغي للعبد أن يستحي من اللَّه ﷻ أن يطلب منه ثوابًا؛ بل حسبه أن يعفو عنه وينجيَه من النار. كذا يقصد. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٥) لأن من يعتزُّ بنفسه، ويتيه بها، يترفع عن الخضوع التام لربِّه تعالىٰ.

٣٢٧ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «آفةُ العبد: رضاه من نفسِه بما هو فيه».

٣٢٨ ـ وقال أبو عثمان: «مَن رأىٰ عيبًا من نفسه، ولم يجد في قلبه وجعًا حتىٰ يتجردَ منه، أخافُ أن تكون رؤيتُه لعيبه لا تزيدُه إلا عُجبًا وإصرارًا».

٣٢٩ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «بلاءُ عامةِ المريدين إغضاؤهم علىٰ عثرة[١]، وتركُ مداواتِها بدوائها؛ حتىٰ تعتادَ النفسُ ذٰلك، فتُسقِطَه عن درجةِ الإرادة[٢]».

٣٣٠ ـ وقال النصرآباذي: «سِجنُك نفسُك، إذا خرجتَ منها وقعتَ في راحةِ الأبد، وما دمتَ فيها فأنت في سجن البلاء، ولا يُخلِّصُك منها إلا الاستقامة؛ قال رسول اللَّه ﷺ: «**استقيموا ولن تُحصُوا**»[٣]».

٣٣١ ـ وعن فُضيل بن عياض ـ في معنىٰ قوله ﷺ: «**الدنيا سِجنُ المؤمن وجنة الكافر**»[٤]ـ، قال: «هي سجنُ مَن ترك لذاتِها وشهواتِها، فأما الذي لا يتركُ لذاتِها ولا شهواتِها؛ فأيُّ سجنٍ هي عليه؟!».

---

(١) أي: إذا زلُّوا زلَّةً لم يُبالوا بها.

(٢) أي: تسقطه عن أن يكون اللَّهُ تعالىٰ هو مراده الأعظم.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٧٦/٥)، والدارمي (٦٥٥)، وابن ماجه (٢٧٧)، وابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٧٠)، والطبراني في «الصغير» (٨)، وفي «الأوسط» (٧٠١٥)، وفي «الشاميين» (١٣٣٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٢٧١٣)، والحاكم (١٣٠/١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٩٣/١)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٣١٨/٢٤)، من حديث ثوبان ﷺ، **وصحَّحه** الحاكم، والذهبي، **وضعَّفه** البوصيري للانقطاع، مبينًا أن له طرقًا متصلةً. **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٩٥٢)، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٦١/٣٧).

(٤) رواه مسلم (٢٩٥٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

٣٣٢ ـ وقيل لداودَ الطائي: «ما لك لا تُسرِّحُ لحيتَك؟ قال: إني ـ إذن ـ لفارغ، الدنيا دار مأتم»(١).

٣٣٣ ـ وقيل له: «لو صَعِدتَ إلىٰ السطح يُصيبُك الرَّوح(٢)؟ قال: إني لأكرهُ أن أخطوَ خطوةً يكون لبدني فيها راحة»(٣).

٣٣٤ ـ وقال عبدُاللَّه بنُ الفرج: «رأىٰ رجلٌ داودَ الطائي ليلةَ مات في المنام يَحضُر ـ أي يَعْدُو ـ، فقال: ما لي أراك تحضُر؟ فقال: الساعةَ أفلتُّ من السجن. فأصبح الرجل والناس يقولون: مات داود رَحِمَهُ اللَّهُ».

٣٣٥ ـ وقال محمدُ بن الفضل: «الراحةُ هي الخلاص من أمانيِّ النفس».

٣٣٦ ـ وقال عبدُاللَّه بن مُنازل: «مَن رفع ظِلَّ نفسه عن نفسه، عاش الناسُ في ظِلِّه(٤)».

٣٣٧ ـ وقال ذو النون: «النفسُ صنم، والنظرُ إليها عبادة؛ لأنك لا ترىٰ فيها إلا آثارَ الحق، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات]».

٣٣٨ ـ وأنشد ذو النون:

قلبـي إلـىٰ مأسـاتي داعـي	يُكثِـرُ أسـقـامي وأوجـاعـي
كـيـف احتـراسـي مـن عـدوِّي	إذا كان عدوِّي بين أضلاعي؟!

٣٣٩ ـ وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أعدَىٰ عدوِّك نفسُك التي بين جَنبيك**»(٥).

---

(١) سبق التعليق علىٰ مثل هٰذا الكلام تحت الأثر رقم (١٦٢).

(٢) أي: النسيم.

(٣) هٰذا العبد الصالح يتكلم عن حاله رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) أي: من نسي رؤية نفسه ـ فلم يتكبَّر ويعجب ـ انتفع الناس برؤيته.

(٥) موضوع: ذكره أبو عبدالرَّحمٰن السلمي في «آداب الصحبة» (٦٨) ـ بلا سند ـ، =

٣٤٠ ـ وعن أبي الدرداء ﵁ قال: «يا رُبَّ مُكرِمٍ لنفسه وهو لها مُهين! ويا رُبَّ شهوةٍ ساعةٍ قد أورثت صاحبَها حزنًا طويلًا!».

٣٤١ ـ وقال ابنُ عطاء: «النفسُ لا تألفُ الحقَّ أبدًا»[(١)].

٣٤٢ ـ وقال الحسنُ بن عليٍّ: «الطريق واضح، ولٰكنَّ الهوىٰ فاضح».

٣٤٣ ـ وقال: «الفقهُ في العبادات: حِفظُ النفس عن الشهوات».

٣٤٤ ـ وقال الفضيلُ: «لم يَكمُلْ عبدٌ حتىٰ يُؤثِرَ اللَّهَ علىٰ شهوته».

٣٤٥ ـ وسُئل الأستاذ أبو سهل الصُّعلوكي عن حقيقةِ العبودية، فقال: «الموافقةُ والمخالفة، وهو أن يوافقَ الحق، ويخالفَ نفسَه وهواه».

٣٤٦ ـ وقال محمدُ بن الفضل: «العَجَبُ ممَّن يقطعُ الأوديةَ والقِفارَ والمفاوزَ حتىٰ يصلَ إلىٰ بيتِه وحَرَمِه[(٢)]؛ لأن فيه آثارَ أنبيائه؛ كيف لا يقطعُ نفسَه وهواه حتىٰ يصل إلىٰ قلبه؛ فإن فيه آثار مولاه[(٣)]!!».

٣٤٧ ـ وقال السَّريُّ: «أقوىٰ القوة: غلَبتُك نفسَك، ومَن عجز عن أدب نفسِه، كان عن أدبِ غيرِه أعجز».

٣٤٨ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «من علامةِ المعرفة باللَّه: القيامُ بحقوقِ اللَّه، وإيثارُه علىٰ النفس فيما أمكنت فيه القدرة».

٣٤٩ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «من علامةِ الاستدراج: العَمَىٰ عن عيوب النفس».

٣٥٠ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «أحسنُ الأشياء خمسةٌ: البكاءُ علىٰ الذنوب،

= وحكم عليه **بالوضع** الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣/٤)، وكذا الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١١٦٤).

(١) يقصد النفس التي لم تتزكَّ بدين ربِّها ولم تتعلقْ به.

(٢) يقصد بيت اللَّه ﵎.

(٣) أي: عجائب قدرة ربِّه ﷿.

وإصلاحُ العيوب، وطاعةُ علَّام الغيوب، وجِلاءُ الرَّين من القلوب[١]، وألَّا يكون لكلِّ ما يهوىٰ رَكُوبًا».

٣٥١ ـ وقال حاتمٌ الأصم: «الشهوةُ ثلاثة: شهوةٌ في الأكل، وشهوةٌ في الكلام، وشهوةٌ في النظر، فاحفظ الأكلَ بالثقة[٢]، واللسانَ بالصدق، والنظرَ بالعِبْرة».

٣٥٢ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «العباءُ[٣] عَلَمٌ من أعلام الزهد؛ فلا ينبغي لصاحب العباءِ أن يلبسَ عباءً بثلاثة دراهم ونصف، وفي قلبه شهوةٌ بخمسةِ دراهم، أما يستحي من اللَّه ﷻ أن تجاوِزَ شهوةُ قلبه عباءتَه[٤]!».

٣٥٣ ـ وقال أبو بكر الورَّاق: «مَن أرضىٰ الجوارح بالشهوات؛ فقد غَرس في قلبه شَجَر الندامات».

٣٥٤ ـ وقال إبراهيمُ الخوَّاص: «كنتُ في «جبل لُكام»[٥]، فرأيت رمانًا، فاشتهيتُ فدنوت، فأخذتُ منها واحدًا، فشققتُه فوجدته حامضًا، وتركتُ الرمان، فرأيت رجلًا مطروحًا قد اجتمع عليه الزنابيرُ[٦]، فقلت: السلامُ عليك، فقال: وعليك السلام ـ يا إبراهيم ـ، قلت: فكيف عرفتني؟ قال: مَن عرف اللَّهَ لا يخفىٰ عليه شيءٌ من دون اللَّه، فقلتُ: أرىٰ لك حالًا مع اللَّه، فلو سألتَه أن يحميَك ويقيَك الأذىٰ من هٰذه الزنابير! فقال لي: أرىٰ لك حالًا مع اللَّه، فلو سألتَه أن يقيَك شهوةَ الرمان! فإن لدغَ الرمان

(١) أي: تطهير القلب ممَّا تراكم عليه من الذنوب.

(٢) لعله يقصد الثقة في كفايةِ اللَّهِ تعالىٰ لك ـ إذا أحسنت التوكل عليه ـ، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) **العباء**: الثياب المعروفة التي تُلبس.

(٤) للقوم أحوال، ولغيرهم أحوال.

(٥) **جبل لكام**: أعمر جبال الشام وأكبرها.

(٦) **الزنابير**: ذبابٌ لسَّاع، وهو الدبُّور.

يجدُ الإنسانُ ألمَه في الآخرة، ولدغَ الزنابير يجدُ ألمَه في الدنيا. فتركتُه ومضيت»[١].

٣٥٥ ـ وعن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**اتقوا فراسةَ المؤمن؛ فإنه ينظر بنور اللَّه** عز وجل»[٢].

٣٥٦ ـ وقال أبو مسلم الخَوْلاني: «نفسًا[٣] إذا أكرمتُها ووَدَعْتُها[٤] ونعَّمتُها، ذمَّتني عند اللَّه غدًا، وإن أنا أهنتُها وأنصبتُها وأعملتُها، مدحتني عند اللَّه غدًا. قالوا: فمَن تيك[٥] ـ يا أبا مسلم ـ؟ قال: تيكَ ـ واللَّهِ ـ نفسي».

٣٥٧ ـ وقال بلالُ بن كعب: «ربما قال الصبيانُ لأبي مسلم[٦]: ادعُ اللَّهَ يحبسْ علينا هٰذا الطير. فيدعو اللَّهَ فيحبسه، حتىٰ يأخُذوه بأيديهم».

---

(١) أثرٌ عجيب، وفيه نكارةٌ بيِّنةٌ.

(٢) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨/١٠٢)، وفي «الأوسط» (٣٢٨٧)، **وحسَّنه** الأئمة: ابن عرَّاق في «تنزيه الشريعة» (٢/٣٠٦)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (٢٤٤)، والسيوطي في «اللآلئ» (٢/٣٣٠).
وورد الحديث من رواية أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه: رواه البخاري في «التاريخ» (٧/٣٥٤)، والتِّرمذي (٣١٢٧)، والطبري (٧/٥٢٨)، والخطيب في «التاريخ» (٤/٣١٣). وقال الإمام التِّرمذي: «**غريب**». **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (٥/٣٥٤)، والشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، وكذٰلك الشيخ خلدون الأحدب في كتابه: «زوائد تاريخ بغداد علىٰ الكتب الستة» (٤/٣٤٠).
وانظر: تحقيق «الطرُق الحكمية» للإمام ابن القيم (١/٢٨ ـ ط: عالم الفوائد).

(٣) كذا في المطبوعات.

(٤) **ودعتُها**: عاملتُها بالدعة والرخاء.

(٥) **تيك**: اسم إشارة بمعنىٰ «تلك».

(٦) يعني الخَوْلاني رحمه الله.

٣٥٨ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «عثَر[(١)] يوسف عليه السلام ثلاث عثرات، قوله: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، وقوله لإخوته: ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾ [يوسف]، والثالثة حين قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢]، فقال له جبريل عليه السلام: ولا حين هَممتَ؟ فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ [يوسف: ٥٣]»[(٢)].

٣٥٩ ـ وعن سعيدِ بن جُبير: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، قال: «رأىٰ جبريلَ في صورة أبيه يعقوب، فخرجت شهوتُه من أنامله».

٣٦٠ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ـ في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ـ، قال: «مُثِّل له يعقوب، فضربَ صدره، فخرجت شهوتُه من أنامله»[(٣)].

٣٦١ ـ وعن الحسنِ بن أبي نصر قال: «أَحِبَّ الإسلامَ وأهلَه، وأَحِبَّ الفقراء، وأَحِبَّ الغريبَ من كلِّ قلبك، وادخُل في غموم الدنيا واخرج منها بالصبر، ولا تيأسْ من رجلٍ أن يكون علىٰ خيرٍ فيرجعَ إلىٰ شرٍّ فيموتَ بشر، ولا تيأس من رجلٍ يكون علىٰ شرٍّ فيرجع إلىٰ خيرٍ فيموت بخير، ولْيَرُدَّكَ عن الناس ما تعرفُ من نفسك».

٣٦٢ ـ وعن الرَّبيعِ بن عبدالرَّحمٰن قال: «إن للَّه عز وجل عبادًا أخْمَصوا له البطون[(٤)]، وغضُّوا له الجُفونَ عن مناظر الآثام، وأهْملوا له العيون[(٥)] لمَّا اختلط عليهم الظلام؛ رجاءَ أن يُنيرَ لهم ذٰلك ظلمةَ قبورهم إذا تضمَّنتهم الأرضُ بين أطباقها، فهم في الدنيا مكتَئِبون، وإلىٰ الآخرة متطلعون، نَفَذت أبصارُهم بالغيب إلىٰ الملكوت، فرأت فيه ما رجت من

(١) **عثر**: زلَّ.
(٢) إسرائيليات، وفي معناه نكارة ظاهرة. وراجع التعليق علىٰ الأثر رقم (٣١٠).
(٣) هٰذا وما قبله إسرائيلياتٌ لا دليل عليها.
(٤) **أخمصوا**: أجاعوا. والمراد: أكثروا الصيام.
(٥) **أهملوا**: أسالوا دموعها بغزارة.

عظيمِ الثواب، فازدادوا ـ واللَّهِ ـ بذٰلك جِدًّا واجتهادًا عند معاينة ما انطوت عليه آمالُهم، فهم الذين لا راحةَ لهم في الدنيا، وهم الذين تقرُّ أعينُهم غدًا بطلعةِ مَلَكِ الموت عليهم»، ثم بكىٰ حتىٰ ابتلَّت لحيتُه.

٣٦٣ ـ وعن عبدالكريم بن رُشيد: «أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: أي رب، أين ألقاك؟ قال: تلقاني عند المنكسِرةِ قلوبُهم».

٣٦٤ ـ وعن حنان بن خارجة قال: قلت لعبداللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كيف تقولُ في الجهاد والغزو؟ قال: ابدأ بنفسِك فجاهِدْها، وابدأ بنفسك فاغزُها؛ فإنك إن قُتلت فارًّا بعثك اللَّه فارًّا، وإن قُتلت صابرًا محتسبًا بعثك اللَّه صابرًا محتسبًا».

٣٦٥ ـ وعن فَضَالةَ بنِ عُبيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**المجاهدُ مَن جاهد نفسه**»(١).

٣٦٦ ـ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الشديدَ ليس الذي يغلبُ الناس، ولٰكنَّ الشديدَ مَن غلب نفسه**»(٢).

---

(١) صحيح: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٢٦)، وأحمد (٦/٢١)، وابن حبان (٤٨٦٢)، والحاكم (١/١٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤)، وابن عبدالحكم في «فتوح مصر» ص(٢٧٧)، والفَسَوي في «المعرفة» (١/٣٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٨/٧٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١١٢٣)، **وصحَّحه** الحاكم، **وأقرَّه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٩/٣٨٢)، والشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥٤٩).

(٢) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١٠١٥٦)، وابن حِبَّان (٧١٧)، والطيالسي (٢٦٤٨)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٥١٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٨٢)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٦٣)، والآجري في «أدب النفوس» (٥)، بلفظ: «**إن الشديدَ ليس من غَلَب الرجالَ، ولٰكنَّ الشديدَ من غلب نفسه**»، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن حِبَّان. =

٣٦٧ ـ وعن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول: «**إن ممَّا أخشىٰ عليكم شهواتِ الغَيِّ في بطونكم وفروجِكم، ومُضلَّاتِ الأهواء**[1]»[2].

٣٦٨ ـ وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قدم علىٰ رسول اللَّه ﷺ قومٌ غزاةٌ، فقال ﷺ: «**قدِمتم خيرَ مَقدَمٍ من الجهادِ الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر**». قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «**مجاهدةُ العبد هواه**»[3].

= وروه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا ـ بلفظ: «**ليس الشديد بالصُّرَعة؛ إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عند الغضب**».

(١) و«مضلات الأهواء» ـ وهي البدع والضلالات ـ أخبث وأضر علىٰ القلب من «شهواتِ الغي»؛ لأن الأولىٰ تضرب العبد في أصل دينه وعقيدته، والثانية ـ وإن كانت تؤثر بلا شك علىٰ دينه ـ، إلَّا أن هدفها نيل العبدِ لشهواتِه، فإذا اجتمعتا جميعًا علىٰ القلب تحتَّم هلاكُه، إلَّا أن يتداركه اللَّهُ تعالىٰ برحمته.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٤/٤٢٠)، والبزار (١٣٢ ـ كشف)، والدولابي في «الكنىٰ» (١/١٥٤)، والطبراني في «الصغير» (٥١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٣٢)، وذكره الحافظ المنذري في «الترغيب» (٨١)، من رواية أحمد والبزار والطبراني، وقال: «**وبعض أسانيدهم رجاله ثقات**». ومال إلىٰ **تضعيفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (١٨/٣٣)، بينما **صحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٢).

(٣) **ضعيف**: رواه الخطيب في «التاريخ» (١٥/٦٨٥)، وقد **ضعَّفه** الإمام البيهقي ـ هنا ـ بعد تخريجه، **وأقرَّه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣/٢)، ونقل الإمام الفتَّني في «تذكرة الموضوعات» (١٩١) **تضعيف** الإمام النووي له، **وأقرَّه** عليه، وحكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (١١/١٩٧) بأنه **لا أصل له**. **وضعَّفه** ـ أيضًا ـ الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (١/٤٨٩)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط ـ أيضًا ـ في تحقيقه. وقال الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»: «**إسناده تالف**». وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٤٦٠): «**منكر**»، ثم قال رحمه الله: «وقد استنكر ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» تسميته بـ«الجهاد الأصغر»؛ =

٣٦٩ ـ وعن عبداللَّه بن مسعود ﷺ قال: «إنكم في زمانٍ الهوىٰ فيه تابعٌ للعمل، وإن مِن بعدكم زمانًا العملُ فيه تابع للهوىٰ»[(١)].

٣٧٠ ـ وقال أبو عثمان الحِيري: «مَن أمَّر السُّنةَ علىٰ نفسِه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوىٰ علىٰ نفسِه نطق بالبدعة؛ لأن اللَّه جلَّ ذِكرُه يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤]».

٣٧١ ـ وعن الحسن بن أبي العمرَّطة قال: «رأيتُ عمر بن عبدالعزيز قبل أن يُستخلف، فكنت أعرفُ الخير في وجهه[(٢)]، فلما استُخلف رأيتُ الموتَ بين عينيه».

= لأن جهاد الكفار من أعظم الأعمال؛ بل هو أعظم ما تطوع له الإنسان» اهـ.

قلت: والحديث ـ كما رأينا ـ له سندٌ ـ وإن كان لا يثبت ـ. وعليه فكلام الإمام ﷺ السالف بأن هٰذا الحديث «**لا أصل له**» فإنما قصد من ناحية معناه ـ لا من ناحية سنده ـ؛ فإن المعنىٰ باطلٌ قطعًا وجزمًا؛ فإن الجهاد في سبيل اللَّه تعالىٰ ونشر الإسلام وقمع أعدائه أعظمُ الأعمال علىٰ الإطلاق.

ومن المضحكات المبكيات ـ معًا ـ أن الجماعة المبتدعة ـ المسماة بجماعة التبليغ ـ جعلوا هٰذا الحديث أصلًا لهم في تركهم وتنفيرهم ونهيهم عن جهاد أعداء اللَّه ﷻ، والتشنيع علىٰ القائمين به؛ حتىٰ وصل بهم الجهلُ والضلال إلىٰ أنهم ذهبوا في يومٍ من الأيام إلىٰ بعض المجاهدين في سبيل اللَّه تعالىٰ في ساحات القتال، وطالبوهم ـ صراحةً ـ أن يتركوا الجهاد، ويخرجوا معهم في خروجهم البدعي الذي يسمُّونه زُورًا: «الخروج في سبيل اللَّه»!! فرحماك ـ ربنا ـ بالإسلام والمسلمين.

(١) أي: كان الصحابة ﷺ أهواؤهم تابعةً لأوامر ربِّهم ﷻ، فلا يعملون شيئًا حتىٰ ينظروا: هل أذن فيه ربُّهم ونبيُّهم ﷺ أم لا، ثم ستأتي أزمانٌ يكون دينُ اللَّهِ ﷻ تابعًا لأهواء الخلق، فما قنعت به عقولُهم عملوه، وما لا رفضوه وحاربوه. وقد وقع.

(٢) أي: نعمة الغِنىٰ والثروة.

٣٧٢ ـ وقال يوسفُ بن يعقوب الكاهلي: «كان عمرُ بن عبدالعزيز يلبسُ الفَروة الكَبَل[١]، وكان سراجُ بيته علىٰ ثلاثِ قصباتٍ فوقَهن طين».

٣٧٣ ـ وقال بشرُ بن الحارث: «إني لأشتهي الشِّواءَ منذ أربعين سنة، ما صَفا لي دِرهَمُه[٢]».

٣٧٤ ـ وقال الرَّبيعُ بن برة: «يا ابنَ آدم، لو عَرضتَ شهواتِك[٣] اللاتي مضت علىٰ سائلٍ بتمرةٍ ما قبلها».

٣٧٥ ـ وكان يقول: «إن الدنيا تقول: أنا المركَبُ المقوَّم، وأنا البيت ذو الأفاعي، أنا حيةُ الوادي، أنا الذي أُهينُ مَن أكرمني، وأُكرِمُ من أهانني، وأؤمِّنُ من توكَّل [علىٰ ربِّه]».

٣٧٦ ـ وقيل لبعض الحكماء: «لِمَ صارت الملوكُ أقسىٰ الناس قلوبًا؟ قال: تباعدت عنها الفِكَر، وقرُبت منها الشهوات، وتمكَّنت من اللذات؛ فاسودَّت».

٣٧٧ ـ وقال بُنانُ بن محمد: «مَن كان يَسُرُّه ما يضرُّه متىٰ يُفلح[٤]؟».

٣٧٨ ـ وقال رجلٌ من العرب لابنه: «أيْ بُني، إنه من خافَ الموت أدرك الفَوت[٥]، ومن لم يُقبِّحْ نفسَه عند الشهوات أسرعت به التبِعات، والجنةُ والنارُ أمامك».

---

(١) أي: القصيرة.

(٢) في هٰذا مبالغةٌ ظاهرة، والحلال موجود بفضل اللَّهِ تعالىٰ، واللَّهُ أعلم بحال بشر أولًا، وصحة الأثر ثانيًا. وحتىٰ إن صح فإن أهل الورع قد يدقِّقون في أمور لا بأس بها في الشرع؛ تحرزًا من أن تنجرَّ أقدامُهم إلىٰ ما لا تُحمد عقباه؛ فلا يجعل مثل قولهم تشريعًا.

(٣) كذا! ولعلها طاعاتك.

(٤) أي: من كان يفرحُ بمعاصيه وتقصيره، متىٰ يفلح؟!

(٥) أي: بادر بالعمل الصالح قبل فواتِ عمره.

٣٧٩ ـ وقال الحسنُ بن منصور: «قرأتُ علىٰ غنَّامٍ وهو مشغول، فقلت: يا أبا الحسن، أنت مشغول؟ قال: في شُغلٍ تُحبُّه. ثم قال: يفرح الرجلُ بالدرهم ليستفيدَه، ولا يعلمُ أنه يحاسَبُ عليه[(١)]».

٣٨٠ ـ وعن عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن كنتُم أصحابي وإخواني فوطِّنوا أنفسكم علىٰ العداوةِ والبغضاءِ من الناس؛ فإنكم إن لم تفعلوا فلستُم لي بإخوان، إني إنما أعلِّمُكم لتعمَلوا لا لتَعجَبوا[(٢)]، إنكم لا تبلُغون ما تأمَلون إلا بصَبرِكم علىٰ ما تكرهون، ولا تنالُون ما تريدون إلا بترِكِكم ما تشتهون. إياكم والنظرة؛ فإنها تزرعُ في القلوب شهوةً، وكفىٰ بها لصاحبها فِتنة، طوبىٰ لمن كان بصرُه في قلبه، ولم يكن قلبُه في بصر عينيه[(٣)]، ما أبعدَ ما فات! وما أدنىٰ ما هو آت! ويلٌ لصاحب الدنيا؛ كيف يموتُ وتتركه، ويثقُ بها وتَغُرُّه، ويأمنُها وتمكُرُ به! ويلٌ للمغترين؛ قد آزَفَهم[(٤)] ما يكرهون، وجاءهم ما يوعَدون، وفارقوا ما يُحبُّون في طول الليل والنهار! وويلٌ لمن كانت الدنيا هَمَّه، والخطايا عملَه؛ كيف يُفتضح غدًا عند ربه[(٥)]؟! ولا تُكثروا الكلامَ بغير ذكر اللَّه فتقسوَ قلوبُكم ـ وإن كانت ليِّنةً ـ؛ فإن القلب القاسي بعيدٌ عن اللَّه عَزَّوَجَلَّ، ولٰكن لا تعلمون.

لا تنظروا في ذنوبِ الناس كهيئةِ الأرباب، وانظروا في ذنوبهم[(٦)] كهيئة

---

(١) إنما يحاسب إذا ناله من حرام أو شبهةٍ قوية. أما الحلال فلا عتاب فيه.
(٢) أي: لا ليكون نصيبكم من تعليمي لكم التعجب من حلاوة كلامي.
(٣) أي: رحم اللَّهُ من تفكر قبل أن يبصر، ولم يبصر أولًا، ثم يُفتن قلبه بتلك النظرة.
(٤) **آزفهم**: قاربَهم وعاجَلَهم.
(٥) في المطبوع: بربه، ولعل الأصح ما أثبتُّه.
(٦) في المطبوع: «ذنوبكم». ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه.

العبيد، إنما الناس رجلان: معافًىٰ، ومبتلًىٰ؛ فاحْمَدوا اللَّهَ علىٰ العافية، وارحموا أهل البلاء، متىٰ نزل الماءُ علىٰ جبلٍ إلا يلينُ له! ومذ متىٰ تدرُسُون الحكمة ولا تلينُ لها قلوبكم؟ بقَدْر ما تَواضعون، وبقَدر ما تحرُثون، كذٰلك تَحصِدون. علماءُ السوء مَثَلُهم كمثل الشجرة الدَّفلَىٰ[(١)]، تُعجِبُ مَن نظر إليها، وتقتلُ من يأكلها، كلامُكم شفاءٌ يُبرِئُ الداء، وأعمالكم داءٌ لا يبرئُه شفاء، جَعلتم المعلِّمَ تحت أقدامكم مثلَ عبيدِ السوء. بحقٍّ أقول لكم، وكيف أرجو أن تنتفعوا بما أقول، وأنتم الحكمةُ تخرجُ من أفواهكم ولا تدخلُ آذانكم، وإنما بينهما أربعُ أصابع، ولا تَعِيها قلوبُكم! فلا أحرارٌ كرام، ولا عبيدٌ أتقياء».

٣٨١ ـ وقال سليمانُ بن إسحاق: «لمَّا زهِد موسىٰ ﷺ في الدنيا قال لنفسه: لا هَوِيتِ شيئًا أبدًا إلا خالفتُكِ فيه».

٣٨٢ ـ وعن المضَّاء قال: «لما كلَّم اللَّهُ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ اعتزل النساء، وتَرك اللحم، فبلغ ذٰلك هارونَ أخاه، فاعتزل النساءَ وترك اللحم، ثم لم يلبثْ أن تزوج وأكل اللحم، فقيل لموسىٰ: إن أخاك هارونَ قد أكل اللحمَ وتزوج. قال: لٰكني لا أرجعُ في شيءٍ تركتُه للَّه عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)].

٣٨٣ ـ وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: «قلت لراهب: ما تقولُ فيمن اضطجع وهو يريدُ أن يعطيَ نفسَه شهوتها من النوم؛ يكون زاهدًا؟ قال: لا، ومَن أعطىٰ نفسَه شهوتها من النوم والطعام والشراب، فليس بزاهد[(٣)]، وما نجدُ في كتبنا شيئًا أشدَّ مقاتلةً من شهوة النساء؛ لأنها مخلوقةٌ في

(١) **الدفلَىٰ**: شجرةٌ مرَّة، أو مسمومة ـ كما سيتضح من السياق ـ.
(٢) إسرائيليات، لا حجةَ فيها. وفي معناه نكارةٌ.
(٣) فيه نظرٌ بيِّن ـ كما سلف نحوه ـ. وأفعال الرهبان وغيرهم ليست ميزانًا يعتمد عليه إذا خالف شريعة رب العالمين.

العروق والدم، فإخراجُها شديد، وشهوةُ الأكل حديثةٌ علىٰ الطب فإخراجها هيِّن».

٣٨٤ ـ وقال وهب بنُ منبِّه: «إن من أعونِ الأخلاق علىٰ الدين: الزهادةَ في الدنيا، وأوشكُها[(١)] ردًىٰ اتباعُ الهوىٰ، ومِن اتباع الهوىٰ الرغبةُ في الدنيا، ومِن الرغبة في الدنيا حبُّ المال والشرف، ومِن حبِّ المال والشرف استحلالُ الحرام، ومن استحلال الحرام يَغضبُ اللَّه، وغضبُ اللَّه ﷻ الداءُ الذي لا دواءَ له إلا رضوانُ اللَّه ﷻ، ورضوانُ اللَّه ﷻ الدواءُ الذي لا يضرُّ معه داء، فمن يُرد أن يُرضيَ ربه يُسخِطْ نفسه، ومن لم يُسخط نفسه لا يُرضي ربه، إن كان كلما ثقُل علىٰ الإنسان شيءٌ من أمر دينه تركه؛ أوشك ألَّا يبقىٰ معه منه شيءٌ».

٣٨٥ ـ وقال يحيىٰ بن معاذ: «الكيِّسُ[(٢)] مَن سُلِّط علىٰ تعذيب نفسِه في طاعة اللَّه؛ فإن تعذيبَها يُنجيها، وترفيهها يُرديها».

٣٨٦ ـ وقال شُعيبُ بن حرب: «دخل إبراهيمُ بن أدهم علىٰ بعض هٰؤلاء الولاة، فقال له: من أين معيشتُك؟ قال إبراهيم:

نرقِّعُ دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا دينُنا يبقىٰ ولا ما نُرقِّع

فقال الوالي: أخرِجوه فقد استثقل».

٣٨٧ ـ وقال أبو مُسهر:

أفٍّ لدنيا ليستْ تُواتيني ... إلا بَنقضي لها عُرىٰ ديني[(٣)]

عَيني لحَيني تُديرُ مُقلتَها ... تريدُ ما ساءها لتُرديني[(٥)]

---

(١) **أوشكها**: أسرعها.

(٢) **الكيِّس**: العاقل.

(٣) **تواتيني**: توافقني. **العُرىٰ**: ما يُتمسك به.

(٤) **الحَين**: الهلاك.

٣٨٨ ـ وقال يحيىٰ: بلغني أن رجلًا أنشد عمرَ بن عبدالعزيز:

أعوذُ بربِّ الناس من شرِّ نعمةٍ تقرُّ بها عيناي فيها رَداها

٣٨٩ ـ وعن عبدِاللَّه المقرئ قال: كان معنا شابٌّ مجتهدٌ؛ إذا فرغ من تَهجُّدِه يقول شيئًا لم أكُ أفهمه؛ فقمت إليه في ليلةٍ ظلماءَ من حيث لا يراني، فسمعتُه يقولُ بصوتٍ حزين ـ وبكاؤه يغلبه ـ: مثَّلتُ في نفسي الجنةَ؛ آكلُ ثمارها، وأُعانقُ أزواجها، وألبسُ من حُليِّها. ومثَّلتُ في نفسي النار، آكلُ من زقُّومها، وأشربُ من حَمِيمها، وأعالجُ أغلالها، فقلت: يا نفسي، أي شيءٍ تريدين الآن؟ فقالت: أن أُردَّ إلىٰ الدنيا، فأعمل. قلتُ: الآنَ أنتِ في الأمنية؛ فاعملي. ثم ينشد:

وكيف تُحبُّ أن تُدعىٰ حكيمًا وأنت لكلِّ ما تَهوىٰ رَكُوبُ

وتَضحكُ دائمًا ظهرًا لبطنٍ وتذكُرُ ما عملتَ فلا تتوبُ

٣٩٠ ـ وقال إبراهيمُ التيمي: «أيُّ حسرةٍ علىٰ امرئٍ أكبرُ من رجلٍ خوَّله[١] اللَّهُ ﷻ مالًا في الدنيا، جاء يوم القيامة وِزرُه عليه، ومنفعتُه لغيره[٢]! وأيُّ حسرةٍ علىٰ امرئٍ أكبرُ من رجلٍ خوَّله اللَّهُ مملوكًا في الدنيا، جاء المملوك يومَ القيامة أفضلَ عند اللَّه منزلةً منه! وأيُّ حسرةٍ علىٰ امرئ أكبرُ من عبدٍ جَعل اللَّهُ له جارًا ضريرَ البصر؛ جاء يومَ القيامة يُبصر، وجاء وهو أعمىٰ[٣]! إن مَن كان قبلكم كانت الدنيا عليهم مُقبلة، وهم يتباعدون منها، وإنكم تحرِصون عليها وهي تتباعدُ منكم، فما أبعد ما بينكم وبين القوم!».

(١) **خَوَّله**: أعطاه وفوَّض إليه.
(٢) كالذي اكتسب المال من الحرام، ثم مات وانتقل المال إلىٰ وُرَّاثِه.
(٣) وإنما يعمىٰ في الآخرة من عمي عن طريق الحق والرشاد في الدنيا.

٣٩١ ـ وقال أبو حازم: «اشتدَّت مؤنةُ الدين والدنيا! قيل له: كيف ذاك ـ يا أبا حازم ـ؟ قال: أمَّا الدينُ فليس تجدُ عليه أعوانًا، وأما الدنيا فليس تمُدُّ يدَك إلىٰ شيءٍ منها إلا وجدتَ فاجرًا قد سبقك إليه».

٣٩٢ ـ وكان أبو العباس بن سُريج يتمثَّلُ بهٰذه الأبيات:

فلا تَحسُدِ الكلبَ لأكل العظام ... فعنـد الخِـراءةِ مـا تـرحَمُـهْ
تـراه وشـيكًا تـشكَّا استُـهُ ... كُلـومًا جـناهـا علـيـه فمُـهْ[1]
إذا مـا أهـانَ امـرؤٌ نفـسَـه ... فـلا أكـرمَ اللَّـهُ مَـن يُكـرمُـهْ

٣٩٣ ـ وقال حفص بن عبدالرَّحمٰن: «كان لمالكِ بن دينار جارٌ كما شاء اللَّه أن يكونَ له مال، فكان إذا استقبَله مالكٌ يقول: يا أبا فلان، إن كان المالُ الذي قد جَمعتَه من حلال؛ فقد آن لك أن تقتصرَ عليه، وإن كان من حرام؛ فقد آن لك أن تردَّها علىٰ أربابها. فكان من جوابه لمالك: يا مالك، إنا ندُقُّ الدنيا دقًّا دقًّا[2]. فقال مالكٌ: إذا ـ واللَّهِ ـ يأتيك الموتُ، فيدُقُّك دقًّا دقًّا.

فضرب الدهرُ ضرباتِه ما ضرب، فمرِض ذٰلك الرجلُ، فدخل عليه مالكُ بن دينار، فقال له: كيف تجدُك؟ قال الرجل: بشَرٍّ، فقال مالكٌ: وكيف ذاك؟ فقال الرجل: أتاني آتٍ من ربي، فقال: أبشِرْ بشَرٍّ».

٣٩٤ ـ وعن عمارِ بن ياسر ﭭ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَثَلُ أمتي مثلُ المطر؛ لا يُدرَىٰ أوَّلُه خيرٌ أو آخِرُه**»[3].

---

(١) **وشيكًا**: سريعًا. **استه**: دبرُه.

(٢) يقصد: إنما نحارب الدنيا لنجمعها بقدر ما نستطيع، واللَّهُ أعلم.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٤/٣١٩)، والبزار (١٤١٢ ـ «البحر»)، وهو في «كشف الأستار» (٢٨٤٣ ـ زوائد)، وابن حبان (٧٢٢٦)، والرامهرمزي في «الأمثال» ص(١٦٤)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٢٨٦)، والشيخ شعيب =

٣٩٥ ـ وعن أنس ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«أمتي كالمطر؛ لا يُدرىٰ أوَّلُه خيرٌ أم آخِرُه»**[(١)].

٣٩٦ ـ وقال مالكُ بن دينار: «قال لي عبدُاللَّه الداري ـ وكان أحدَ معلِّميَّ ـ: يا مالك، إنْ يَسُرَّك أن تبلغَ ذِروةَ هٰذا الأمر[(٢)]، فاجعل بينك وبين الشهواتِ حائطًا من حديد».

٣٩٧ ـ وقال أبو عليٍّ الرُّوذباري: «دخلتِ الآفةُ من ثلاث: سُقمُ الطبيعة، وملازمةُ العادة[(٣)]، وفسادُ الصحبة، فسُئل: ما سقمُ الطبيعة؟ قال: أكلُ الحرام، قيل: ما ملازمةُ العادة؟ قال: النظرُ بالعينين، والاستماع بالأذنين ما لا يليقُ بالحق، والغِيبةُ والبهتان، قيل: وما فسادُ الصحبة؟ قال: كلَّما هاج في النفس شهوةٌ تتبعُه».

٣٩٨ ـ وعن عبدِاللَّه بن خُبيق الأنطاكي قال: «إنما هي أربعٌ لا غير: عينُك، ولسانُك، وقلبُك، وهواك؛ فانظر عينَك لا تنظرْ إلىٰ ما لا يَحِلُّ، وانظر لسانَك لا تقلْ به شيئًا يعلمُ اللَّهُ خلافَه من قلبك، وانظر قلبَك لا يكونُ منه غلٌّ ولا حقدٌ علىٰ أحدٍ من المسلمين، وانظر هواك لا يَهوَىٰ شيئًا من الشر، فإذا لم تكن فيك هٰذه الأربعُ خصال، فاجعل الرمادَ علىٰ

= الأرنؤوط في «المسند» (٣١/١٧٤).

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/١٣٠)، والطيالسي (٢٠٢٣)، والترمذي (٢٨٦٩)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٣٣٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/٣٠٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/٦٦٣)، والرامهرمزي في «المحدِّث الفاصل» (٢٧٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٥٢). وقال الإمام الترمذي: «**حسن غريب**»، **وصحَّحه** الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/٧). **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩/٣٣٤).

(٢) أي: أن تكون من أصحاب الرضوان وبلوغ الدرجات العُلا في الطاعات.

(٣) أي: الدوام علىٰ العادات والتقاليد الموروثة.

رأسك؛ فقد شَقِيتَ[١]».

٣٩٩ ـ وقال أبو غسان القَسْمَليُّ: «الدنيا هي النفْس».

قال أبو سعيد[٢]: «كأنه يقول: الزهدُ في الدنيا الزهدُ في النفس، ومعناه في شهواتِها ومحبوبها كلِّه ـ إذا كان يَشغلُ عن اللّه ﷻ ـ وراحاتِها».

٤٠٠ ـ وقال حاتمٌ الأصم: «مَن دخل في مذهبنا، فلْيَجعل في نفسِه أربعَ خصالٍ من الموت: موتٌ أبيض، وموتٌ أسود، وموتٌ أحمر، وموتٌ أخضر؛ فالموتُ الأبيض: الجوع، والموتُ الأسود: احتمال أذىٰ الناس، والموتُ الأحمر: مخالفةُ النفس، والموتُ الأخضر: طرحُ الرِّقاع بعضِها علىٰ بعض[٣]».

٤٠١ ـ وقال يوسفُ بن أسباط: «مَن صَبَر علىٰ الأذىٰ، وترك الشهوات، وأكلَ الخبزَ من حلاله؛ فقد أخذ بأصل الزهد».

٤٠٢ ـ وسُئل سعيد بن عبدالعزيز عن الكَفاف من الرزق: ما هو؟ قال: «شِبَعُ يوم، وجوعُ يوم».

٤٠٣ ـ وقال محمدُ بن الفضل البَلْخي: «الدنيا بطنُك، فبقَدْر زُهدِك في بطنِك زُهدُك في الدنيا».

٤٠٤ ـ وقال بشرُ بن الحارث: «لم أر شيئًا أفضحَ لهٰذا العبدِ من بطنه».

٤٠٥ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم: «الجوعُ يُرِقُّ القلوب»[٤].

---

(١) في المطبوعتين: «شفيت»! والظاهر أنه تحريف، واللّهُ تعالىٰ أعلم.
(٢) أبو سعيد بن الأعرابي، أحد رجال السند.
(٣) أي: لبس القديم. واللّهُ أعلم.
(٤) يقصد قلة الطعام، وهي تختلف من عبدٍ لآخر.

٤٠٦ ـ وقال أبو سليمان: «إذا جاع القلبُ وعطِش صفا ورقَّ، وإذا شبع ورَوِيَ عَمِيَ».

٤٠٧ ـ وقال الفضيلُ بن عياض: «خصلتانِ تُقسِّيان القلب: كثرةُ النوم، وكثرةُ الأكل».

٤٠٨ ـ وقال شيخٌ حكيم: «مسكينٌ ابنُ آدم، مكتومُ الأجل، مكتومُ العلل[1]، أسيرُ الجوع، صريعُ الشِّبع».

٤٠٩ ـ وعن أُبيِّ بن كعب ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إن مطعمَ ابن آدم قد ضُرب للدنيا مثلًا، فانظر ما يَخرُجُ من ابن آدم ـ وإن قزَّحَه وملَّحه[2] ـ؛ قد عَلِم إلىٰ ما يصير**[3]»[4].

٤١٠ ـ وقال بعضُ أهل المعرفة: «لا يطمعُ أحدٌ في السهر[5] مع الشبع، ولا يطمعُ في الحزن مع كثرةِ النوم، ولا يطمعُ في صحةِ أمره مع مخالطة الظَّلَمة، ولا يطمعُ في لين القلبِ مع فضول الكلام، ولا يطمعُ في حبِّ

---

(١) أي: في أيِّ لحظةٍ تظهر فيه العلل والبلايا.

(٢) **قزَّحه وملَّحه**: زيَّنه بالتوابل والمحسِّنات.

(٣) أي: قد علم أن مصيره إلىٰ الغائط.

(٤) حسن: رواه أحمد (٥/١٣٦ ـ زوائد ابنه عبداللَّه)، والمروزي في زوائده علىٰ «الزهد» لابن المبارك (٤٩٤)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٠٥)، وابن حبان (٧٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٣١)، والشاشي (١٥٠١)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٢٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٥٤)، وفي «معرفة الصحابة» (٧٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥٦٥٢)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/٥١٤): «رجاله رجال الصحيح، غير عُتي؛ وهو ثقة»، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٥/١٦٢)، وكذا الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٩٥)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «مجمع الزوائد» (٢١/٤٢٤).

(٥) يعني في الطاعات.

اللَّه مع حبِّ المال والشرف[١]، ولا يطمعُ في الأنس باللَّه مع الأنس بالمخلوقين، ولا يطمعُ في الرَّوح[٢] مع الرغبةِ في الدنيا».

٤١١ ـ وقال أبو العباس السَّرَّاج: «سألتُ إبراهيمَ بن السَّريِّ السَّقَطي: كيف كان يأكلُ أبوكم من مالكم؟ قال: كان يقول: آكلُ من مالِكم بقَدْر ما يحلُّ لي من الميتة».

٤١٢ ـ وقال أبو إسحاق الخوَّاص: «إن اللَّهَ يُحبُّ ثلاثًا، ويُبغضُ ثلاثًا، فأما ما يحبُّ: فقلَّةُ الكلام، وقلة النوم، وقلةُ الأكل. وأما ما يُبغض: فكثرةُ الكلام، وكثرةُ الأكل، وكثرةُ النوم»[٣].

٤١٣ ـ وقال الجُنيد: «نبني أمرَنا هٰذا علىٰ أربع: لا نتكلمُ إلا عن وَجْد[٤]، ولا نأكلُ إلا عن فاقةٍ[٥]، ولا ننام إلا عن غلبةٍ[٦]، ولا نسكتُ إلا عن خشية[٧]».

٤١٤ ـ وقال أبو سليمان الداراني: «قدَّم إليَّ أهلي مَرةً خبزًا ومِلحًا، فكان في الملح سمسمةٌ، فأكلتُها، فوجدتُ رانَها علىٰ قلبي بعد سنة[٨]».

---

(١) يعني السمعة والصيت.

(٢) **الرَّوح**: راحة الآخرة. واللَّهُ أعلم.

(٣) أما قلة الكلام، فحسنٌ حين لا يكون المطلوب الإطناب والإسهاب. وأما قلة النوم والأكل، فضابطهما ألا يمنعا عما هو أهمُّ منهما.

(٤) أي: إذا وجدنا حاجةً للكلام. أو يكون الوجد بالتعبير الصوفي، فيكون المراد: إلا إذا شعرنا بالصدق في كلامنا. ولعلَّ الأول أقرب. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٥) **الفاقة**: الحاجة.

(٦) أي: رغمًا عنَّا.

(٧) وهٰذا يؤكد أن السكوت ليس ممدوحًا دومًا.

(٨) **الران**: السواد الذي يعلو القلب، وهٰذا فيه مبالغةٌ لا تخفىٰ، والسمسمة مما يُتسامحُ فيه عادةً؛ هٰذا إذا ثبت أنها من مصدرٍ لا يحلُّ، فما بالُنا إن كان =

٤١٥ ـ وقال الجُنيد: «دخلت علىٰ سَرِيٍّ يومًا، فقال لي: أُعجِّبُك من عصفورٍ يجيءُ، فيسقطُ علىٰ هٰذا الرُّواق[(١)] قد أعددتُ له لُقيمةً، فأفُتُّها في كفِّي، فيسقطُ علىٰ أطراف أناملي فيأكلُ، فلما كان في وقتٍ من الأوقات سقط علىٰ الرواق، ففَتَتُّ الخبزَ في يدي، فلم يسقطْ علىٰ يدي كما كان، ففكرتُ في سِرِّي: ما العلةُ في وحشته مني؟ فوجدتني قد أكلتُ مِلحًا طيبًا، فقلت في سِرِّي: أنا تائبٌ من المِلح الطيب، فسقط علىٰ يدي، فأكل وانصرف»[(٢)].

٤١٦ ـ وقال السريُّ: «إن نفسي تنازعُني أن أغمسَ جَزَرةً في دِبْسٍ[(٣)] منذ ثلاثين سنةً، فما يُمكنُني»[(٤)].

٤١٧ ـ وقال أحمد بن خلَف المؤدِّب: «دخلتُ علىٰ سريٍّ غُرفتَه، فرأيتُه يبكي، فوقفت، فأومأ إليَّ[(٥)]، فإذا قُلَّةٌ مكسورة، فقال لي: جاءت الصبيةُ

= الغالبُ أنها من طعام البيت؟! لٰكن أولٰئك القوم بلغ بهم الورع وخشية اللَّه مبلغًا وضعهم قبل الحِمىٰ بأميالٍ كثيرة. لٰكنَّ أفعالهم ليست شرعًا متبعًا. وهاهو كبيرُنا وقدوتُنا ﷺ لما رأىٰ تمرةً في بيته ما منعه من أكلها إلا خشيته أن تكون من تمر الصدقة؛ كما ثبت في الحديث الصحيح.

(١) **الرُّواق**: الخيمة.

(٢) هٰذا الأثر فيه نظر ـ حتىٰ في باب الورع ـ، وما كان مثل هٰذا الكلام يخرج من أورع الخلق ﷺ، واللَّهُ تعالىٰ أمر بأكل الطيب الحلال، فكيف يُتابُ منه! لا سيما وهو ملحٌ، ويكون بقدرٍ ضئيلٍ في الطعام، فليس من المشتهيات حتىٰ يقال: لعله شبع فأحس بتغيُّرٍ في قلبه ونحو هٰذا. ثم كيف علم العصفور بتوبته فنزل علىٰ يده؟!! ومثل هٰذا الكلام لا ينبغي نشره بين العوام إلا بالبيان والتحذير. واللَّهُ الهادي.

(٣) **الدِّبْس**: العسل.

(٤) يقصد: لاشتغاله بحاله مع اللَّه عز وجل.

(٥) **أَوْما**: أشار.

البارحةَ بهٰذه القُلَّة، فقالت: يا أبهْ، هٰذه القُلةُ هاهنا معلقةٌ، فإذا أفطرتَ فاشربْ منها؛ فإنها ليلةُ غمَّةٍ[١]. ومضت، فقمت إلىٰ أمرٍ كنتُ أقوم إليه، فغلبتني عيني، فرأيت جاريةً كأحسن الجواري قد دخلت عليَّ الغرفة، فقلت لها: يا جاريةُ، لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشربُ الماء المبرَّدَ في الكيزان، فتناولتِ القلةَ بيدها، فضربتْ بها الأرض فكسرتْها.

قال الجريري: فما زال ذٰلك الخزفُ مطروحًا في غرفته حتىٰ غَمر عليه التُّراب»[٢].

٤١٨ ـ وقال السريُّ ـ وقد ذُكر له أهلُ الحقائق من العُبَّاد ـ، فقال: «أكلُهم أكلُ المَرْضىٰ، ونومُهم نومُ الغَرْقىٰ».

٤١٩ ـ وقال سريُّ بن المغلِّس: «مُرَّ بعتبةَ الغلام وهو يأكلُ خبزَ الشعير بمِلحٍ جَريشٍ[٣]، فقيل له في ذٰلك؟ فقال: نعم؛ حتىٰ ندركَ الشواءَ والعُرسَ في الدار الأُخرىٰ»[٤].

٤٢٠ ـ وقيل لداودَ الطائي: «ألَا تتحولُ من الشمس إلىٰ الظل؟ قال: إني لأستحي من ربي أن أنقِّلَ قدمي إلىٰ ما فيه راحةُ بدني»[٥].

٤٢١ ـ وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: «قال لي أبو سليمانَ الداراني: يا

---

(١) لعل المقصود أنها شديدةُ الحر، واللّٰهُ أعلم.

(٢) أثر عجيب، وليس شرب الماء البارد مبعدًا للحوريات عن العباد! وقد كان نبيُّنا ﷺ يبرَّد له الماء في أيام الحرِّ كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

(٣) **الجريش**: الغليظ.

(٤) هٰذا العبد الصالح إنما يتكلم عن حاله، وليس ميزانًا عامًّا ولا شرعيًّا ـ كما بيَّنَّا مع أمثاله ـ، وأكل الملح مضرٌّ بالإنسان، فليس من الورع في شيء.

(٥) هدي النبي ﷺ في مثل هٰذا: أن ينتقل العبد من الشمس إلىٰ الظل؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح أنه رأىٰ رجلًا في الشمس، فأمره أن ينتقل إلىٰ الظلِّ، رواه البخاري (٦٧٠٤).

أحمد، جوعٌ قليل، وذلٌّ قليل، وعُريٌ قليل، وفقرٌ قليل، وصبرٌ قليل، وقد انقضت عنك أيام الدنيا».

٤٢٢ ـ وعن الحسن قال: سألَ رسولَ اللَّه ﷺ بعضُ أصحابه، فقال: أشياءُ نشتهيها لا نقدرُ عليها؛ هل لنا فيها أجرٌ؟ قال: «**ففيم تؤجَرون إذا لم تؤجَروا فيها؟!**»[1].

٤٢٣ ـ وقال الفضلُ بن ثور: «قلت: يا أبا سعيد ـ يعني للحسن ـ، رجلانِ طَلَب أحدُهما الدنيا بحلالها فأصابها، فوَصَل بها رحِمَه، وقدَّم منها لنفسه، ورجلٌ رفض الدنيا؟ قال: أحبُّهما إليَّ الذي رفض الدنيا»[2].

---

(١) ضعيف: رواه ابن الأعرابي في «الزهد وصفة الزاهدين» (٦٤)، وهو **ضعيف للإرسال** ـ كما ترىٰ ـ، والعلم عند ربِّ الوَرَىٰ.

(٢) هٰذا مذهب الحسن، وإلا فقد ثبت في السنة ـ في غير ما حديث ـ أن الغنيَّ الشاكر من خير الخلق عند اللَّه ﷻ ـ بل هو بمنزلة الفقير الصابر ـ، ويكفينا هنا حديثان:

الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن فقراء المهاجرين أتَوا رسولَ اللَّه ﷺ، فقالوا: ذهب أهلُ الدُّثور [أي: الغنىٰ والأموال] بالدرجات العلىٰ، والنعيم المقيم، فقال: «**وما ذاك؟**» قالوا: يصلُّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون ولا نتصدق، ويُعتقون ولا نُعتق، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أفلا أعلِّمُكم شيئًا تدركون به مَن سبقكم، وتَسبقون به مَن بعدكم؟ ولا يكون أحدٌ أفضلَ منكم إلَّا من صنع مثلَما صنعتم؟**». قالوا: بلىٰ ـ يا رسول اللَّه ـ قال: «**تسبِّحون، وتكبِّرون، وتَحمَدون، دُبرَ كلِّ صلاة ثلاثًا وثلاثين مرةً**». فرجع فقراء المهاجرين إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فقالوا: سمع إخوانُنا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ذٰلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء**». رواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥) ـ واللفظ له ـ.

والثاني: حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**نِعمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح**». صحيح: رواه أحمد (١٩٧/٤)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» =

٤٢٤ ـ وقال جعفر: «اجتمع مالكُ بن دينار، ومحمدُ بن واسع، فقال مالكٌ: إني لأغبط رجلًا معه دينُه، وله غَداءٌ وليس له عَشاء، راضٍ عن اللَّه، فقال محمد بن واسع: إني لأغبط رجلًا معه دينُه، وليس معه من الدنيا شيءٌ، راضٍ عن ربه».

قال: فانصرف القوم يرَون أن محمدَ بن واسع أقوىٰ الرجُلين[1].

٤٢٥ ـ وعن ابن شَوذب قال: «اجتمع محمد بن واسع، ومالك بن دينار فتذاكروا العيش، فقال مالكٌ: ما شيءٌ أفضلَ من أن يكون للرجل غَلَّةٌ يعيش منها[2]؟ فقال محمدُ بن واسع: طوبىٰ لمن وَجد غداءً ولم يجد عَشاءً، ووَجد عشاءً ولم يجد غداءً، واللَّهُ عنه راضٍ»[3].

٤٢٦ ـ وقال عثمانُ بن محمد الذهبي: «قيل للجنيد ـ وأنا حاضرٌ ـ: ما تقول في رجلٍ ما بقي عليه من الدنيا غيرُ مصِّ النوىٰ؛ هل بقي عليه من الدنيا شيء؟ قال: نعم، هٰكذا علَّمَنا نبيُّنا ﷺ: «**إن المُكاتَبَ عبدٌ ما بقي عليه درهمٌ**[4]»[5].

= (٩٣/١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩)، وابن حبان (٣٢١٠)، والحاكم (٢٣٦/٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢١٣). **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط، والشيخ الألباني. وانظر: «المسند» (٢٩٩/٢٩).

(١) وقد يقال: أفضلهما أقربُهما من ربِّه ﷻ، فليس الفقر نافعًا للكل، ولا الغنىٰ كذٰلك.

(٢) **الغَلة**: الدخل الذي يأتيه من مالٍ يملكه، كتجارة أو أرض أو نحو هٰذا.

(٣) طلب رضوان اللَّهِ ﷻ هو الأصل، ولا يتعارض أبدًا مع طلب الغِنىٰ لمن قام بحق ربِّه ﷻ.

(٤) ومقصود الأثر: التقلل من الدنيا قدر الطاقة.

(٥) حسن: رواه أبو داود (٣٩٢٦)، والطبراني في «الشاميين» (١٣٨٦)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣٢٤/١٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١١١/٣)، من =

٤٢٧ ـ وقال السَّريُّ: «استأذن عليَّ رجلٌ، فأذنتُ له، فجاء، فوقف بباب الغرفة قائمًا ينظرُ، وفي زاويةِ الغرفة مَحبَرة، فقلت له: ادخل. فقال: لا جزىٰ اللَّهُ مَن غرَّني فيك خيرًا. فقلت له: ويحك؛ ولِمَ؟ قال: ما تلك الموضوعةُ في تلك الزاوية؟! [إنما هٰذه في بيوتِ البطالين][(١)]! ثم انصرف وتركني»[(٢)].

٤٢٨ ـ وقال جعفرُ بن بَرْقان: «قال صالحُ بن مِسمار: ما باركَ اللَّهُ لرجلٍ في دنيا صار بعدها إلىٰ النار. قلت: صدقت. قال: ولقد بارك اللَّهُ لرجلٍ في دنيا صار بعدها إلىٰ الجنة. قلت: صدقت»[(٣)].

٤٢٩ ـ وقال صالحٌ ـ أيضًا ـ: «عجبتُ للناس. فقيل له: وما لهم؟ قال: خرجوا من الدنيا مفاليس، وتركوا خزائنَهم»[(٤)].

٤٣٠ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «نعمةُ اللَّهِ علينا فيما زوىٰ[(٥)] من الدنيا أعظمُ من نعمته علينا فيما بسط منها».

= حديث عبداللَّه بن عَمرٍو رضي الله عنهما، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الإرواء» (٦/١١٩)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦/٧١).

(١) الزيادة من روايةٍ أخرىٰ محذوفة للتكرار.

(٢) بل ـ واللَّهِ ـ ترك العلم هو حال البطالين! ولا أدري كيف يسكت المصنف رحمه الله ـ وهو من علماء المسلمين ـ علىٰ هٰذه الترهات؟!

(٣) معنىٰ الأثر: أن من كان غنيًّا في الدنيا، ثم دخل النار، فتلك الدنيا لم تكن بركةً عليه، بل كانت نقمةً واستدراجًا. وهناك أقوامٌ أغناهم اللَّهُ عز وجل في الدنيا، ثم أدخلهم بعد ذٰلك غُرف الجنان، فهٰؤلاء كانت الدنيا بركةً عليهم ونعيمًا عاجلًا. وهٰذا يدلُّ علىٰ أن الميزان عند اللَّه تعالىٰ ليس بالفقر ولا الغنىٰ، بل هو بالتقوىٰ والاستقامة ـ كما سبق بيانه ـ.

(٤) أي: تركوا تعبئة خزائنهم في الدنيا بالأعمال الصالحة. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٥) زَوىٰ: أبعد.

٤٣١ ـ وقال أبو المُليح: «مات صالحُ بن مسمار، وترك درهمًا وأربعةَ دوانيق[١]، وقيل له عند موته: أوصِ بأمك أو أختك إلىٰ من شئتَ، فقال: إني أستحي من اللَّه [أن] أوصيَ بهما إلىٰ غيره»[٢].

٤٣٢ ـ وأصابَ محمدُ بن كعبٍ القرظيُّ مالًا، فقيل له: «ادخِرْ لولدك من بعدك، قال: لا، ولٰكن أدخرُه لنفسي عند ربي، وأدخرُ ربي لولدي»[٣].

٤٣٣ ـ وقال معاذُ بن جبل رضي الله عنه: «إنكم ابتُليتم بفتنةِ الضراء، فصبرتم، وستُبتَلَون بفتنةِ السراء، قالوا: وما فتنةُ السراء؟ قال: إذا لَبِس النساءُ عُصُبَ اليمن ورِياطَ الشام[٤]، فأتعَبْن الغنيَّ، وكَلَّفن الفقيرَ ما لا يجد»[٥].

٤٣٤ ـ وقال أبو حازم: «اعلَموا أنه ليس شيءٌ من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم، فآثِرْ نفسَك ـ أيها المرءُ ـ بالنصيحةِ علىٰ ولدِك، واعلمْ أنك إنما تخلِّفُ مالك في يدِ [أحدِ] رجُلين: عاملٍ فيه بمعصية اللَّه، فيشقىٰ بما جَمعتَ له، وعاملٍ فيه بطاعةِ اللَّه، فيَسعَدُ بما شقيتَ له، فارجُ لمن قدَّمتَ منهم رحمةَ اللَّه، وأبقِ لمن خلَّفتَ منهم رزقَ اللَّه»[٦].

٤٣٥ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**يأتي علىٰ الناس زمانٌ لا يَسلَمُ لذي دِينٍ دينُه؛ إلا مَن هرب بدينِه من شاهقٍ[٧] إلىٰ شاهق،**

---

(١) **الدانق**: سُدس الدرهم.

(٢) هٰذا اجتهادُه رحمه الله.

(٣) كلامٌ جميل، لٰكن الأولىٰ ترك الذرية أغنياء مستكفَين، فقد ثبت عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال له ـ ضمن حديث ـ: «**إنك أنْ تَذَر ورثتَك أغنياء، خيرٌ من أن تذَرهم عالةً يتكفَّفون الناس**...» الحديث. رواه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

(٤) **العُصُب**: الخُمر. **الرِّياط**: المَلاءات.

(٥) يقصد عند الزواج، لأنَّهن يتطلعن للدنيا.

(٦) يقال هنا مثلما قلنا في الأثر السابق.

(٧) **الشاهق**: المرتفع.

ومِن جُحرٍ إلىٰ جحر، فإذا كان ذٰلك الزمانُ لم تُنَلِ المعيشةُ إلا بسَخَطِ اللَّه، فإذا كان ذٰلك كذٰلك؛ كان هلاكُ الرجل علىٰ يدي زوجتِه وولده، فإن لم يكن له زوجةٌ ولا ولد؛ كان هلاكُه علىٰ يدي أبويه، فإن لم يكن له أبوانِ كان هلاكه علىٰ يدي قرابتِه أو الجيران»، قالوا: كيف ذٰلك ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «يعيِّرونه بضِيقِ المعيشة؛ فعند ذٰلك يُورِدُ نفسَه المواردَ التي تَهلِكُ فيها نفسُه»(١).

٤٣٦ ـ وقال مُعتمرُ بن سليمان: «قال لي سفيانُ الثوري: يا معتمرُ، صاحبُ العيال لا يكون رجلًا صالحًا، وما رأيتُ صاحبَ عيالٍ إلا خلَّط ودخل فيما لا يعنيه»(٢).

٤٣٧ ـ وقال سفيانُ بن عيينة: «صاحبُ العيال لا يُفلح، كانت لنا هِرَّةٌ لا تكشِفُ القدور، فلما وَلدت كشفتِ القُدور»(٣).

---

(١) **ضعيف**: ولم أقف عليه ـ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه ـ عند غير المصنف، وقد **ضعَّفه** الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤١٥٢) ـ مصدِّرًا إياه بصيغة التمريض ـ، وكذا الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/٢٦)، والشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٦٣٧).

وورد ـ بنحوه ـ من رواية ابن مسعود رضي الله عنه: رواه الخطابي في «العُزلة» (١١ ـ تهذيبي ـ)، وقد **ضعَّفه** الحافظ العراقي ـ أيضًا ـ في الموضع المشار إليه.

تنبيه هام: وقع مني وهمٌ وخلطٌ بين رواية ابن مسعود ورواية أبي هريرة رضي الله عنهما في تخريج الحديث عند الخطابي ـ الموضع السالف ـ، فليستدرك من هنا، والحمد للَّهِ علىٰ كل حال.

(٢) انظر التعليق الآتي.

(٣) يقصد أنها لما صار لها أولاد باتت تسرق، وكذا صاحب العيال إذا زادت حاجاتُهم دُفع إلىٰ طرق غير مشروعة لتلبية رغباتِهم. وهٰذا ليس ميزانًا؛ بل مثل هٰذا الكلام فيه دعوةٌ للترهبن وتركِ التزوج والإنجاب، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بمكاثرة الإنجاب وطلب الحلال، وكلاهما موجود بحمد اللَّه تعالى لمن جدَّ وسعىٰ.

٤٣٨ ـ وعن ابن عباس ﵄ قال: «قال موسىٰ ﵇: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص]: إلىٰ شِقِّ تمرة[1]، ولَزِق بطنُه بظَهره من شدة الجوع»[2].

٤٣٩ ـ وقال بعضُ السلف: «يُنادي منادٍ يوم القيامة: أين الذين أَكلت عيالاتُهم حسناتِهم؟ فيقومون وهم جمٌّ غفير»[3].

٤٤٠ ـ وعن أبي أُمامةَ ﵁ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**أُريتُ[4] أني دخلتُ الجنة، فنظرتُ؛ فإذا أهالي الجنةِ فقراءُ المهاجرين وذراريُّ المؤمنين، وإذا ليس فيها أحدٌ أقلَّ من الأغنياء والنساء، فقلتُ: ما لي لا أرىٰ فيها أحدًا أقلَّ من الأغنياء والنساء؟ فقيل لي: أما الأغنياءُ؛ فإنهم علىٰ الباب يُحاسَبون ويُمحَّصون[5]، وأما النساءُ، فأهلَكَهُنَّ الأحمرانِ: الذهبُ والحرير. ثم خرجتُ من إحدىٰ الثمانيةِ أبواب، فجعلوا يَعرضون عليَّ أمتي رجلًا رجلًا، فاستبطأتُ عبدَالرَّحمٰن بن عوف، فلم أرَه إلا بعدَ يأس؛ فلمَّا رآني بكىٰ، فقلت: عبدَالرَّحمٰن! ما يُبكيك؟ قال: والذي بعثك [بالحقِّ] ما رأيتُك حتىٰ ظننتُ ألَّا أراك أبدًا! قال: وممَّ ذاك؟ قال: مِن كثرة مالي؛ ما زلتُ أحاسَبُ بعدك وأُمحَّص**»[6].

(١) في روايةٍ محذوفةٍ اختصارًا: «فِلقًا من الخبز يشدُّ بها صلبه من الجوع».
(٢) الظاهر أنه من الإسرائيليات.
(٣) وإنما أكلوا حسناتِهم لأنهم أدخلوا آباءهم مداخل سوءٍ ليأتوا لهم بالمال بأي صورة كانت، وما تحرَّوا الحلال فقط. وهٰذا الأثر لا أعلمه مسندًا عن المعصوم ﷺ.
(٤) أي: في النوم.
(٥) **التمحيص**: التنقية والتطهير.
(٦) **ضعيف جدًّا**: رواه أحمد في «المسند» (٥/٢٥٩)، وفي «فضائل الصحابة» (٢١١)، والطبراني في «الكبير» (٨/٢٣٦)، والآجري في «الشريعة» (١٣٣٢)، =

٤٤١ ـ وسُئل الجُنيد بن محمد عن الفقير والغني: أيهما أفضل؟ فقال: «أفضلُهما أطوعُهما للَّه ﷻ، قيل له: فإذا كانا جميعًا طائعين؟ فقال: كلاهما فِعلان محمودان؛ غير أن الذي اختاره اللَّه ﷻ لنبيِّه ﷺ أفضل، ولم أرَه اختار له الغنىٰ، فمع حسن اختيار اللَّه ﷻ لنبيه ﷺ الفضل».

٤٤٢ ـ وعن ابن عباس ﵄ قال: خرج رسولُ اللَّه ﷺ ذاتَ يوم وجبريل ﵇ معه علىٰ الصفا، فقال له محمدٌ ﷺ: «**والذي بعثَك بالحقِّ ما أمسىٰ لآل محمَّدٍ كفُّ سَويق ولا سَفَّةُ دقيق**[(١)]»، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هَدَّةً من السماء أفظعته، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أَمَرَ اللَّهُ ﷻ القيامةَ أن تقوم؟ فقال: لا، ولٰكنْ هٰذا إسرافيل**[(٢)]**؛ نزل إليك حين سَمِع اللَّهُ كلامَك، فأتاه إسرافيل، فقال: إن اللَّهَ سمعَ ما ذكرت، فبعثني إليك بمفاتيح الأرض، وأمرني أن أعرضَ عليك: إن أحببتَ أن أُسيِّرَ معك جبالَ تِهامةَ زمرُّدًا وياقوتًا وذهبًا وفضةً فعلتُ، وإن شئتَ نبيًّا ملِكًا، وإن شئتَ نبيًّا عبدًا، فأوصىٰ إليه جبريلُ ﵇ أن تواضعَ للَّه، فقال: بل نبيًّا عبدًا ثابتًا**»[(٣)].

= والحارث في «مسنده» (٩٦٢)، وهناد في «الزهد» (٦٠٣)، وأبو نُعيم في «فضائل الخلفاء» (٩٩)، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٧٠)، والإمام الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٥٠)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٦/ ٥٦٦)، وقال الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٥٣٤٦): «**منكر جدًّا**». وكذا **ضعَّفه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٨/ ٧٥).

(١) السَّفَّة: المسحوق منه.

(٢) في المطبوع: «جبريل»، والأصح ـ إن شاء اللَّه ـ ما أثبتُّه.

(٣) **ضعيف**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٩٣٧)، وحسَّنه الإمام المنذري في «الترغيب» (٤٩٦٦)، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ١٠٧)، =

٤٤٣ ـ وقال ابنُ أبي الحَوَاري: «قلت لأبي صفوان الرُّعَيني: أي شيءٍ الدنيا التي ذمَّها اللَّهُ في القرآن ينبغي للعامل أن يجتنبَها؟ قال: كلُّ ما عمِلتَ في الدنيا تريدُ به الدنيا فهو مذموم، وكلُّ ما أصبتَ منها تريدُ به الآخرة، فليس منها».

فحُدِّث بها مروان، فقال: «الفقهُ علىٰ ما قال أبو صفوان».

٤٤٤ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم: «بلغني أن عمرَ بن عبدالعزيز قال لخالد ابن صفوان: عِظني وأوجز. فقال خالد: يا أميرَ المؤمنين، إن أقوامًا غرَّهم سِترُ اللَّه ﷻ، وفَتنهم حسنُ الثناء، فلا يَغلِبَنَّ جهلُ غيرك بك علمَك بنفسك، أعاذنا اللَّه وإياك أن نكونَ بالسِّتر مغرورين، وبثناءِ الناس مسرورين، وعمَّا افترض اللَّهُ متخلِّفين[1] مقصِّرين، وإلىٰ الأهواء مائلين. قال: فبكىٰ [عمرُ]، ثم قال: أعاذنا اللَّهُ وإياك من إيقاع الهوىٰ».

٤٤٥ ـ وقال أحمدُ بن يونُس: «سمعت سفيانَ الثوريَّ يقول ـ ما لا أُحصي ـ: اللهم سلِّمْ سلِّمْ، اللهم سلِّمْنا منها إلىٰ خير، اللهم ارزُقْنا العافيةَ في الدنيا».

٤٤٦ ـ وعن أبي موسىٰ ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَن أحب دنياه أضرَّ بآخرته، ومَن أحب آخرتَه أضرَّ بدنياه، فآثِروا ما يبقىٰ علىٰ ما يَفنَىٰ**»[2].

= وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/٥٦٨): «فيه سعدان بن الوليد، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٠٤٤)، و«ضعيف الترغيب» (١٩٠٨)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/٥٣٩).

(١) **متخلفين**: متأخرين.

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٤/٤١٢)، وابن حبان (٧٠٩)، والحاكم (٤/٣١٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٣٨)، وعبد بن حميد (٥٦٨)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٦٢)، والقضاعي في «الشهاب» (٤١٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٣٣٧)، =

٤٤٧ ـ وعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الدنيا سجنُ المؤمن، والقبرُ حِصنُه، والجنةُ مصيره، والدنيا جنةُ الكافر، والقبرُ سجنُه، وإلىٰ النار مصيره**»[(١)].



= وفي «الآداب» (٩٩٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٣٨)، **وصحَّحه** الحاكم، **وتعقَّبه** الذهبي بالانقطاع، بينما **أقرَّه** العراقيُّ علىٰ تصحيحه في «تخريج الإحياء» (٣/١٦٣)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢٤٩)، وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجالهم ثقات». **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٣٤٠)، بينما **حسَّنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (٣٢/٤٧١).

(١) **ضعيف**: رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٦/٣٥٣)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٥٣٧).

وقد سبق الحديث برقم(٣٣١) من رواية أبي هريرة ﵁ مقتصرًا علىٰ قوله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**».

الفصل الرابع

قِصَرُ الأمل، والمبادرة بالعمل قبلَ بلوغ الأجل

الفصل الرابع

قِصَرُ الأمل، والمبادرةُ بالعمل قبل بلوغ الأجل

٤٤٨ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ خطَّ خطوطًا، وخط خطًّا ناحيةً، ثم قال: «**هل تدرُون ما هٰذا؟ هٰذا مَثَلُ ابن آدم، ومَثَلُ المتمنِّي، وذٰلك الخطُّ الأمل؛ بينما يأمَلُ إذ جاءه الموت**»(١).

٤٤٩ ـ وعنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**يَهرَمُ ابنُ آدم، ويبقىٰ منه اثنتان: الحِرصُ والأمل**»(٢).

٤٥٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن ابنَ آدم يَضعُفُ جسمُه، ويَنحَلُ لحمُه منَ الكِبَر، وقلبُه شابٌّ في اثنتين: طولِ العُمر، وكثرةِ المال**»(٣).

٤٥١ ـ وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنُهم خُلقًا**»، قال: فأي المؤمنين أكيسُ؟ قال: «**أكثرُهم للموت ذِكرًا، وأحسنُهم له استعدادًا، أولٰئك الأكياس**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٤٥٣).

(٢) رواه البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧).

(٣) رواه البخاري (٦٤٢٠)، ومسلم (١٠٤٦).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٥٩)، والحاكم (٤/٤٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٣٦)، و«الأوسط» (٤٦٧١)، و«الصغير» (٩٨٦)، وفي «الشاميين» (١٥٥٩)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (٢/٦٧)، وابن عدي (٣/١٢٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/٣١٣)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠٥٥٠)، **وصحَّحه الحاكم، ووافقه الإمام الذهبي، وجوَّده** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/٤٥١)، =

٤٥٢ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ غَرز عودًا بين يديه، وآخرَ إلىٰ جَنبه، وآخَرَ بعده، فقال: «**تدرُون ما هٰذا؟**»، قالوا: اللَّه ورسوله أعلم به. قال: «**فإن هٰذا الإنسانُ، وهٰذا الأجلُ، فيَتعاطىٰ الأملَ، فيَختلِجُه الأجلُ دون الأمل**[1]»[2].

٤٥٣ ـ وقال عبدُاللَّه بن بُسرٍ المازني ﷺ: «المتَّقون سادة، والعلماء قادة، ومجالستُهم عبادة ـ بل ذٰلك زيادة ـ، وأنتم في ممرِّ الليل والنهار في آجالٍ منقوصة، وأعمالٍ محفوظة، فأعِدُّوا الزاد؛ فكأنكم بالمَعاد».

٤٥٤ ـ وعن جَريرِ بن عبدِاللَّه ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَن يتزوَّدْ في الدنيا ينفَعْه في الآخرة**»[3].

٤٥٥ ـ وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: قال: «**قال ﷻ للنفْس:**

= وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن ماجه، وكذا الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٣٨٤).

(١) أي: يأخذه الأجل قبل بلوغ الأمل.

(٢) حسن: رواه أحمد (١٧/٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣١١/٦)، والدقاق في «مجلس في رؤية اللَّه ﷻ» (٧٦٠)، والرامهرمزي في «الأمثال» (٧٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٩١)، **وحسَّنه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٤٥٣)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٢٥٥/١٠): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير علي بن علي الرفاعي، وهو ثقة»، **وجوَّده** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢١٣/١٧)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٣٤٢٨)، **وصحَّحه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢٨٧/٢١).

(٣) ضعيف: رواه المصنف في «الآداب» (٨١٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٥/٢)، والخطيب في «التاريخ» (٦٣٦/١٦)، وابن عساكر في «التاريخ» (٣٤٩/٥٧)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٦٦٦)، و«ضعيف الجامع» (٥٨٨٧)، وقال الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»: «**باطل**».

اخرُجي، قالت: لا أَخرُجُ إلا وأنا كارهةٌ[(١)]»[(٢)].

٤٥٦ ـ وقال جعفر بن بَرْقان: «بلغني أن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلىٰ بعض عمَّاله، فكان في آخر كتابه: أنْ حاسِبْ نفسَك في الرخاء قبل حسابِ الشدة؛ فإنه مَن حاسب نفسَه في الرخاء قبل حسابِ الشدة، عاد مَرجعُه إلىٰ الرضاء والغِبطة، ومَن ألهَتْه حياتُه وشَغَله هواه؛ عاد مرجعُه إلىٰ الندامة والحسرة، فتذكَّرْ ما توعظُ به لكي تنتهيَ عما تُنهىٰ عنه».

٤٥٧ ـ وخطب عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة، فقال: «أيها الناس، إن أخوفَ ما أخاف عليكم طولُ الأمل واتباع الهوىٰ، فأما طول الأمل فيُنسي الآخرة، وأما اتباعُ الهوىٰ فيصدُّ عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولَّت مُدبِرة، والآخرةُ مُقبِلة، ولكلِّ واحدٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل».

٤٥٨ ـ وعن عليِّ بن أبي طالب أنه قال لعمر رضي الله عنهما: «يا أمير المؤمنين، إنْ سرَّك أن تلحقَ بصاحبَيكَ فأقصِرِ الأمل، وكُلْ دونَ الشبع، ونكِّسِ الإزار، وأرقِعِ القميص، واخصِفِ النعلَ تلحَقْ بهم».

٤٥٩ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذَ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بجسدي، فقال:

---

(١) يقصد لتعلُّقِها بالدنيا. والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٢٧٥)، وفي «الأدب المفرد» (٢١٩)، والدقاق في «مجلس في رؤية اللَّه عز وجل» (٣٨)، والبزار (٩٥٩٠)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (٢/٣٥٨)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٣/٦٨): «رواه البزار، **ورجاله ثقات**»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الأدب المفرد».

تنبيه: بعد هٰذا الحديث أعاد الإمام رحمه الله الحديث السالف برقم (٣٣١)، والذي فيه: «**الدنيا سجنُ المؤمن**...»، وقد حذفته اختصارًا.

«كنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو[١] عابرُ سبيل، واعدُدْ نفسَك في الموتىٰ وأهلِ القبور»[٢].

قال مجاهدٌ: ثم قال لي عبداللَّه بن عمر رضي الله عنهما: «يا مجاهد، إذا أصبحتَ فلا تحدِّثْ نفسك بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تحدِّثْ نفسك بالصباح، وخُذْ من صحتك قبل سَقَمك، ومن حياتِك قبل موتك؛ [فإنك] ـ يا عبدَ اللَّه ـ لا تدري ما اسمُك غدًا[٣]».

٤٦٠ ـ وقال سفيانُ: «الزهدُ في الدنيا قِصرُ الأمل؛ ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العَباء».

٤٦١ ـ وقال الفضيلُ بن عياض: «ما أطال رجلٌ الأمل إلا أساءَ العمل».

٤٦٢ ـ وكتب إبراهيمُ بن أدهم إلىٰ سفيانَ الثوري: «مَن عرف ما يَطلب هان عليه ما يَبذُل، ومَن أطلق بصرَه طال أسفُه، ومَن أطلق أملَه ساء عملُه، ومَن أطلق لسانه قَتل نفسه».

٤٦٣ ـ وقال أبو حَمزةَ الصوفي: «النظرُ رُسلُ البلايا، وسهامُ المنايا».

٤٦٤ ـ وقال معروفٌ الكَرْخي: «أعوذ بك مِن أمل يمنعُ العمل».

---

(١) أو: بل.

(٢) رواه البخاري (٦٤١٦)، دون قوله: «**واعدُد نفسك**...»، وهٰذه الزيادة رواها ابن المبارك في «الزهد» (١٣)، وأحمد (٢/٤١)، والتِّرمذي (٢٤٨٦)، وابن ماجه (٤١١٣)، والطبراني في «الصغير» (٦٣)، والآجري في «الغرباء» (١٨)، والخطيب في «تاريخه» (٤/٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٤٣)، والبغوي (٤٠٢٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/١٠٩٣)، **وحسنها** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٨/٣٨٣)، **وصححها** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٧٩).

(٣) أي: لا تدري: هل يقال: شقيٌّ أم سعيد؟ قاله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٢٣٥).

٤٦٥ ـ وقال مالكُ بن دينار: «أربعٌ من عَلَم الشقاء: قسوةُ القلب، وجُمود العين، وطول الأمل، والحرصُ علىٰ الدنيا».

٤٦٦ ـ وقال وُهيب بن الورد: «ويلٌ لمن كانت الدنيا أملَه، والخطايا عملَه، عظيمٌ بطشُه، قليلٌ فطنتُه، عالِمٌ بأمر دنياه، جاهلٌ بأمر آخرته».

٤٦٧ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «تأمَلون وتَجمعون، فلا ما تأملون تُدركون، ولا ما تجمعون تأكلون».

٤٦٨ ـ وقال الشِّبليُّ: «لِيكنْ هَمُّكَ معك؛ لا يتقدَّمُ ولا يتأخر»[١].

٤٦٩ ـ وقال الفُضيلُ بن عياض: «إنما أمسِ مَثَل، واليومَ عمل، وغدًا أمل».

٤٧٠ ـ وقال أعرابيٌّ: «مضىٰ أمسُك، وعسىٰ غدًا لغيرك».

٤٧١ ـ وقال الحسن: «الدنيا ثلاثةُ أيام: أما أمسِ فقد ذهب بما فيه، وأما غدًا فلعلَّك لا تُدركُه، واليومَ لك فاعملْ فيه».

٤٧٢ ـ وقال عبدُاللَّه بن مُنازِل: «مَن اشتغل بالأوقاتِ الماضية والآتية؛ ذهب وقتُه بلا فائدة»[٢].

٤٧٣ ـ وقال شُميطُ بن عجلان: «إن المؤمنَ يقولُ لنفسه: إنما هي ثلاثةٌ، فقد مضىٰ أمسِ بما فيه، وغدًا أملٌ لعلَّك لا تدركُه، إنك إن كنت من أهل غدٍ، فإن غدًا يجيءُ برزقِ غد. إنَّ دون غدٍ يومًا وليلةً تُخترمُ فيها أنفُسٌ كثيرة[٣]؛ لعلَّك المخترَمُ فيها، كفىٰ كلَّ يوم هَمُّه».

٤٧٤ ـ وقال أبو سعيد الخزَّاز: «الاشتغالُ بوقتٍ ماضٍ تضييعُ وقتٍ ثانٍ».

---

(١) أي: عش يومًا بيوم.

(٢) نعم، فلكل وقتٍ وظيفة.

(٣) أي: قبل مجيء الغد: يومٌ وليلةٌ ترحل فيها نفوسٌ كثيرةٌ إلىٰ اللَّه تعالىٰ.

٤٧٥ ـ وقال أبو القاسم النصرآباذي: «مراعاةُ الأوقات مِن علامات التيقُّظ».

٤٧٦ ـ وقال إبراهيمُ بن شيبانَ الزاهد: «مَن حَفِظ علىٰ نفسه أوقاتَه؛ فلم يضيِّعْها بما لا يُرضي اللَّهَ فيها؛ حَفِظ اللَّهُ عليه دينَه ودنياه».

٤٧٧ ـ وقال يحيىٰ بن معاذٍ الرازي: «رُمَّ جَهازَك[(١)]، وهيئْ زادَك، وتَهيَّأْ للعَرض علىٰ ربِّك جلَّت عظمته».

٤٧٨ ـ وقال الفضيلُ بن عياض: «تفكَّروا واعمَلوا من قبلِ أن تندموا، ولا تغترُّوا بالدنيا؛ فإن صحيحَها يَسقَم، وجديدَها يَبلَىٰ، ونعيمَها يفنىٰ، وشبابَها يَهرَم».

٤٧٩ ـ وقال يحيىٰ بن معاذ: «مَن لم يترك الدنيا اختيارًا؛ تتركْه الدنيا اضطرارًا[(٢)]، ومَن لم تزُلْ عنه نعمتُه في حياته؛ زالت[(٣)] عنه نعمتُه بعد وفاته».

٤٨٠ ـ وأنشد الأستاذ أبو سهل محمدُ بن سليمان لنفسه:

سخوتُ عن الدنيا عزيزًا فنِلتُها ... وجُدتُ بها لمَّا تناهتْ بآمالي[(٤)]

عِلمتُ مصيرَ الدهر كيف سبيلُه ... فزايلتُه قبلَ الزوالِ بأحوالي[(٥)]

٤٨١ ـ وعن إبراهيمَ بن نصرٍ قال: حدثني إبراهيم بن بشار ـ وهو

(١) أي: أصلح متاعك الذي ستسافر به إلىٰ الآخرة. وهو العمل الصالح.
تنبيه: وقعت كلمة «رُمَّ» في المطبوع بالدال: «دُمَّ»، وقال المحقق في الحاشية: «دَمَّه: طلاه»! ولا أدري ما وجهُه، ولعل الأصح ما أثبتُّه، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) وهٰذا حين ينتقل منها رغمًا عنه.

(٣) في المطبوع: «زال»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

(٤) جُدتُ: ضحَّيت.

(٥) زايلتُه: فارقتُه.

بالرَّمْلة[١]ـ: أن عِظْني بموعظةٍ أحفظُها عنك، فكتبتُ إليه: «أما بعد، فإنَّ الحزنَ علىٰ الدنيا طويل، والموتَ من الإنسان قريب، وينتقصُ منه في كلِّ وقتٍ نصيب[٢]، وللبِلَىٰ في جسمِه دبيب، فبادِرْ بالعمل قبل أن ينادَىٰ بالرحيل، واجتهِدْ في العمل في دارِ الجهاد قبل أن تدخلَ دار المقر».

٤٨٢ ـ وقال يحيىٰ بن معاذٍ الرازي: «المغبوطُ[٣] من الناس: مَن ترك الدنيا قبلَ أن تتركه، وبنىٰ قبرَه قبل أن يدخلَه[٤]، وأرضىٰ ربَّه قبل أن يلقاه[٥]».

٤٨٣ ـ وعوتبَ عَطاءٌ السَّلِيميُّ[٦] في الرفق بنفسه، فقال: «أتأمُرونني بالتقصير، والموتُ في عنقي، والقبرُ بيتي، وجَهنم أمامي، ولا أدري ما يَصنع بي ربي ﷻ؟!».

٤٨٤ ـ وقال أبو محمد الجُريري: «كنتُ واقفًا علىٰ رأس الجنيد في وقتِ وفاته ـ وكان يوم الجمعة ـ، وهو يقرأُ القرآن، فقلت له: يا أبا القاسم، ارفُقْ بنفسك، فقال: يا أبا محمد، رأيتَ أحدًا أحوجَ إليه مني في هٰذا الوقت؟ هو ذا تُطوىٰ صحيفتي».

٤٨٥ ـ وقال ابن الفَرَجي: «مَن لم يغتنم الفرصةَ في وقتِ الإمكان،

---

(١) **الرملة**: من قرىٰ فلسطين.

(٢) **نصيب**: مقدار.

(٣) **المغبوط**: السعيد المحسود من الناس.

(٤) يعني بناه بالأعمال الصالحة.

(٥) في المطبوع وبعض المصادر الأخرىٰ: «يرضاه»، ولم أفهم وجهها، والتصحيح من «إحياء علوم الدين» (٣/٢١٠)، و«صفة الصفوة» (٤/٦٤)، بينما في «حلية الأولياء» (١٠/٦٧): «قبل أن يقدم عليه».

(٦) هٰذا هو الصحيح، وقد تحرف في كثير من الكتب إلىٰ «السُّلَمي».

وَرِث الندم في وقتِ عدم الوجود»[(١)].

٤٨٦ ـ وكان السَّريُّ السَّقَطيُّ يقول لأصحابه[(٢)]: «أنا لكم عبرةٌ ـ يا معشر الشباب ـ، اعملوا؛ فإنما العملُ في الشبيبة».

٤٨٧ ـ وقال أحمدُ بن عاصم الأنطاكي: «هٰذه غنيمةٌ باردة: أصلِحْ ما بقي من عمرك؛ يُغفَرْ لك ما مضىٰ».

٤٨٨ ـ وقالت دايةُ داودَ الطائي: «قلتُ له ـ تعني لداود ـ: يا أبا سليمان، أما تشتهي الخبزَ؟ قال: بين مَضغِ الخبز وشُرب الفتيت خمسونَ آيةً»[(٣)].

٤٨٩ ـ وقال السَّريُّ: «اجعَلْ قبرَك خزانتك[(٤)]؛ احشُها من كل عملٍ يمكنُك، فإن وردتَ علىٰ قبرك سَرَّك ما ترىٰ فيه».

٤٩٠ ـ وقال إبراهيمُ الصائغ: «قال لي إبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق، اعبُدِ اللّٰهَ سرًّا، حتىٰ تخرجَ علىٰ الناس يوم القيامة كمينًا[(٥)]».

٤٩١ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم: «لن ينالَ الرجلُ درجةَ الصالحين حتىٰ يجوزَ ستَّ عقبات، أوَّلها: يُغلق باب الرحمة[(٦)]، ويَفتح بابَ الشدة[(٧)]،

---

(١) أي: من لم يغتنم فرص الخير في أوقاتِها المتاحة، ندم عليها إذا أراد فعلها ولم يتيسر له.
(٢) أي: بعدما كَبِرَ وشاب.
(٣) سبحان اللّٰهِ علىٰ هٰذه العقول النظيفة!
(٤) أي: املأه بالأعمال الصالحة قبل القدوم إليه.
(٥) **الكمين**: الخفي، أي: حتىٰ تحسب يوم القيامة من الأتقياء الأخفياء، والعلم عند اللّٰه تعالىٰ.
(٦) في المطبوع: «النعمة»، والمثبت من مصادر أخرىٰ. والمراد: لا يرحم نفسه في الدنيا؛ وذٰلك بالجد والاجتهاد في طاعة اللّٰه تعالىٰ.
(٧) أي: يشتد عليها بالاجتهاد في الطاعات.

والثاني: يُغلق باب العز، ويَفتحُ باب الذل، والثالث: يُغلق باب الراحة، ويفتحُ باب الجَهد، والرابع: يغلقُ باب النوم، ويفتحُ باب السهر[(١)]، والخامس: يُغلق باب الغنىٰ، ويَفتح بابَ الفقر، والسادس: يغلقُ باب الأمل، ويفتحُ باب الاستعداد للموت».

٤٩٢ ـ وقال سلمةُ بنُ كُهيل: «لقي خيثمةُ محاربًا[(٢)]، فقال: كيف حبُّك للموت؟ قال: ما أحبُّه، قال: إن ذٰلك بك لنقصٌ كبير[(٣)]».

٤٩٣ ـ وعن الأوزاعيِّ قال: «مَثَلُ المؤمنِ مَثَلُ الولدِ في الرحِم؛ لا يحبُّ الخروج، فإذا خرجَ لم يحبَّ أن يدخل، وكذٰلك المؤمنُ إذا خرج من الدنيا فعايَن ثوابَ اللّٰه؛ لم يُحبَّ أن يرجعَ إلىٰ الدنيا».

٤٩٤ ـ وقال الحسنُ البصريُّ ذات يوم لجلسائه: «يا معشرَ الشيوخ، ما يُنتظرُ بالزَّرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد، قال: يا معشرَ الشباب، إن الزرع قد تدركُه العاهةُ قبل أن يبلغ».

٤٩٥ ـ وعن لقمانَ أنه قال لابنه: «يا بُني، إن الناس قد تطاوَلَ عليهم

---

(١) هٰذا إن كان يطيقه، وإلا فالأفضل له ما كان أقربَ إلىٰ ربِّه ﷻ.

(٢) أي: محارب بن دِثار.

(٣) كراهية الموت أنواع:

أولًا: أن يكره الموت كراهةً طَبْعيةً، وهٰذا لا لوم فيه ولا عتاب، فإنه أمرٌ فطري؛ لما فيه من شدة النزع وكرباتِه ومشقَّاتِه؛ وهٰذا لا يُعدُّ نقصًا في الإنسان.

الثاني: أن يكره الموت خشيةً من تقصيره وتفريطه في حقِّ مولاه، ولحبه أن يلقاه علىٰ خير حال، وهٰذا فيه نوع نقص ـ بلا ريب ـ؛ لأن العاقل لا يوقع نفسه في مواقف الندم، وإن كان ممدوحًا من جهةِ خوفِه من ربِّه ﷻ وخوف لقائه علىٰ النقص والتقصير.

الثالث: أن يكره الموت رغبةً في البقاء في الدنيا والتمتع بملهياتِها التي تُبعده عن ربِّه ﷻ، وهٰذا هو التفريط الكبير، وعليه اللوم العظيم.

ما يوعَدون[١]، وهم إلىٰ الآخرةِ سِراعًا يذهبون، وإنه قد استَدبرتِ الدنيا لتَذهب، واستَقبلت الآخرةُ، وإن دارًا تسيرُ إليها أقربُ إليك من دارٍ تخرجُ منها».

٤٩٦ ـ وقال بلالُ بن سعد: «عبادَ الرَّحمٰن، يقال لأحدِنا: تحبُّ أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال: لِمَ؟ فيقول: حتىٰ أعمل، فيقال له: اعمَلْ، فيقول: سوف! فلا يحبُّ أن يموتَ، ولا يحبُّ أن يعمل، وأحبُّ شيءٍ إليه أن يؤخِّرَ عملَ اللَّه ﷻ، ولا يحبُّ أن يؤخَّرَ عنه عَرَضُ دنياه».

٤٩٧ ـ وقال بعضُ الحكماء: «عجبتُ ممن يَحزَنُ علىٰ نقصان ماله، ولا يَحزَنُ من فَناء عمره! وعجبتُ ممن الدنيا مولِّيةٌ عنه، والآخرةُ مقبلةٌ إليه؛ يَشتغل بالمُدبرة، ويُعرِضُ عن المقبلة!».

٤٩٨ ـ وقال الرَّبيعُ بن بزة: «يا ابنَ آدم، إنما أنت جيفةٌ مُنتنةٌ، طُيبت نَسَمتُك بما قد رُكِّب فيك من رُوح الحياة، لو قد نُزعت منك روحُك لبَقِيتَ جيفةً منتنةً وجسدًا خاويًا، قد جَيَّف بعد طيبِ ريحه، واستُوحش منه بعدَ الأُنس بقربه، فأيُّ الخليقةِ ـ يا ابن آدم ـ أجهلُ منك؟ فالعجب منك إذا كنتَ تعلمُ أن هٰذا مصيرُك، وإلىٰ التراب مَقيلُك، ثم أنت بعد هٰذا القول تَقرُّ بالدنيا عينًا[٢]».

٤٩٩ ـ وعن هزَّانَ قال: «قالت لي أمُّ الدرداء: يا هزان، ألَا أُحدِّثُك ما يقول الميتُ إذا وُضع علىٰ سريره؟ قلتُ: بلىٰ. قالت: فإنه ينادي: يا أهلاه، يا جيراناه، ويا حَمَلةَ سريراه، لا تغرَّنَّكم الدنيا كما غرَّتْني، ولا تلعَبنَّ بكم كما تلعَّبَتْ بي، فإن أهلي لم يَحمِلوا عني من وزري شيئًا، ولو حاجُّوني اليوم عند الجبار لحَجُّوني.

---

(١) أي: طالت أعمارهم فنسوا ما يوعدون من الموت والحساب.
(٢) أي: تفرح بها.

ثم قالت أم الدرداء: الدنيا أسحرُ لقلب العبدِ من هاروتَ وماروت، وما آثرها قطُّ إلا أَصرعت خدَّه».

٥٠٠ ـ وكتب عمرُ بن عبدالعزيز إلىٰ عديِّ بن أرطأة: «أما بعد، إياك أن تُدركَك الصَّرعةُ عند الغِرَّة[١] فلا تُقالُ العَثْرة[٢]، ولا تُمكَّنُ من الرجعة، ولا يَعذِرُك مَن تَقدَمُ عليه، ولا يَحمدُك مَن خَلَّفت له لِمَا تَركت له[٣]، والسلام».

٥٠١ ـ وقال الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩﴾ [القيامة]: «هما ساقاك إذا التفَّتا في الكفن».

٥٠٢ ـ وعن يونسُ بن عُبيد قال: «شهدتُ الحسن، فسمعتُه حين ثقُل يقول: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، حتىٰ فرغ، فانكبَّ عليه ابنُه عبداللَّه قال: يا أبه، ما لك تسترجعُ؟! قد أفزعتنا! فهل رأيتَ شيئًا؟! قال: يا بُني، استرجعتُ علىٰ نفسي التي لم أُصَب بمثلها».

٥٠٣ ـ وقال محمدُ بن واسع ـ وهو في الموت ـ: «يا إخوتاه، أتدرون أين يُذهَبُ بي؟ يُذهب بي ـ واللَّهِ الذي لا إلٰه إلا هو ـ إلىٰ النار، أو يعفو عني».

٥٠٤ ـ وقال أبوالدرداء رضي الله عنه: «ابنَ آدم، طَإِ الأرضَ بقدمك؛ فإنها عن قليل تكونُ قبرَك. ابن آدم، إنما أنت أيام، فكلما ذهب يومٌ ذهب بعضُك. ابن آدم، إنك لم تَزل في هدمِ عمرك منذ يومِ ولدتْك أمُّك».

٥٠٥ ـ وقال الحسن: «ابنَ آدم، إنك بين مطيَّتينِ يُوضِعانِك[٤]، الليلِ

---

(١) **الصَّرعة**: الموت. **الغِرَّة**: الغفلة والالتهاء بالدنيا عن الآخرة.

(٢) أي: فلا تُسامَحُ في تقصيرك.

(٣) أي: ولا يشكرك ورَّاثُك الذين تركتَ لهم مالك، لانشغالهم به عنك.

(٤) **المَطيتين**: الدابتين. **يوضعانِك**: يسرعانِ بك.

إلىٰ النهار، والنهارِ إلىٰ الليل؛ حتىٰ يُسلِماك إلىٰ الآخرة، فمَن أعظم منك - يا ابن آدمَ - خطرًا؟!».

٥٠٦ - وقال إبراهيمُ بن بشار: «مررتُ - أنا وأبو يوسف الغسولي - في طريق الشام، فوثب إليه رجلٌ فسلَّم عليه، ثم قال: يا أبا يوسف، عِظني بموعظةٍ أحفظُها عنك. فبكىٰ، ثم قال: اعلمْ - يا أخي - أن اختلافَ الليل والنهار وممرَّهُما يُسرعانِ في هدم بدنك، وفَناءِ عمرك، وانقضاءِ أجلك، فينبغي لك - يا أخي - ألَّا تطمئن، ولا تأمَنَنَّ حتىٰ تعلمَ أين مستقرُّك ومصيرُك، وساخِطٌ عليك ربُّك بمعصيتك وغفلتِك، أو راضٍ عنك بفضلِه ورحمته. ابنُ آدم الضعيف نطفةٌ بالأمس، وجيفةٌ غدًا، فإن كنتَ ترضىٰ لنفسك بهٰذا، فَسَتُرَدُّ وتعلمُ وتندمُ في وقتٍ لا ينفعك الندم. قال: فبكىٰ أبو يوسف، وبكىٰ الرجل، وبكيتُ لبكائهما، ووقعا مغشيَّينِ عليهما».

٥٠٧ - وقال يحيىٰ بنُ عبدالملك بن حُميد: «كتبَ الأوزاعيُّ إلىٰ أخ له: أما بعد؛ فإنه قد أُحيط بك من كل جانب[1]. واعلم أنه يُسارُ بك في كل يومٍ وليلة، فاحذَرِ اللَّهَ والمَقامَ بين يديه، وأن يكونَ آخِرَ عهدِك به، والسلام».

٥٠٨ - وقال سهلُ بن عبداللَّه: «الناسُ نيام، فإذا انتبهوا ندِموا، وإذا ندِموا لم تنفَعْهم ندامتُهم».

٥٠٩ - وقال أبو عبدالرَّحمٰن: «قلتُ لإبراهيم بن ثابتٍ الدعَّاء - لمَّا أردتُ الخروجَ من بغداد -: أوصِني، فقال: دعْ ما تندمُ عليه».

٥١٠ - ووقف أبو معاوية الأسود علىٰ سُور «طَرَسوسَ» يبكي، ويقول: «مَن كانت الدنيا أكبر هَمّه طال غدًا في القيامة غمُّه، ومَن خافَ الوعيد

(١) أي: أنت في قبضته ﷻ، ولا يمكنك الفرار عنه من أي ناحية.

لَهَىٰ[١] من الدنيا عما يريد، ومَن خاف ما بين يديه ضاق ذَرعُه[٢] بما في يديه. إن كنتَ ـ يا أبا معاوية ـ تريدُ لنفسك الجزيل[٣]؛ فلا تَنَم الليل ولا تَقِل[٤]، قدِّمْ صالحَ الأعمال، ودَعْ عنك كثرةَ الأشغال، بادِرْ بادِرْ قبل نُزول ما تُحاذِر». ثم جعل يبكي.

٥١١ ـ وقال رَوحُ بن مُدرك على المنبر: «الآن[٥] قبلَ أن تَسقَم فتَضنَىٰ، وتَهرَم فتفنىٰ، ثم تموتَ فتُنسىٰ، ثم تُقبَرَ فتَبلَىٰ، ثم تُبعث فتُحيىٰ، ثم تُحضَرَ فتُدعىٰ، ثم توقَفَ فتُجزىٰ بما قدمت وأمضيت، وأذهبتَ فأفنيتَ من موبقاتِ سيئاتك، ومُتلِفاتِ شهواتك، فالآن الآن وأنتم سالمون».

٥١٢ ـ وعن عقيلِ بن عمرو قال: «إخواني، لابدَّ من الفناء، فليت شِعري[٦] أين المُلتقىٰ؟».

٥١٣ ـ وقال محمدٌ السَّمين: «لَقِيتُ غَيلانَ المجنونَ في بعض خِرَباتِ الكوفة، فقلت له: متىٰ يستيقظُ العبدُ من خطراتِ الغفلة[٧]؟ فقال: إذا كان بما أُمر به فاعلًا، وعما نُهي عنه غافلًا[٨]، ولمحاسبةِ نفسه عاقلًا. فقلت: ومتىٰ يصلُ العبد؟ فقال: إذا قام بأمره[٩]، وأخلَصَ سريرتَه، ونجا من زلَّته. فقلت: [عظنا] موعظةً نتزودُها منك، فقال: كونوا منَ اللَّه

(١) لَهَىٰ: انصرف وابتعد، من اللهو.
(٢) **الذَّرْع**: النفس والقلب.
(٣) **الجزيل**: الثواب العظيم.
(٤) أي: ولا تنامُ القيلولة. ولا ريب أن نومها أفضل لمن تساعده علىٰ القيام.
(٥) أي: بادِرْ وسارِعْ.
(٦) ليت شعري: ليتني أعلم!
(٧) أي: متىٰ يتيقظ لآخرته.
(٨) أي: وعن الحرام غافلًا، فلا يواقعه أو لا يقاربه.
(٩) أي: أمر مولاه ﷻ.

علىٰ حذر، ومِن دنياكم علىٰ خطر، ومنَ الموت علىٰ وَجَل، ولقدوم الآخرة علىٰ عجل».

٥١٤ ـ وقيل لوهب بن منبِّه: «بمَ زهدتَ في الدنيا؟ قال: بحرفينِ[(١)] وجدتُهما في التوراة: يا مَن لا يستتمُّ سرورَ يوم، ولا يأمنُ علىٰ رُوحه يومًا، الحذرَ الحذر».

٥١٥ ـ وعن عطاءٍ قال: «المؤمنُ لا يتمُّ له فرحُ يوم»[(٢)].

٥١٦ ـ ولما بَنىٰ هشامُ بن عبدالملك الرُّصافةَ قال: «أُحبُّ أن أخلوَ يومًا، لا يأتيني فيه خبرُ غمٍّ. فما انتصف النهار حتىٰ أتته رِيشةُ دمٍ من بعض الثغور، قال: ولا أُحبُّ يومًا واحدًا[(٣)]!».

٥١٧ ـ وقال رجلٌ كوفيٌّ: «كان أولُ ما بدأ أمرُ عِبادة داودَ بنِ نُصير الطائي: أنه مر بجاريةٍ وهي تبكي أباها، وهي تقول: يا ليت شِعري: بأي خدَّيك بدأ البِلَىٰ؟ فأجاب: بخده اليمنىٰ؛ فإنها التي تلي الثرىٰ».

٥١٨ ـ وقال مُنازلُ بن سعيد: «صلينا خلفَ جنازةٍ فيها داودُ الطائي وهو لا يراني خلفه، فقال: أَوَّهْ، ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون]، ثم قال لنفسه: يا داود، مَن خاف الوعيد قَصُر عليه البعيد، ومن طال أملُه قصُر عملُه، وكلُّ ما هو آتٍ قريب. واعلمْ ـ يا داود ـ أن كلَّ شيءٍ يَشغلُك عن ربك فهو مشؤوم[(٤)]. واعلمْ ـ يا داود ـ أن أهلَ الدنيا جميعًا من أهل القبور إنما يَندَمون علىٰ ما يُخلِّفون[(٥)]، ويفرحون بما

---

(١) أي: بجملتين أو عبارتين.
(٢) نعم ـ وربي ـ، وكيف يتمُّ الفرح لمن لا يعلم بأي شيءٍ سيختمُ له؟!
(٣) أي: وحتىٰ هٰذه الأمنية لا تتحقق؟!
(٤) الشؤم عند السلف الصالح يعنون به: معدوم الخير والبركة.
(٥) أي: علىٰ ما يتركون مما كسبوا من غير حِلِّه. أو يندمون علىٰ تركِهم الأعمال =

يقدِّمون[(١)]، فما عليه أهلُ القبور يَندمون عليه أهلُ الدنيا يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القُضاةِ[(٢)] يَختصمون. ثم نظر إليَّ، فقال: لو علمتُ أنك خلفي لم أنطِقْ بحرف».

٥١٩ ـ وقال محمدُ بن أبي توبة: «أقام معروفٌ الصلاة، ثم قال لي: تقدم، فقلت: إن صليتُ بكم هٰذه الصلاةَ لم أصلِّ بكم غيرها، فقال معروفٌ: وأنت تحدِّثُ نفسَك أن تُصلِّي صلاةً أخرىٰ؟! نعوذُ باللَّه من طول الأمل؛ فإنه يَمنعُ خيرَ العمل».

٥٢٠ ـ وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**اعمَلْ للَّهِ رأيَ العين كأنك تراه، فإنك إن لم تكن تراهُ فإنه يراك، وأسبِغْ طُهورَك إذا دخلت المسجد، واذكُرِ الموتَ في صلاتك؛ فإن الرجلَ يذكُرُ الموتَ في صلاته لَحرِيٌّ أن يُحسِنَ صلاته، وصلِّ صلاةَ رجلٍ لا يظنُّ أن يُصليَ صلاةً غيرها، وإياك وكلَّ ما يُعتذَرُ منه**»[(٣)].

٥٢١ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ رجلٌ، فقال له: يا رسول اللَّه، حدِّثْني بحديثٍ، واجعله موجَزًا، فقال له النبي ﷺ: «**صلِّ صلاةَ مودِّعٍ كأنك تراه، فإنْ كنت لا تراهُ فإنه يراك، وايأس ممَّا في أيدي الناس تَعِشْ غنيًّا، وإياك وما تَعتذرُ منه**»[(٤)].

= الصالحة.

(١) أي: ما قدموه من الأعمال الصالحة.

(٢) أي: في المحاكم.

(٣) **حسن:** رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٧٥٥)، وذكره السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١/٢٢٦)، وذكر عن شيخه ـ الحافظ ابن حجر رحمه الله ـ أنه حديث حسن.

(٤) **حسن:** رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٤٢٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٥٢)، والمخلص في «فوائده» (٧٤/٦)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» =

٥٢٢ ـ وقال ابنُ المبارك: «استعدَّ للموت، ولِمَا بعد الموت. فشهق عليٌّ شهقةً[١]، فلم يزل مغشيًّا عليه عامةَ الليل».

٥٢٣ ـ وقال شَقيقٌ: «استعدَّ إذا جاءك الموت ألَّا تَسأل الرَّجْعة[٢]».

٥٢٤ ـ وقال الأصمُّ: «ما من صباحٍ إلا والشيطانُ يقول لي: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: آكلُ الموت، وألبسُ الكفن، وأسكنُ القبر».

٥٢٥ ـ وقال: «الزَمْ خدمةَ مولاك[٣]، تأتك الدنيا راغمة[٤]، والجنةُ عاشقة».

٥٢٦ ـ وقالت رابعةُ: «ما رأيت ثلجًا قطُّ إلا ذكرتُ تطايُرَ الصحف، ولا رأيتُ جَرادًا قطُّ إلا ذكرتُ الحشر، ولا سمعتُ أذانًا قط إلا ذكرتُ مناديَ القيامة، وقلتُ لنفسي: كوني في الدنيا بمنزلة الطير الواقعِ حتىٰ يأتيَه قضاؤه».

٥٢٧ ـ وقال إسماعيلُ بن مسعود: «خرج الحسنُ بن صالح بن حيٍّ يومًا من بيتي، فنظر إلىٰ جرادٍ يطير، فقال: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر]، ثم خرَّ مغشيًّا عليه».

٥٢٨ ـ وقال أيوبُ: «إنه ليبلغُني موتُ الرجل من إخواني؛ فكأنه يسقطُ عضوٌ من أعضائي».

٥٢٩ ـ وقال الرَّبيعُ بن أبي راشد: «لو فارق ذكرُ الموت قلبي لخشيتُ

= (١٩١٤).

(١) وهو عليُّ بن الفضيل، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) لأن الذي يسأل الرجوع إلىٰ الدنيا هو من فرَّط وضيَّع. سترنا اللَّه وإياكم.

(٣) راجع ما سلف عن لفظ «الخدمة» تحت الأثر رقم (١٢).

(٤) **راغمة**: ذليلة صاغرة.

أن يَفسُد، ولولا أن أُخالفَ مَن كان قبلي لسكنتُ الجبَّانةَ[١] حتىٰ أموت».

٥٣٠ ـ وقال بلالُ بن سعد: «أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا للفناء، وإنما خُلقتم للبقاء، وإنما تُنقلون من دارٍ إلىٰ دار؛ كما نُقلتم من الأصلاب إلىٰ الأرحام، ومنَ الأرحام إلىٰ الدنيا، ومن الدنيا إلىٰ القبور، ومنَ القبور إلىٰ الموقف، ومن الموقف إلىٰ جنةٍ أو نار».

٥٣١ ـ وكان إبراهيمُ بن أدهم يقول كثيرًا: «دارُنا أمامنا، وحياتُنا بعد موتنا إما إلىٰ الجنةِ، وإما إلىٰ النار».

٥٣٢ ـ وقال ـ أيضًا ـ لإبراهيمَ بنِ بشَّار: «يا ابنَ بشار، مثِّل لبصر قلبك حضورَ مَلَكِ الموت وأعوانِه لقبض روحك، فانظر كيف تكون! ومثِّلْ له[٢] هَوْلَ المُطَّلَعِ[٣] ومُساءَلةَ منكرٍ ونكير، فانظر كيف تكون! ومَثِّلْ له القيامةَ وأهوالَها وأفزاعَها، والعَرْضَ والحسابَ والوقوف، فانظر كيف تكون! ثم صرخ صرخةً، ووقع مغشيًّا عليه».

٥٣٣ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «إن للموت كأسًا لا يَقوَىٰ علىٰ تجرُّعِها إلا خائفٌ وَجِلٌ طائعٌ كان يتوقَّعُها، فمَن كان مطيعًا فله الحُسنىٰ والكرامةُ، والنجاةُ من عذاب القيامة، ومَن كان عاصيًا نزل بين الحسرةِ والندامةِ يوم الصاخَّةِ والطامة».

٥٣٤ ـ وقال داودُ الطائي لسفيان: «إذا كنتَ تشربُ الماءَ الباردَ والمُروقَ[٤]، وتأكلُ اللذيذَ المطيَّب، وتمشي في الظِّلِّ الظليل، متىٰ تحبُّ الموتَ والقدومَ علىٰ اللَّه ﷻ؟! قال: فبكىٰ سفيان»[٥].

---

(١) **الجَبَّانة**: المقابر.
(٢) أي: لقلبك.
(٣) أي: بداية ظهور ملك الموت لك؛ نسأله تعالىٰ الثبات.
(٤) جَمْع «مرقة»، ويقصد أنواع الشرب المريء.
(٥) ليس المقصود تحريمَ ما سلف، وإنما أراد منه التيقظ للرحيل.

٥٣٥ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهمَ لأبي ضَمْرةَ الصوفي ـ وقد رآه يضحك ـ: «يا أبا ضمرة، لا تَطمَعَنَّ فيما لا يكون، ولا تأيسْ مما يكون، فقال له: يا أبا إسحاق، ما معنىٰ هٰذا؟ فقال: ما فهمتَ؟ قلت: لا، قال: لا تطمَعنَّ في بقائك؛ وأنت تعلمُ أن مصيرَك إلىٰ الموت، فلِمَ يضحكُ من يموتُ ولا يدري إلىٰ أين يصيرُ بعد موته: إلىٰ جنةٍ أم نار؟ ولا تيأسْ مما يكون، أنت لا تدري أيَّ وقتٍ يكون الموتُ: صباحًا أو مساءً أو نهارًا؟ ثم قال: أَوَّه أَوَّه! وسقط مغشيًّا عليه».

٥٣٦ ـ وجاء رجلٌ إلىٰ جعفر بن محمد الصادق، فقال: «أوصِني قال: هيِّئْ جَهازَك، وقدِّمْ زادك، وكن وَصِيَّ نفسِك».

٥٣٧ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول اللَّه عز وجل: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، قال: «لوحٌ من ذهب فيه مكتوب: بسم اللَّه الرَّحمٰن الرحيم، عجبًا لمن أيقن بالموتِ؛ كيف يفرح؟ وعجبًا لمن يعرفُ النار؛ كيف يضحك؟ وعجبًا لمن يعرفُ الدنيا وتحويلَها بأهلها؛ كيف يطمئنُّ إليها؟ وعجبًا لمن يؤمنُ بالقضاء والقدَر؛ كيف يَنصَبُ[1] في طلب الرزق؟ وعجبًا لمن يؤمنُ بالحساب كيف يعمل الخطايا؟ لا إلٰهَ إلا اللَّه محمد رسول اللَّه»[2].

٥٣٨ ـ وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ـ في قول اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ ـ: «كان ذٰلك الكنزُ لوحًا من ذهب مكتوبٌ فيه: بسم اللَّه الرَّحمٰن الرحيم؛ لا إلٰهَ إلا اللَّه محمدٌ رسول اللَّه، عجبتُ لمن يعلمُ أن الموتَ حقٌّ كيف يفرح؟ وعجبتُ لمن يؤمن بالقدَر كيف يَحزَن،

(١) **ينصب**: يتعب.
(٢) اللَّهُ أعلم بصحة الأثر، ولو ثبت لكان من الإسرائيات. وكذا الكلام في الأثر بعدَه.

وعجبتُ لمن يَذكُرُ النارَ كيف يضحك؟ وعجبتُ لمن يرىٰ الدنيا وتصرُّفَ أهلها حالًا بعد حالٍ كيف يطمئنُّ إليها؟».

٥٣٩ ـ وقال جابرُ بن عونٍ الأسدي: «أولُ كلامٍ تكلم به سليمانُ بنُ عبدِالملك أنه قال: الحمدُ للَّه الذي ما شاء صنع، وما شاء رفع، وما شاء وضع، وما شاء أعطىٰ، وما شاء مَنع، إن الدنيا دارُ غرور، ومنزلُ باطل، وزينةٌ تَقَلَّبُ، تُضحِكُ باكيًا، وتُبكي ضاحكًا، وتُخيفُ آمنًا، وتؤمِّنُ خائفًا، تُفقِرُ مُثريَها، وتُثري فقيرها، ميَّالةٌ لاعبةٌ بأهلها. يا عباد اللَّه، اتخِذوا كتابَ اللَّه إمامًا، وارضَوه حَكَمًا، واجعلوه لكم قائدًا؛ فإنه ناسخٌ لما كان قبلَه، ولن ينسخَه كتابٌ بعده. اعلَموا ـ عبادَ اللَّه ـ أن هٰذا القرآنَ يجلُو[1] كيدَ الشيطانِ وصَفاصِفَه[2] كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفَّس إدبارَ الليل إذا عسعس[3]».

٥٤٠ ـ وعن الحسن قال: «حقيقٌ علىٰ مَن كان الموتَ موعدُه، والقبرَ موردُه، والحسابَ مشهدُه؛ أن يطولَ بكاؤه وحزنه».

٥٤١ ـ وقال الفضيلُ بن عياض: «كفىٰ باللَّه محبًّا، وبالقرآن مُؤنسًا، وبالموت واعظًا، وكفىٰ بخشية اللَّهِ علمًا، والاغترارِ باللَّه جهلًا».

٥٤٢ ـ وقال أبو المنذر: «نظر الحسنُ إلىٰ ميتٍ يُدفن، فقال: واللَّهِ إن أمرًا هٰذا أوَّلُه لحريٌّ أن يُخافَ آخرُه، وإن أمرًا هٰذا آخرُه لحريٌّ أن يُزهدَ في أوَّلِه[4]».

---

(١) **يَجلُو**: يصرف.
(٢) **الصفاصف**: الأراضي غير المستوية ـ جمع «صفصف» ـ، والمراد مكايده وخبائثه.
(٣) **عسعس**: ذهب.
(٤) ويقصد بـ«أوله» ـ الثانية ـ: الدنيا.

٥٤٣ ـ وكتب الحسنُ إلىٰ عمرَ بن عبدالعزيز: «أما بعد، فمَن كان آخِرُ عِلَّتِهِ الموتُ فقد مات[١]. فكتب إليه عمرُ بن عبدالعزيز: أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزَل، والسلامُ عليك».

٥٤٤ ـ ودخل يزيدٌ الرَّقَاشيُّ علىٰ عمرَ بن عبدالعزيز، فقال له [عمرُ]: «عظني، فقال: [ما] أنت أولَ خليفةٍ يموت ـ يا أمير المؤمنين ـ. قال: زدني، قال: لم يَبقَ أحدٌ من آبائك ـ من لدُنْ آدم إلىٰ أن بلغتِ النوبةُ إليك ـ إلا وقد ذاق الموت. قال: زدني، قال: ليس بين الجنة والنار منزلٌ واللَّهِ؛ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار]، وأنت أبصرُ ببِرِّكَ وفجورِك. فبكىٰ عمر حتىٰ سقط عن سريره».

٥٤٥ ـ وقال أبو حَمزة: «خرجتُ من بلاد الروم، فوقفت علىٰ راهب، فقلتُ له: هل عندك مِن خبرِ مَن مضىٰ؟ قال: نعم ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورىٰ]».

٥٤٦ ـ وقال أسماءُ بن عبيد: «دخل عنبسةُ علىٰ عمرَ بن عبدالعزيز، فقال: يا أمير المؤمنين، إن مَن كان قبلَك [كانوا] يُعطوننا عطايا مَنعتناها، وإن لي عيالًا وضَيْعةً[٢]؛ وقد أحببتُ أن أتعاهد ضيعتي وما يُصلح عيالي، فقال عمر: أحبُّكم إلينا مَن فعل ذٰلك[٣]. فلمَّا ولَّىٰ قال: أبا خالد، أبا خالد؛ أكثِرْ ذِكْرَ الموت؛ فإنك لا تذكرُه وأنت في ضيقٍ منَ العيش إلا وسَّعه عليك، ولا تذكرُه وأنت في سَعةٍ من العيش إلا ضيَّقه عليك».

(١) في «الزهد» للإمام أحمد (رقم: ١٣٦٣): «فإن آخِرَ من قُضيَ عليه الموت كأنه قد مات».
(٢) الضَّيعة: الأرض.
(٣) أي: من جاءنا يطالبنا بحقوقه.

٥٤٧ ـ وعن الحسن قال: «إن هٰذا الموتَ فَضَح الدنيا، ولم يَدَع لذي لُبٍّ فرحًا، يا لها من موعظةٍ لو وافقت منَ القلوب حياةً!».

٥٤٨ ـ وقال مطرِّفٌ: «أفسد الموتُ علىٰ أهل النعيمِ نعيمَهم، فاطلبوا نعيمًا لا موتَ فيه».

٥٤٩ ـ وقال ثابتٌ البُناني: «أيُّ عبدٍ أعظمُ حالًا من عبدٍ يأتيه ملكُ الموت وحده، ويدخلُ قبرَه وحدَه، ويوقَفُ بين يدي اللَّه وحده؛ ومع ذٰلك ذنوبٌ كثيرة، ونِعَمٌ من اللَّه كثيرة».

٥٥٠ ـ وقال زهيرٌ: «كان ابنُ سيرين إذا ذُكر الموتُ عنده مات كلُّ عضوٍ منه علىٰ حِدَته[1]. وقيل لسفيان: جالِسْ محمدًا؟ قال: لا[2]».

٥٥١ ـ وقال بشرُ بن الحارث: «يا ليتَ شعري! كيف يخرجُ المذنِبون غدًا من قبورهم؟ وأين مفرُّ الظالمين غدًا من اللَّه ﷻ؟».

٥٥٢ ـ وقال محمدُ بن السَّمَّاك: «دخلتُ البصرة، فقلتُ لرجلٍ كنتُ أعرفه: دُلَّني علىٰ عُبَّادِكم. فأدخَلَني علىٰ رجلٍ عليه لباسُ الشَّعر، طويلُ الصمت؛ لا يرفعُ رأسَه إلىٰ أحد، فجعلتُ أستنطِقُه الكلامَ[3] فلا يكلِّمُني، فخرجتُ من عنده، فقال لي صاحبي: هاهنا ابنُ عجوز؛ هل لك فيه؟ قلتُ: فدُلَّنا عليه. فدخلنا عليه، فقالت العجوز: لا تذكُروا لابني شيئًا من أمر جنةٍ ولا نارٍ لتقتلوه عليَّ؛ فإنه ليس لي غيرُه.

فدخلنا علىٰ شابٍّ عليه من اللباس نحوٌ مما علىٰ صاحبه، منكسرُ الرأس، طويلُ الصمت، فرفع رأسَه، فنظر إلينا، ثم قال: إن للناس موقفًا

(١) أي: علىٰ انفصاله. والمقصود: شعر باضطراب في جميع أعضائه بلا استثناء، واللَّهُ أعلم.
(٢) أي: شفقةً علىٰ نفسه من حال ابن سيرين رحمه الله.
(٣) أي: أطلب منه الكلام.

لابد أن يقفوه. قلتُ: بين يدَي مَن ـ رحِمك اللَّه ـ؟ فشهِق شهقةً فمات، فجاءت العجوز فقالت: قتلتُم ولدي؟! فكنتُ فيمن صلَّىٰ عليه».

٥٥٣ ـ وجاء رجلٌ من «مُرَاد» إلىٰ أوَيس القَرَني، فقال: «السلام عليكم، قال: وعليكم السلام، قال: كيف أنتم ـ يا أويس ـ؟ قال: بحمد اللَّه، قال: كيف الزمان عليكم؟ قال: لا تسأل رجلًا إذا أمسىٰ لم يَر أنه مُصبِح، وإذا أصبح لم يَر أنه يُمسي. يا أخا مراد، إنَّ عِرفانَ المؤمن بحقوقِ اللَّه لم يُبقِ [له] فِضةً ولا ذهبًا. يا أخا مراد، إن قيامَ المؤمن بما للَّه لم يُبقِ له صديقًا، واللَّهِ إنَّا لنأمرُهم بالمعروف، وننهاهم عن المنكر، فيتخذونا أعداءً، ويَجِدون علىٰ ذٰلك من الفاسقين أعوانًا، حتىٰ ـ واللَّهِ ـ لقد يقذفوني بالعظائم، وأيمُ اللَّهِ لا يمنعني ذٰلك أن أقولَ بالحق».

٥٥٤ ـ وقال قَبيصة: «ما جلستُ مع سفيانَ الثوريِّ مجلسًا إلا ذَكَر فيه الموت، وما رأيتُ أحدًا كان أكثرَ ذكرًا للموت منه».

٥٥٥ ـ وقال حمَّادُ بن سلمة: «كان سفيانُ الثوري عندنا بالبصرة، وكان كثيرًا ما يقول: ليتَني قد مِتُّ، ليتني قد استرحتُ، ليتني في قبري. فقلت له: يا أبا عبدِاللَّه، ما كثرةُ تمنِّيك الموت؟! واللَّهِ لقد آتاك القرآنَ والعلم، فقال سفيانُ: يا أبا سلمة، وما يُدريني؛ لعلِّي أدخلُ في بدعة! لعلِّي أدخل فيما لا يحلُّ لي، لعلِّي أدخل في فتنةٍ؛ أكون قد متُّ فسبقتُ هٰذا».

٥٥٦ ـ وقال مالكُ بن مِغْوَل: «قيل لربيع بن أبي راشد: ألا تجلسُ فتُحدِّث؟ قال: إن ذِكرَ الموت إذا فارق قلبي ساعةً فَسد عليَّ قلبي.

قال مالك: ولم أرَ رجلًا أظهرَ حُزنًا منه».

٥٥٧ ـ وقال عمرانُ بن خالدٍ الخُزاعي: «رأيتُ حسانَ بن أبي سِنان وحَوْشبًا التقيا، فقال حوشبٌ لحسان: كيف أنت ـ يا أبا عبداللَّه ـ؟ كيف حالك؟ قال: ما حالُ من يموت، ثم يُبعث، ثم يحاسب؟».

٥٥٨ ـ والتقيا يومًا، فقال حوشب: «كيف أصبحت ـ يا أبا عبداللَّه ـ؟ قال: أصبحتُ قريبٌ أجلي، بعيدٌ أملي، سيئٌ عملي».

٥٥٩ ـ وقيل لأبي الضُّرَيس ـ عُمارةَ بن حرب ـ: «كيف أصبحت ـ يا أبا الضريس ـ؟ فقال: إن نجوتُ من النار فأنا بخير».

٥٦٠ ـ وقال الأزرق: «قلت للحسن: كيف أصبحتَ ـ يا أبا سعيد ـ؟ كيف حالُك؟ قال: بأشدِّ حال، ما حالُ مَن أمسىٰ وأصبح ينتظرُ الموت؛ لا يَدري ما يفعلُ اللَّهُ به!».

٥٦١ ـ وقال يحيىٰ بن معاذ: «الدنيا دارُ أشغال، والآخرةُ دارُ أهوال، ولا يزالُ العبدُ بين الأشغال والأهوال حتىٰ يستقرَّ به القرار، إما إلىٰ جنةٍ وإما إلىٰ نار».

٥٦٢ ـ وعن سالم بن بَشير: «أن أبا هريرةَ ﷺ بكىٰ في مرضه، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: أبكي لبُعد سفري وقِلَّةِ زادي، وأني أصبحتُ في صعودِ مَهبطةٍ علىٰ جنةٍ أو نار؛ فلا أدري إلىٰ أيتهِما يُسلَكُ بي!».

٥٦٣ ـ وقيل للربيع بن خُثيم: «كيف أصبحت ـ يا أبا يزيد ـ؟ قال: أصبحنا ضعفاءَ مُذنبين، نأكل أرزاقَنا، وننتظرُ آجالنا».

٥٦٤ ـ وقال رجلٌ لعمر بن عبدالعزيز: «يا أمير المؤمنين، كيف أصبحت؟ قال: أصبحتُ بطيًّا بطينًا[1]، متلوِّثًا بالخطايا، أتمنىٰ علىٰ اللَّه ﷻ الأماني».

٥٦٥ ـ وكان إبراهيمُ بن عيسىٰ اليَشكُري إذا قيل له: «كيف أصبحت؟ قال: أصبحتُ في أجلٍ منقوص، وعملٍ محفوظ[2]، والموتُ في رقابنا،

---

(١) في المطبوع: «بطيًّا بطيًّا»، والتصويب من مصادر أخرىٰ. **والبطي**: البطيء. ويقصد أنه مقصرٌ في طاعة ربِّه ﷻ.

(٢) أي: يُحفَظُ عليَّ.

والقيامةُ من ورائنا، ولا ندري ما يفعل اللَّهُ ﷻ بنا».

٥٦٦ ـ وقال المُزَني: «دخلتُ علىٰ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو عليل، فقلت: كيف أصبحت ـ يا أبا عبداللَّه ـ؟ قال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا، وللإخوان مفارقًا، ولسوءِ فِعالي ملاقيًا، وعلىٰ اللَّه واردًا، وبكأس المنيةِ شاربًا، ولا ـ واللَّهِ ـ ما أدري: أروحي تصيرُ إلىٰ الجنة فأُهنِّيها، أو إلىٰ النارِ فأُعزِّيها؟!».

٥٦٧ ـ وقال هشامٌ: «لقيتُ محمدَ بنَ واسع، فقلت له: كيف أصبحت، أو كيف أمسيت؟ فقال: أصبحتُ سيئٌ عملي، قريبٌ أجلي، بعيدٌ أملي».

٥٦٨ ـ وقيل لأبي تميمة الهُجيمي: «كيف أصبحت؟ قال: بين نِعمتين: ذنبٍ مستور، وثناءٍ من هٰؤلاء الناس ما بَلَغه عملي».

٥٦٩ ـ وقال عقبةُ الأصم: «كنا عند أبي تميمةَ الهُجيمي، فجاءه بكرُ ابن عبدِاللَّه، فقال: يا أبا تميمة، كيف أصبحت؟ قال: بين نِعمتينِ أُميَّلُ بينهما[1]؛ لا أدري أيَّتَهما أفضل: ذنبٍ ستره اللَّه عليَّ، فلا يستطيعُ أحدٌ أن يرميَني به، ومحبةٍ رزقَنيها اللَّهُ من عباده، وعزَّةٍ ما بلغها عملي[2]».

٥٧٠ ـ وقال ابنُ مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما أصبح أحدٌ اليومَ إلَّا وهو ضيفٌ، وماله عاريةٌ[3]، والضيفُ مرتحل، والعارية مؤدَّاة».

٥٧١ ـ وقال إبراهيمُ بن بشَّار: «كنتُ يومًا من الأيام مارًّا مع إبراهيمَ ابن أدهم في صحراء؛ إذ أتينا علىٰ قبر مُسنَّم[4]، فتَرحَّم عليه، فقلت: قبرُ من هٰذا؟ فقال: هٰذا قبر حُميدِ بن جابر ـ أميرِ هٰذه المُدن كلِّها ـ،

---

(١) **أميَّل**: أتأرجح.
(٢) يقصد بالعزة: الرفعة بين قومه، واللَّهُ أعلم.
(٣) **العارية**: القرض.
(٤) **مسنَّم**: مرفوع قليلًا.

كان غارِقًا في بحار الدنيا، ثم أخرجه اللَّهُ منها، واستنقذه بعدُ، بلغني أنه سُرَّ ذات يومٍ بشيءٍ من ملاهي مُلكِه ودنياه وغرورِه وفتنته، ثم نام في مجلسه ذٰلك ـ مع مَن خصَّه من أهله ـ، فرأىٰ رجلًا واقفًا علىٰ رأسه بيده كتاب، فناوله إياه، ففتحه، فإذا فيه كتابٌ بالذهب مكتوب: لا تؤثِرنَّ فانيًا علىٰ باقٍ، ولا تغتَرَّنَّ بمُلكك وقدرتِك، وسلطانِك وعَبيدك، وخدَمِك ولذاتِك وشهواتك؛ فإنَّ الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم[(١)]، وهو مُلكٌ لولا أن بَعدَه هُلكًا[(٢)]، وهو فرحٌ وسرور؛ لولا أنه لهوٌ وغرور، وهو يومٌ لو كان يوثَقُ له بغد، فسارِعوا إلىٰ أمر اللَّه؛ فإن اللَّه تعالىٰ قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران]. فانتبهَ فزِعًا، وقال: هٰذا تنبيهٌ من اللَّه وموعظة! فخرج من مُلكه، وقَصد هٰذا الجبلَ، فتعبَّد فيه حتىٰ مات رَحِمَهُ اللَّهُ».

٥٧٢ ـ وعن إبراهيمَ بن أدهم قال: «إخواني، عليكم بالمُبادرةِ والجدِّ والاجتهاد، وسارِعوا وسابقوا، فإن نعلًا فقدت أختَها سريعةُ اللحاق بها»[(٣)].

٥٧٣ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «اذكرْ ما أنت صائرٌ إليه حقَّ ذِكره، وتفكَّرْ فيما مضىٰ من عمرك: هل تثقُ به وترجو به النجاةَ من عذاب ربِّك، فإنك إذا كنت كذٰلك شَغلتَ قلبك بالاهتمام بطريقِ النجاة علىٰ طريق الآمنين اللاهين المطمئنين الذين أتبعوا أنفسَهم هواها، فأوقعتهم علىٰ طريق هلَكاتهم، لا جَرَم؛ سوف يعلمون، وسوف يُناقَشون[(٤)]، وسوف يندمون،

---

(١) أي: عظيم، لولا أن مصيره إلىٰ العدم.

(٢) **الهُلك**: الهلاك والبوار.

(٣) وإنما قصد بالنعل التي فقدت أختها: فقدان الأصحاب والإخوان.

(٤) في المطبوع: «ينافسون»، ولعل الأصح ما أثبتُّه، **والمناقشة**: الاستقصاء والتدقيق في الحساب، نعوذ باللَّهِ من هٰذا.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء]».

٥٧٤ ـ وقال إبراهيمُ بن بشار: «مضيتُ مع إبراهيمَ بن أدهم في مدينةٍ يقال لها «طرابلس»، ومعي رغيفان ـ ما لنا شيءٌ غيرهما ـ، وإذا سائلٌ يسأل، فقال لي: ادفعْ إليه ما معك، فلبثتُ، فقال: ما لك! أعطِه؟ فأعطيته وأنا متعجبٌ من فعله، فقال: يا أبا إسحاق، إنك تلقىٰ غدًا ما لم تلْقَه قط، واعلم أنك تلقىٰ ما أسلفت، ولا تلقىٰ ما خلَّفْت[1]، فمهِّدْ لنفسك، فإنك لا تدري متىٰ يفاجئُك أمرُ ربك. قال: فأبكاني كلامُه، وهوَّن عليَّ الدنيا، فلما نظر إليَّ أبكي قال: هٰكذا فكن».

٥٧٥ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم: «مرَّ عبداللَّه بن عمر علىٰ قوم مجتمعِين وعليه بردةٌ حسناء، فقال رجلٌ من القوم: إن أنا سلبتُه بردتَه؛ فما لي عندكم؟ فجعلوا له شيئًا، فأتاه، فقال: يا أبا عبدِالرَّحمٰن، بردتُك هٰذه هي لي! قال: فإني اشتريتُها بالأمس! قال: قد أعلمتُك، وأنت في حرجٍ من لُبسها. قال: فهَتَكها ليدفعَها إليه، فضحك القوم، فقال: ما لكم؟ فقالوا: هٰذا رجلٌ بطال! فالتفت إليه، فقال: يا أخي، أما علمتَ أن الموت أمامك؛ لا تدري متىٰ يأتيك: صباحًا أو مساءً، ليلًا أو نهارًا؟! ثم القبرُ وهولُ المُطَّلع ومنكرٌ ونكير، وبعد ذٰلك القيامةُ؛ يوم يخسر[2] فيه المبطِلون؟! فأبكاهم ومضىٰ».

٥٧٦ ـ وقال ذو النون ـ وقال له بعضُ أصحابه: كيف أصبحت؟ ـ، فقال: «أصبحت وبنا من نِعمِ اللَّه ﷻ ما لا يُحصىٰ؛ مع كثير ما نعصي؛ فلا ندري علىٰ ما نشكر: علىٰ جميل ما نَشر، أم علىٰ قبيح ما سَتَر؟».

٥٧٧ ـ وعن جابر بن عبداللَّه رضي الله عنهما قال: لقيتُ النبي ﷺ، فقلت: كيف

(١) أي: ستحاسَب علىٰ ما عملت، لا علىٰ ما لم تعمل.
(٢) في المطبوع: «يُحشر»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

أصبحتَ ـ يا رسول اللّه ـ؟ قال: «**بخيرٍ مِن رجلٍ لم يصبح صائمًا، ولم يَعُد سقيمًا**[(١)]»[(٢)].

٥٧٨ ـ وقيل للحسن البصريِّ: «لِمَ لا تغسلُ قميصك؟ قال: الأمرُ أسرعُ من ذٰلك»[(٣)].

٥٧٩ ـ وقيل لداودَ الطائي: «ما لك لا تسرِّحْ لحيتك؟ قال: إني إذًا لفارغ، الدنيا دارُ مأتم»[(٤)].

٥٨٠ ـ وقيل له ـ أيضًا ـ: «لو صعِدتَ إلىٰ السطح يصيبُك الرَّوح[(٥)]؟ قال: إني لأكرهُ أن أخطوَ خطوةً يكون لبدني فيها راحة»[(٦)].

٥٨١ ـ وقال بشرُ بن الحارث: «انظر: لا يأخذْك وأنت ذاهبٌ في حاجة». يعني الموت[(٧)].

---

(١) أي: لم أقدر علىٰ الصيام ولا عيادة المريض. أفاده السندي رَحِمَهُ اللَّهُ في «حاشيته علىٰ سنن ابن ماجه».

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٣٧١٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/٢٣٥)، وعبد ابن حميد (١١٣٧)، وأبو يعلىٰ (١٩٣٧)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٨٣)، وفي «الدعاء» (١٩٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٩٧)، **وضعَّفه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، والشيخ الألباني عند ابن ماجه، بينما **حسَّنه لغيره** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند ابن ماجه (٤/٦٥٩).

(٣) خيرُ الهدي هدي محمد ﷺ. وقد سلف نحوه.

(٤) سلف التعليق علىٰ هٰذا الأثر برقم (١٦٢).

(٥) **الرَّوح**: نسيم الهواء.

(٦) راجع هٰذا الأثر برقم (٣٣٣).

(٧) وهٰذا من معاني «التقلُّب» الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٤٦﴾ [النحل].

٥٨٢ ـ وقال لقمانُ لابنه: «يا بني، لا تؤخِّرِ التوبة؛ فإن الموتَ يأتي بغتة».

٥٨٣ ـ وقال مِسعرُ بن كدام: «كم من مستقبِلٍ يومًا ليس بمستكمِله! ومنتظِرٍ غدًا وليس بمستدرِكه[(١)]! ولولا الأجلُ ومسيرُه لأبغضتُمُ الأملَ وغرورَه»[(٢)].

٥٨٤ ـ وقال الأوزاعي: «مَن أكثر ذِكرَ الموت كفاه اليسير، ومَن عَرف أن منطقَه من عملِه قلَّ كلامُه».

٥٨٥ ـ وقال عبدالرَّحمٰن بنُ عمرو: «أدركتُ امرأةً ـ لا أقدِّمُ عليها رجلًا ولا امرأةً ممن أدركت ـ؛ كانت إذا أصبحَتْ قالت: يا نفسُ، هٰذا اليوم، ساعديني يومي هٰذا؛ فلعلَّكِ لا ترَينَ بياضَ يوم أبدًا. وإذا أمستْ قالت: يا نفس، هٰذه الليلة، ساعديني ليلتي هٰذه؛ فلعلَّكِ لا ترَينَ سوادَ ليلةٍ أبدًا، فما زالت تَخدعُ وتدفعُ يومَها بليلها، وليلَها بنهارها حتىٰ ماتت علىٰ ذٰلك».

٥٨٦ ـ وقال سهلُ بن محمد: «لا ينبغي أن يَشغَلنا أملُ الاستقامة عن وَجَل القيامة، والوجلُ من القيامة أولىٰ بنا من أمل الاستقامة»[(٣)].

الموتُ كسوفُ قمرِ الحياة، وخسوفُ شمسِها، وهو ليومِ الحياة مساء، والمحسنُ والمسيءُ فيه[(٤)] سواء، وهو منتهىٰ راحةِ قوم ومبتدأُ عذابِهم[(٥)]،

---

(١) **مستدركه**: مُدرِكه.

(٢) وقد أورد الإمام ـ أيضًا ـ هٰذا الأثر عن عون بن عبداللَّه بألفاظٍ قريبةٍ جدًّا من اللفظ المثبت، وقد حذفته اختصارًا.

(٣) للَّهِ ما أجلَّها من كلمة!

(٤) في المطبوع: «فيها»، ولعل الأصحَّ ما أثبتُّه، ويكونُ المعنىٰ: أن المحسنَ والمسيءَ في الموت سواء؛ فلن يترك الموتُ أحدًا، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٥) يقصد بهم الظلمة المفتونين الذين نسُوا اللَّهَ، ولهثوا وراء شهواتِهم طلبًا =

والموتُ بين الدنيا والآخرة جسرٌ لكل أحدٍ مَعبرٌ عليه[(١)]، والموتُ وإن كان للحياة الفانية آخِرًا؛ فهو للحياة الباقية أولًا وصَدْرًا.

٥٨٧ ـ وقال ابن عيينة: «أوحشُ ما يكونُ ابن آدم في ثلاثةِ مواطن: في يومِ وُلد؛ فيخرج إلىٰ دارِ هَمٍّ، وليلةٍ يبيتُ مع الموتىٰ، فيجاور جيرانًا لم يرَ مثلهم، ويومَ يُبعث فيَشهدُ مشهدًا لم يَر مثله قط! قال اللَّه تعالىٰ ـ ليحيىٰ بن زكريا عليهما السلام في هٰذه الثلاثة مواطن ـ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾ [مريم]».

٥٨٨ ـ وقال يحيىٰ بن أيوب: «دُفن النعمانُ بن سويدٍ الزاهدُ، وعلىٰ شفير القبر سفيانُ بن سعيد، فقال: قد كُسرت معلنته[(٢)]، فصُبَّت في حجره».

٥٨٩ ـ وقال يحيىٰ بن معاذٍ الرازي: «لا تكنْ ممن يفضحُه يومَ موته ميراثُه، ويومَ حشره ميزانُه».

٥٩٠ ـ وقال مسعر بن كِدام[(٣)]:

نهارُك يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُك نومٌ والرَّدىٰ لك لازمُ

وتَعملُ فيما سوف تَكرَهُ غِبَّهُ ... كذٰلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ[(٤)]

= لراحتِها الزائفة، فإن راحتهم عند الموت تنتهي، ويبدأ عذابُهم؛ نعوذُ باللَّهِ من هٰذا.

(١) في المطبوع: «جسرة عليه بكل أحد معبرٌ عليه». ولعلَّ الأصح ما أثبتُّه.

(٢) لم أتبينها. فإن لم تكن تحريفًا، فلعله شيءٌ كالإناء ـ كما هو ظاهر السياق ـ. والعلمُ عند اللَّه تعالىٰ.

(٣) وقد أورد الإمام البيهقي رحمه الله هٰذا الشِّعر ـ أيضًا ـ بعد بضعة آثار مما كان يتمثَّلُ به عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، وقد حذفتُه اختصارًا.

(٤) **الغِبُّ**: العاقبة.

٥٩١ ـ وقال ـ أيضًا ـ:

ومــــشـيَّــدٍ دارًا لِيَــســكُـنَ دارَه ... سكـنَ القبـورَ ودارَه لم يَسكُنِ[(١)]

٥٩٢ ـ وقال ثابتُ البُناني: بنىٰ أبو الدرداء مسكنًا قدْرَ بَسْطَةِ ظُلَّةٍ[(٢)]، فمَرَّ عليه أبو ذر، فقال: ما هٰذا؟! أتعمُرُ دارًا أَمر اللَّه بخرابها[(٣)]؟! لأن أكونَ رأيتُك تتمرَّغُ في عَذِرةٍ أحبُّ إليَّ من أن أكونَ [رأيتُك] فيما رأيتُك فيه. فلما فرغ أبو الدرداء من بنائه قال: إني قائلٌ علىٰ بناء هٰذا شيئًا:

بـنـيــتُ دارًا ولــســتُ عــامـرَهــا ... ولقد علمتُ إذ بنيتُ أين داري

٥٩٣ ـ وقال محمدُ بن الأشعث: «خرج محمدُ بن فلان إلىٰ الحج، فقال لعياله[(٤)]: إني عزمتُ الحج، فقالت: استخِرِ اللَّهَ، قال: فكم أُخلِّفُ عليكم[(٥)] من النفقة؟ قالت: بقدْرِ ما تخلِّفُ عندي من الحياة[(٦)]».

٥٩٤ ـ وقال مطرِّفُ بن عبداللَّه: «هو الموتُ نخاوضُه، ولابد منه. قيل: ما نخاوضه؟ قال: نروغُ عنه؛ من الخَيض».

٥٩٥ ـ وقال أبو العباس بن عطاء: «أصلُ كلِّ تدبير الرغبةُ[(٧)]، وأصلُ

---

(١) وفي هٰذا المعنىٰ يقول القائل ـ أيضًا ـ:

مؤمِّـلُ دنـيـا لـتـبـقـىٰ لـه ... فمات المؤمِّلُ قبلَ الأملْ

وعاش يُروِّي أصول النخيلِ ... فعاش النخيلُ ومات الرجلْ

(٢) **الظُّلة**: السحابة. والمقصود أنه ليس متسعًا بشدة.

(٣) اللَّهُ لم يأمر بتخريب الدنيا، وإنما قصد عدم الاهتمام الزائد بعمارتِها، وهٰذا لا يعني ألا يهتم الإنسان بدنياه، ولٰكن بقدرٍ معقول.

(٤) يعني لزوجته.

(٥) **أخلِّف**: أترك لكم.

(٦) أي: بقدر ما تجعني أعيش به، وإنما أرادت من ذٰلك تذكيره بالآخرة.

(٧) يقصد أن أصل كلِّ تدبيرٍ الرغبةُ في الشيء، فمن رغب فيه دبر أمره ليناله.

كل رغبةٍ طولُ الأمل».

٥٩٦ ـ وقال العباس بن حمزة: «لو التَفَتَ طولُ أملي، فعاين قُربَ أجلي؛ لاستحَىٰ طولُ أملي من قرب أجلي».

٥٩٧ ـ وقال عبدُاللَّه بن مُنازل: «يموتُ الإنسان، ولا يخلِّفُ بعده شيئًا أكثرَ من التدبير[١]».

٥٩٨ ـ وقال يحيىٰ بنُ معاذ: «لا يزال العبدُ مقرونًا بالتواني[٢]؛ ما دام مقيمًا علىٰ وعْدِ الأماني».

٥٩٩ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم: مررتُ في بعض جبال الشام، فإذا حَجرٌ مكتوبٌ عليه نقشٌ بيِّنٌ بالعربية ـ والحجر عظيم ـ:

كُلُّ حيٍّ وإن بقِي … فمنَ العُمرِ يستقي[٣]

فاعملِ اليومَ واجتهِدْ … واحذَرِ الموتَ يا شَقي

٦٠٠ ـ وقال مصعبٌ الزبيري[٤]: أشعرُ ما لأبي العتاهية عندي قوله:

تعلَّقتَ بآمالٍ طوالٍ أيِّ آمالِ

وأقبلتَ علىٰ الدنيا مُلِحًّا أي إقبالِ

فيا هٰذا تَجهَّزْ لفراق الأهلِ والمالِ

فلابدَّ من الموتِ علىٰ حالٍ منَ الحالِ

٦٠١ ـ وقال الحسن: «كان آدمُ عليه السلام في الجنة وأملُه بين عينيه، وأجلُه

---

(١) التدبير: طول الأمل، واللَّهُ أعلم.

(٢) التواني: الكسل.

(٣) يستقي: ينقص.

(٤) وكذا أنشدها أبو بكر الصولي لأبي العتاهية بنصها.

وراء ظَهرِه».

٦٠٢ ـ وعنه أنه كان يقول إذا أصبح:

يَسُرُّ الفتىٰ ما كان قدَّم من تُقىٰ   إذا عرف الداءَ الذي هو قاتِلُهْ

وإذا أمسىٰ قال:

وما الدنيا بباقيةٍ لحيٍّ   وما حيٌّ علىٰ الدنيا بباق

٦٠٣ ـ وقال أبو الحسن المدائني: لبس سليمانُ بن عبدالملك ثيابًا جميلة، ثم نظر إلىٰ وجهِه في المرآة، فقال: واللَّهِ أنا الملكُ الشاب ـ فأعجبته نفسه ـ، وجاريةٌ تصبُّ علىٰ يديه، فقالت:

أنت نِعمَ المتاعُ لو كنتَ تبقىٰ   غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ

أنتَ خِلوٌ من العيوب وممَّا   يَكرهُ الناسُ غيرَ أنكَ فاني

فصاح بها، وقال للوليد:

قرِّبْ وصولَك يا وليدُ فإنما   دنياك هٰذه بُلغةٌ ومتاعُ

فاعمَلْ لنفسِك في حياتِك صالحًا   فالدهرُ فيه تفرُّقٌ وجِماعُ[1]

٦٠٤ ـ وأنشد أبو عمر الزاهد لبعضهم:

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا قبلَنا   يشربونَ الخمرَ بالماءِ الزلالِ

عَطَفَ الدهرُ عليهم عَطفةً   وكذاك الدهرُ حالًا بعدَ حالِ[2]

٦٠٥ ـ وأنشد الأصمعي:

الدهرُ أفناني وما أفنيتُهُ   والدهرُ غيَّرني ولا يتغيَّرُ

(١) الجِماع: الاجتماع.
(٢) عطف: مال ميلةً.

وإنَّ امرأً أمسىٰ أبوهُ وأمُّهُ ... تحتَ التُّرابِ فحقُّهُ يتفكَّرُ

٦٠٦ ـ ولعبداللَّه بن المعتز:

الدهرُ يبلَىٰ وآمالُ الفتىٰ جُدُدٌ ... تزيدُ آمالُهُ والدهرُ يُفنيها

ليلٌ وصبحٌ وآجالٌ مُقدَّرةٌ ... تَمضي ونمضي وتطوينا ونطويها

٦٠٧ ـ وأنشد أبو عبداللَّه أحمد بن أيوب:

اغتنِمْ في الفراغ فَضلَ ركوعٍ ... فعسىٰ أن يكون موتُك بغتةْ

كم صحيحٍ رأيتَ مِن غير سُقم ... ذهبت نفسُه الصحيحةُ فَلتةْ[1]!

٦٠٨ ـ وأنشد محمود بن الحسن:

مضىٰ أمسُك الماضي شهيدًا ... وأعقبه يومٌ عليك جديدُ

فإن كنتَ اقترفتَ بالأمس إساءةً ... فثَنِّ بإحسانٍ وأنت حَميدُ

فيومُك إن أعتبتَه عاد نفعُه ... عليكَ وماضي الأمسِ ليس يعودُ

ولا تُرْجِ فعلَ الخير يومًا إلىٰ غدٍ ... لعلَّ غدًا يأتي وأنت فقيدُ[2]

٦٠٩ ـ وقال أبو عثمان: «بلغتُ نحوًا من ثلاثين ومئةِ سنة، وما منِّي شيءٌ إلا قد عرفتُ النقص فيه إلا أملي، فإني أرىٰ أملي كما هو!».

٦١٠ ـ وقال مالكُ بن دينار: «أتت علىٰ رجل ممن كان قبلَكم خَمْسُمِئةِ [سنة]، ثم أُتي بعدها فقيل له: أتحبُّ الموت؟ فقال: وا حُزناه! من يحبُّ أن يفارق هٰذا النسيم؟!».

٦١١ ـ وعن عليِّ بن حُجْر قال: «انصرفتُ من العراق وأنا ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة، فقلت: لو بقيتُ ثلاثًا وثلاثين أخرىٰ، فأروِّجَ بعضَ ما

---

(١) فلتة: فجأة.
(٢) تُرج: تؤخر.

حصَّلتُ من العلم! فعشتُ بعده ثلاثًا وثلاثين أخرىٰ، وبعدُ أتمنىٰ ما كنتُ أتمناه بعد انصرافي من العراق».

٦١٢ ـ وقال الصَّلَتان العبدي:

أشابَ الصغيرَ وأفنىٰ الكبيرَ   مرُّ النهار وكَرُّ العَشِي[(١)]

٦١٣ ـ وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يومُ القيامة نودي: أين أبناءُ الستين؟ وهو العمرُ الذي قال** ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]»[(٢)].

٦١٤ ـ وعن جابر بن عبداللَّه ﵄ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا تَمنَّوُا الموتَ؛ فإن هَوْلَ المُطَّلَعِ شديد**[(٣)]**، وإنَّ من السعادة أن يطولَ عُمرُ العبدِ ويرزقَه اللَّهُ الإنابة**»[(٤)].

٦١٥ ـ وعن أبي بَكرةَ ﵁ أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه، أي الناس خير؟ قال: «**مَن طال عمرُه وحسُن عمله**»، قال: فأيُّ الناس شر؟ قال: «مَن

---

(١) **الكر**: التكرار. والتتابع

(٢) **ضعيف**: رواه المصنف في «الكبرىٰ» (٣/٥١٨)، وفي «شعب الإيمان» (٩٧٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١١/١٧٧)، وفي «الأوسط» (٧٩٢٥)، والرامهرمزي في «الأمثال» (١/٦٦)، **وضعَّفه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/٢١٧)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيقه (١٤/٣٥٢)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٥٨٤)، و«ضعيف الجامع» (٦٦٨).

(٣) **المطلَّع**: رؤية وجه ملك الموت وأعوانه. وقيل: رؤية منكر ونكير ﵉.

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٣/٣٣٢)، وعبد بن حُميد (١١٥٥)، و«البزار» (٣٢٤٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٠٨٩)، والحاكم (٤/٢٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٨٩)، والشجري في «الأمالي» (١/١٩٧)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وفيه نظر، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٢/٤٢٧)، بينما **ضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٨٨٥).

طال عمره وساء عملُه»[(١)].

٦١٦ ـ وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ألَا أخبرُكم بخيارِكم؟**»، قالوا: بلىٰ ـ يا رسول اللَّه ـ! قال: «**أطولُكم أعمارًا، وأحسنُكم أعمالًا**»[(٢)].

٦١٧ ـ وعنه ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّهَ إذا أراد بقوم خيرًا مدَّ**[(٣)] **لهم في العمر، وألهَمَهمُ الشكر**»[(٤)].

٦١٨ ـ وعنه ﵁ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لا يتمنَّىٰ أحدُكم الموت، ولا يدعُو به مِن قبلِ أن يأتيَه، إنه إذا مات أحدُكم انقطع عملُه، وإنه لا يزيدُ المؤمنَ عمرُه إلا خيرًا**»[(٥)].

٦١٩ ـ وعن طلحةَ بن عبيداللَّه ﵁ أن رجلين من بَلِيٍّ ـ وهو حيٌّ من قضاعة ـ قُتل أحدهما في سبيل اللَّه، وأُخِّر الآخرُ بعده سنةً ثم مات،

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/٤٠)، وابن أبي شيبة (٧/٩٠)، والتِّرمذي (٢٣٣٠)، والحاكم (١/٣٣٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣/٣٧١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٢٠٨)، والطيالسي (٨٦٤)، والدارمي (٢٧٤٢)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤٤٩)، وفي «الصغير» (٣١٨)، و«البزار» (٣٦٢٣)، وقال التِّرمذي: «حسن صحيح». **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٩٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (٣٤/٥٨).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٢٣٥)، وابن أبي شيبة (١٣/٢٥٤)، والبزار (١٩٧١)، وابن حبان (٤٨٤)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٣/٣٧١)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/٣٣٧): «**رجاله رجال الصحيح**». **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٢/١٤٦)، وكذا الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٦٢)، **وجوَّده** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١٦/٤١).

(٣) في المطبوع: «عهِد»، والتصويب من مصادر التخريج.

(٤) **ضعيف جدًّا**: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٩٥٣)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٠٩٩).

(٥) رواه مسلم (٢٦٨٢).

قال طلحة: فرأيتُ في المنام الجنةَ فُتحت، فرأيتُ الآخِرَ[(١)] من الرجلين دخل الجنة قبلَ الأول، فتعجَّبتُ، فلما أصبحتُ ذكرت ذٰلك، فبلَّغتُ رسول اللَّه ﷺ، فقال لي رسول اللَّه ﷺ: «**أليس قد صام بعده رمضان، وصلىٰ بعده ستةَ آلاف ركعة، وكذا وكذا ركعةٍ لصلاة السَّنة؟!**»[(٢)].

٦٢٠ـ وعن عُبيد بن خالدٍ السُّلمي رَحِمَهُ اللَّهُ: أن رسول اللَّه ﷺ آخىٰ بين رجلين، فقتل أحدُهما، ومات الآخَرُ بعده، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**ما قلتم؟**»، قلنا: اللهم اغفِرْ له وألحقه بصاحبه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فأين صلاتُه بعد صلاته، وصيامُه بعد صيامه؟! بينهما كما بين السماء والأرض**»[(٣)].

---

(١) بكسر الخاء، أي: آخرهم موتًا.

(٢) حسن: رواه أحمد (١/١٦١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٦٠٦)، وابن ماجه (٣٩٢٥)، وابن حبان (٢٩٨٢)، والبيهقي (٣/٣٧١)، أبو يعلىٰ (٦٤٨)، والشاشي (٢٧)، والبزار (٩٥١)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٣٠٧)، وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/٢٢٠)، **وضعَّفه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٣١٦)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣/١٢).

(٣) صحيح: رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٤١)، وأحمد (٣/٥٠٠)، وأبو داود (٢٥٢٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٢١٢٣)، و«المجتبىٰ» (١٩٨٥)، والطيالسي (١١٩١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٩٥)، والبيهقي في «سننه» (٣/٣٧١)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٢٣١١)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣٥٨)، وابن قانع في «معرفة الصحابة» (٢/١٨٢)، وأبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (٤٧٧٧)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني عند أبي داود، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٥/٤٧٧).

تنبيه هام: رأينا في هٰذا الحديث ـ بروايتيه ـ أن الرجل الذي عُمِّر بعد الشهيد كان أعلىٰ درجةً منه، وهٰذا قد يسبِّب إشكالًا؛ حيث قد تقرَّر في الشريعة المطهَّرة أن المجاهد في سبيل اللَّه تعالىٰ لا يعدل عملَه عمل، فكيف يكون =

٦٢١ ـ وقال أبو سليمان: «قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رب، خِرْ لي. قال: يا موسىٰ، لو لم أخلُقْك لكان خيرًا لك، قال: يا رب، لقد خلقتَني فخِرْ لي، قال: يا موسىٰ، لو أَمَتُّك صبيًّا لكان خيرًا لك، قال: يا رب، فلم تُمِتْني صبيًّا فخر لي، قال: يا موسىٰ، لعلك تكبُر فأرحَمَك»[1].

٦٢٢ ـ وقال الربيع بن برَّة: «إنما يحبُّ البقاءَ مَن كان عمرُه له غُنمًا، وزيادةً في عمله، فأما من غُبن عمرَه، واستزلَّه هواه، فلا خيرَ له في طول الحياة[2]».

٦٢٣ ـ وقال ابنُ عيينة: «قال لي رجلٌ: لو قيل لي: أي شيءٍ أعجبُ إليك؟ لقلت: قلبُ مَن عرف ربَّه ثم عصاه!».

٦٢٤ ـ قال: «وكان يقال: إنما لك من عمرِك ما أطعتَ اللَّهَ فيه، فأما ما عصيتَه فيه فلا تعُدَّه لك عمرًا».

٦٢٥ ـ وقال وهبُ بن منبِّه: «قرأتُ في التوراة: إن للَّه مناديًا ينادي

= مَن لم يُستشهد أعلىٰ درجةً؟

والجواب أن هذا الحديث يحتمل أمورًا:

الأول: أن يكون قضيةَ عين خاصَّةً بهٰذين الرجلين فقط.

الثاني: أن الرجل الثاني جاهد مع الأول حينما قدما علىٰ رسول اللَّه ﷺ، فيكون لكليهما أجرُ المجاهد، وزاد الثاني عليه بما فعل من الطاعات التي فعلها خلال السنة التي عاشها.

الثالث: أن يكون هناك تفاوتًا في النيَّة بين الاثنين، وعلم اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن الثاني أعلىٰ صدقًا وإخلاصًا، وأعظم حرصًا علىٰ الشهادة في سبيل ربِّه من الأول ـ وتفاوت النيات لا يُنكر ـ، فأعطاه اللَّهُ تعالىٰ مثل منزلة الآخر، وزاد عليه ـ أيضًا ـ ما زاد من الطاعات المذكورة في العام الذي عاشه. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(١) إسرائيليات لا تقوم بها حجة، وفي معناه نظرٌ بيِّن.

(٢) يقصد: إذا لم يتُب.

كل ليلة: أبناءَ الأربعين، زرعٌ قد دنا حصادُه. أبناءَ الخمسين، هلمُّوا إلىٰ الحساب؛ ماذا قدَّمتم، وماذا أخَّرتم؟ أبناءَ الستين، لا عُذرَ لكم، أبناءَ السبعين، عُدُّوا أنفسَكم في الموتىٰ».

٦٢٦ ـ وقال أبو بكر بن أبي دارم:

أعينيَّ هلَّا تبكيانِ علىٰ عمري	تناثر عُمري من يَدِي ولا أدري
إذا كنتُ قد جاوزتُ ستينَ حِجةً	ولم أتاهَّبْ للمعاد فما عُذري؟

٦٢٧ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما في هٰذه الآية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾، قال: «في أعدل خلق». ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾: «من أرذلِ العمر»، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين]: «الذين يُدركُهم الكبَرُ من الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ لا يؤخَذون بعملٍ عمِلوه في كِبَرِهم[1]».

٦٢٨ ـ وعن أنسِ بن مالك رضي الله عنه أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**يقول اللَّهُ تعالىٰ: وعزَّتي وجلالي، وجُودي، وفاقةِ خَلْقي إليَّ، وارتفاعِي في مكاني؛ إني لأستحي من عبدِي وأمتي أن يَشيبَا في الإسلام ثم أعذِّبُهما**». فرأيتُ رسول اللَّه ﷺ يبكي عند ذٰلك، فقيل: يا رسولَ اللَّه، ما يُبكيك؟ فقال: «**أبكي ممَّن يستحي اللَّهُ منه، ولا يستحي من اللَّه**»[2].

٦٢٩ ـ وعنه رضي الله عنه أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّهَ عز وجل يقول: لأَنا أعظمُ**

(١) اللَّه أعلم بصحة الأثر، وفي معناه نظر جليٌّ.

(٢) **ضعيف**: رواه أبو يعلىٰ (٢٧٦٤)، ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٦٧)، الديلمي في «الفردوس» (٨٠٢٩)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢/٣٨٦)، وابن عدي في «الكامل» (١/٣٥٧)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٣٩٥)، وضعَّفه الإمام الهيثمي في «المجمع» (٥/٢٨٤)، والشيخ حسين الداراني عند أبي يعلىٰ.

عفوًا من أن أسترَ علىٰ عبدي، ثم أفضحَه بعد أن سترتُ عليه؛ فلا أزالُ أغفرُ له ما استغفرني»[(١)].

٦٣٠ - وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه عز وجل: إني لأستحي من عبدِي وأمتي يَشِيبانِ في الإسلام، تشيبُ لحيةُ عبدي، ورأسُ أَمَتي في الإسلام، ثم أعذِّبُهما في النار بعد ذٰلك**»[(٢)].

٦٣١ - وعنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**ما من مُعمَّرٍ يُعمَّرُ في الإسلام أربعينَ سنةً، إلا صَرف اللَّهُ عنه ثلاثةَ أنواعٍ من البلاء: الجنونُ، والجُذامُ**[(٣)]**، والبَرَصُ**[(٤)]**، فإذا بلغ الخمسين ليَّن اللَّهُ عليه حسابَه، فإذا بلغ الستِّين رزقه اللَّهُ الإنابة إليه بما يُحبُّ ويرضىٰ، فإذا بلغ السبعينَ أحبَّه أهلُ السماء، فإذا بلغ الثمانينَ قَبِلَ اللَّهُ حسناتِه وتَجاوَزَ عن سيئاته، فإذا بلغ التسعينَ غَفر اللَّه له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وسُمِّي: «أسيرَ اللَّه في الأرض»، وشُفِّع في أهل بيته**»[(٥)].

---

(١) **ضعيف**: رواه العُقيلي في «الضعفاء» (١/١١٤)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٣٩٦)، ونقل الإمام الشوكاني عن الإمام ابن حبان أنه قال: «**باطل لا أصل له**»، وأقرَّه عليه. و**ضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٠٣٦)، و«ضعيف الجامع» (٤٠٤٦).

(٢) **ضعيف**: وقد تقدم - بنحوه - قبل قليل.

(٣) **الجذام**: تساقط الأطراف.

(٤) **البَرص**: مرض جلدي معروف.

(٥) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/٢١٧)، والبزار (٣٥٨٧)، وأبو يعلىٰ (٤٢٤٦، ٤٢٤٧)، وغيرهم، وظاهر كلام الحافظ ابن حجر في «الخصال المكفِّرة» ص(١٠٨) أن الحديث **مقبول**، وقد نقل عن الحافظ ابن عساكر في «لسان الميزان» (٢/٥٢) أنه **حسَّنه** في «أماليه»، وقد **ضعَّفه** الإمام البيهقي - بعد تخريجه في «الزهد» -، وحكم عليه الإمام ابن الجوزي **بالوضع** - كما في «الموضوعات» (١/١٧٩) -، =

٦٣٢ ـ وعن عثمانَ بن عفانَ ﵁ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إذا استَكمل العبدُ أربعين سنةً وطَعَن في الخمسين، أَمِن الأدواءَ الثلاثةَ: الجُذام، والجُنون، والبَرص، فإذا بلغ خمسينَ سنةً حُوسب حسابًا يسيرًا، وابنُ الستين يعطَى الإنابةَ إلىٰ اللَّه ﷻ، وابنُ السبعين تُحبُّه ملائكةُ السماء، وابنُ الثمانين تُكتبُ حسناتُه ولا تُكتبُ سيئاتُه، وابنُ التسعين يُغفَرُ له ما سلف من ذنوبه، ويشفَّعُ في سبعينَ من أهل بيته، وتكتبه ملائكةُ سماءِ الدنيا: أسيرًا للَّهِ في الأرض**»[(١)].

٦٣٣ ـ وعن أبي بكر بن محمدٍ: «أن عمرَ بن الخطاب ﵁ قيل له: هٰذا غلامُ بني فلانٍ الشاعر! فقال له: كيف تقول؟ قال:

= وأقرَّه الحافظ العراقي علىٰ ذٰلك ـ كما في «القول المسدد» ص(٤٠) ـ، وقال: «ومما يُستدلُّ به علىٰ وضع الحديث مخالفةُ الواقع، وقد أخبرني من أثق به أنه رأىٰ رجلًا حصل له جُذامٌ بعد الستين ـ فضلًا عن الأربعين ـ!». وأورده ابن طاهر المقدسي في «تذكرة الموضوعات» (٦٨٥)، وقال: «فيه يوسف بن أبي ذرة، لا شيء في الحديث»، وقال الإمام ابن كثير في «التفسير» (٣/٢٠٧): «**حديث غريب جدًّا، وفيه نكارةٌ شديدة**»، وكذا **ضعَّفه** الشيخ عبدالرَّحمٰن المعلمي في تعليقه علىٰ «الفوائد المجموعة» للشوكاني ص(٤٨٢)، وقد **قوَّاه** الإمام السيوطي في «اللآلئ» (١/١٣٨)، **وحسن إسناده** الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لـ«مسند الإمام أحمد» (٨/٢٣)، بينما **ضعفه جدًّا** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (٩/٤٤٩). وانظر ما نقله الشيخ سيد العفَّاني عن أهل العلم في كتابه: «البحار الزاخرة في أسباب المغفرة» ص(٦٨ ـ ٧٠).

قلت: وبعد كلِّ هٰذا، فأرىٰ أن الأقرب إلىٰ الصواب القول بعدم صحة الحديث، وكلامُ الحافظ العراقي ﵀ السالف وجيهٌ جدًّا؛ وقد رأينا أكثر مما ذكره فيمن بلغوا العشرين والثلاثين ـ فضلًا عما فوقها ـ، واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(١) **ضعيف**: ذكره صاحب «كنز العمال» (٤٣٠٠٣)؛ معزوًّا لابن مردويه، **ولا يثبت**، وانظر السابق، واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

ودِّعْ سُليمىٰ إنْ تَجهَّزتَ غاديًا كفىٰ الشَّيبُ والإسلامُ للمرء ناهيًا

فقال عمر: صدقت».

٦٣٤ ـ وقال هشامُ بن هشام بن محمد: عاش فروةُ بن نُفاثةَ أربعين ومئةَ سنة، وأدرك الإسلام فأسلم، وقال:

بان الشبابُ فلم أحفَلْ به بالَا وأقبلَ الشَّيبُ والإسلامُ إقبالَا[1]

وقد أروي عظامي من مُشعشَعةٍ وقد أقلِّبُ أوراكًا وأكفالَا[2]

فالحمدُ للَّه إذ لم يأتني أجلي حتىٰ لبستُ من الإسلام سربالَا

٦٣٥ ـ وعن عبدِالرَّحمٰن بن حسانِ بن ثابت رضي الله عنه قال: «عاش حسانُ بن ثابت مئةَ سنةٍ وأربع سنين، وعاش أبوه ثابتٌ مئةَ سنةٍ وأربع سنين، وعاش المنذرُ جدُّه مئةَ سنةٍ وأربع سنين، وعاش حرامٌ جدُّ أبيه مئةَ سنةٍ وأربع سنين».

وكان عبدُالرَّحمٰن بن حسان إذا حدَّث بهٰذا الحديث اشرأبَّ لها[3]، وثنىٰ رجليه علىٰ مثلها[4]، فمات وهو ابن ثمانٍ وأربعين سنة!.

٦٣٦ ـ وقال عليٌّ المُقدَّمي: «رأيتُ هارونَ بنَ رِئابٍ في المنام، فقلت له: ما فعل بك ربُّك؟ فقال: غفر لي، ورحِمني، وقرَّبني، وطيَّبني، وقال: هٰكذا نفعلُ بأبناءِ ثلاثٍ وثلاثين».

٦٣٧ ـ وأنشد أبو عمرو بن العلاء:

يا خاضبَ الشَّيبِ بالحناءِ تسترُهُ سَلِ المليكَ له سِترًا من النارِ

---

(١) **بان**: رحل.
(٢) **المُشعشعة**: الخمر الممزوجة بالماء. **الأكفال**: الأكسية. واللَّهُ أعلم.
(٣) **اشرأبَّ**: تطلَّع. أي: أَمِل أن يموت ابنَ مئةٍ وأربعة.
(٤) أي: ظنَّ أنه سيبلغها.

لن يرحلَ الشَّيبُ عن دارٍ أقام بها ... حتىٰ يرحلَ عنها صاحبُ الدارِ

٦٣٨ ـ وقال الأصمعيُّ: «وعظ أعرابيٌّ رجلًا، فقال: إنَّ يسَارَ النفس[١] أفضل ُمن يَسَار المال، فمَن لم يُرزق غنًىٰ فلا يُحرَمْ تقوىٰ، فرُبَّ شبعانٍ في النِّعم غرثانٍ[٢] من الدِّينِ والكرَم، وإنَّ المؤمنَ علىٰ خيرٍ حتىٰ تُرحِّبَ به الأرضُ وتستبشرَ به السماء، ولن يساءَ إليه في بطنِها وقد أحسن علىٰ ظهرها، وإنَّ الموت ليتقحَّمُ[٣] علىٰ الشيخ كتقحُّمِ الشَّيب علىٰ الشباب، فمَن عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء، ولم يَجزع فيها علىٰ بلوىٰ».

٦٣٩ ـ وللبُحتُري:

إذا مضىٰ للمرءِ مِن أعوامِهِ ... خمسون وهو عن الصبا لم يَجْنَحِ

إذا رأىٰ إبليسُ غُرَّةَ وجهِهِ ... حيًّا وقال: فدَيتُ مَن لم يُفلِحِ

٦٤٠ ـ وأنشد أبو بكر بن أبي الدنيا:

إذا ما مضىٰ القرنُ الذي أنت منهمُ ... وخُلِّفتَ في قرنٍ فأنت غريبُ

وإنَّ امرأً قد سار خمسينَ حِجةً ... إلىٰ مَنهَلٍ مِن وِردِهِ لقريبُ[٤]

٦٤١ ـ وأنشد محمد بن حرب الهلالي:

إذا مات مَن فوقي ومَن دون مولدي ... وموتُ أترابي فكيف بقائي[٥]؟!

٦٤٢ ـ وعن حفصِ بن غِياثٍ قال: «قيل للأعمش: مات مسلمٌ النحَّات،

---

(١) يقصد غنىٰ النفس بقناعتها.
(٢) **غَرْثان**: جوعان. والمقصود: فقير.
(٣) **يتقحَّم**: يهجم.
(٤) **الحِجَّة**: السَّنة. **المنهل**: موضع الماء. **الوِرد**: الرحيل عنه.
(٥) **الأتراب**: الأقران المقاربون في السن.

فقال: إذا مات أقرانُ الرجل فقد مات[١]».

٦٤٣ ـ وقال أبو يوسف القاضي: «ما هدَّني شيءٌ مثلما هدَّني موتُ الأقران».

٦٤٤ ـ وقال أيوبُ: «ما نُعي إليَّ أحدٌ من إخواني إلا خُيِّل إليَّ أن عضوًا من أعضائي سقط».

٦٤٥ ـ وكان معاويةُ ﷺ يقول: أنا ـ واللَّهِ ـ من زَرع قد استُحصد[٢]! ونُعي له عبدُاللَّه بن عامر بن كُريز والوليد بن عقبة ـ وكان أحدُهما أكبرَ منه، والآخر دونه ـ، فقال:

إذا سار مَن خَلفَ امرئٍ وأمامَه   وأُفرد مِن أصحابه فهو سائرُ

٦٤٦ ـ وقال أبو مُسهر الدمشقي: حضر غَداءُ عبدالملك بن مروان يومًا، فقال لآذنِه[٣]: خالدُ بن عبداللَّه بن أُسيد؟ قال: مات ـ يا أمير المؤمنين ـ، قال: فأُميَّةُ بن عبداللَّه بن خالد بن أُسيد؟ قال: مات ـ يا أمير المؤمنين ـ، قال: خالدُ بن يزيدَ بن معاوية؟ قال: مات ـ يا أمير المؤمنين ـ، قال: ففلان؟ قال: مات ـ يا أمير المؤمنين ـ! قال: وكان عبدُالملك قد عَلم أنهم قد ماتوا، فقال: ارفع يا غلام[٤]، وقال:

ذهبت لِداتي وانقضت آجالُهم   وغُبِّرتُ بعدهم ولستُ بغابرِ[٥]

---

(١) وإنما يعنِ الأعمش نفسه.

(٢) أي: من جيلٍ ذهب أكثرُه.

(٣) **الآذِن:** الحارس.

(٤) لعله يقصد: ارفع الطعام.

(٥) **اللدات:** الأقران. **غُبِّرتُ:** بقيتُ.

تنبيه: حدث مني لبسٌ أو سهوٌ في الطبعة الأولىٰ من هٰذا الكتاب، وجعلت هٰذا البيت نثرًا. والحمد للَّه علىٰ كل حال.

٦٤٧ ـ وقال رجلٌ من أهل مكة: «كنَّا جلوسًا مع فُضيل بن عياض، فقلنا: يا أبا عليٍّ، كم سنُّك؟ فقال:

بلغتُ الثمانينَ أو جُزْتُها ... فماذا أؤمِّلُ أو أنتظرْ؟

أتتْ لي ثمانون من مولدي ... ودون الثمانينَ ما يُعتبَرْ

ما علتني السنونَ فأبلينني ... .

ثم نَهض، فلما ولىٰ التفت فقال:

.... فدقَّ العظامَ وكَلَّ البصرْ

٦٤٨ ـ وقال محمد بن أَعيَن: كان عندنا فتًىٰ قلَّما ينامُ بالليل، ويقرأُ ويسبِّح، فإذا كان من آخرُ الليل يبكي ويقول:

تفكَّرتُ طولَ الليل فيما جنيتُه ... وذكَّرتُ نفسي كلَّ ذنبٍ أتيتُهْ

وأنكرتُ منها ما تعاطيتُ في الصِّبا ... كأنَّ شبابي كان سهمًا رميتُهْ

وسَوَّد صُحفي بالذنوب أوانُه ... وولَّىٰ سريعًا مثلَ حُلمٍ رأيتُهْ

٦٤٩ ـ وأنشد بعضُ أهل الأدب:

لم أقُلْ للشباب: في كنفِ اللَّهِ ... وفي حِفظِهِ غداةَ تولَّىٰ[1]

زائرٌ لم يزلْ مقيمًا إلىٰ أن ... سَوَّد الصُّحفَ بالذنوبِ وولَّىٰ

٦٥٠ ـ ولأبي زُهمٍ السَّدوسي:

مَن كان يبكي الشبابَ من أسفٍ ... فلستُ أبكي عليه من أسفِ

كيف وشَرخُ الشباب عرَّضني ... يومَ حسابي لموقفِ التلفِ

٦٥١ ـ وأنشد أبو سعدٍ عبدُالرَّحمٰن بن محمد بن دوست الكاتب لنفسه:

---

(١) أورد الإمام هٰذا البيت مكررًا بعد الأثر التالي بلفظ: «وفي ستره غداه استقلَّا».

لمَّــا رأيــتُ فــؤادي ... يَهــيــمُ في كــلِّ وادِ
عجبتُ من شَيبِ فَوْديَّ ... ومِن شبابِ فؤادي[(١)]

٦٥٢ ـ وأنشد أبو سعد لنفسه ـ أيضًا ـ:

ألا فارجُ عفوَ اللَّهِ عن هفواتِكا
وبادِرْ إلىٰ الخيراتِ قبل فواتكا[(٢)]
ولا تُمضِ بالتسويفِ عمرك إنني
رأيتُ المنايا بالنفوس فواتكا[(٣)]

٦٥٣ ـ وأنشد عبدُاللَّه بن محمد:

ألم تَر كيف تَخترمُ المنايا ... وكيف تَحُولُ بين الخافقينِ!
تُؤمِّلُ بعدَ شَيبِكَ طُولَ عُمرٍ ... أليس الشَّيبُ إحدىٰ المِيتتَينِ!

٦٥٤ ـ وأنشد أبو القاسم نصر بن أحمد البصري:

مَن شاخ قد مات وهو حيٌّ ... يَمشي علىٰ الأرض مَشْيَ هالكْ
لو كان عمرُ الفتىٰ حسابًا ... لكان في شَيبه فَذَالك[(٤)]

٦٥٥ ـ وأنشد أبو بكر بن المؤمل:

وما حالاتُنا إلا ثلاثٌ: ... شبابٌ ثم شَيبٌ ثم موتُ

٦٥٦ ـ وقال ابنُ الأعرابي: دخل أبو الأسود علىٰ عُبيداللَّه بن زيادٍ وقد

---

(١) الفَوْد: الشعر فوق الأذنين.
(٢) فواتكا: فواتك ـ يعني رحيلك ـ، والألف للإطلاق.
(٣) فواتكا: قاتلة.
(٤) الفَذَالك: نتاج الحساب.

أسنَّ، فقال له يهزأُ به: يا أبا الأسود، إنك لجَميعٌ؛ فلو تعلَّقت تميمةً[1]!
فقال أبو الأسود:

أفنىٰ الشبابَ الذي أفنيتُ جِدَّتَه ... كَرُّ الجديدينِ من آتٍ ومُنطلِقِ
لم يتركا لي في طولِ اختلافِهما ... شيئًا يُخافُ عليه لدغةُ الحِدَقِ

٦٥٧ ـ وقال عبدالرَّحمٰن الأزرق العدني ـ وكان عابدًا ـ:

وَيْحِي مِن تتابُعِ جُرمي ... لو قد دعا إلىٰ الحساب حَسيبي
والويلُ لي ويلٌ دائمٌ إن كنتُ ... في الدنيا أخذتُ نَصيبي
فاستيقظي يا نفس ويحكِ واحذري ... حذرًا يُهيِّجُ عَبْرَتي ونَحيبي

٦٥٨ ـ وأنشد أبو مُسهر:

وما أنفُسُ الأحياءِ إلا رهائنٌ ... ستُقبض من الأحياءِ تلك الرهائنُ

٦٥٩ ـ وأنشد ـ أيضًا ـ:

هَبكَ عُمِّرت مثلَ ما عاش نوحٌ ... ثم لاقَيتَ كلَّ ذاك يسارَا
هل من الموت ـ لا أبا لك ـ بدٌّ ... أيُّ حيٍّ إلىٰ سوىٰ الموتِ صارَا

٦٦٠ ـ وقال ـ أيضًا ـ:

ولا خيرَ في الدنيا لمَن لم يكن ... له من اللَّهِ في دار المُقام نصيبُ
فإنْ تُعجِبِ الدنيا رجالًا فإنه ... متاعٌ قليلٌ والزوالُ قريبُ

٦٦١ ـ وعن عيسىٰ بن محمد الفارض قال: تُوفِّي يعقوبُ بن الليث الخارجي ـ المعروف بـ«الصَّفَّار» ـ بالأهواز سنة خمسٍ وستِّين ومِئتين،

---

(١) أي: إنك بكامل قوتك وصحتك؛ فلو علَّقت تميمةً تقيك عين الحاسدين. واللَّهُ أعلم.

فحُمل تابوتُه إلىٰ «جُنديسابور»[١]، وكُتب علىٰ قبره: هٰذا قبرُ يعقوب المسكين. وكتب علىٰ قبره:

أحسنتَ ظنَّك بالأيام إذ حسُنت … ولم تَخَفْ سوءَ ما يأتي به القَدَرُ

وسالَمَتْك الليالي فاغتررتَ بها … وحين تصفو الليالي يَحدُثُ الكَدَرُ

٦٦٢ ـ وقال محمد بن موسىٰ الأنصاري: كان قومٌ من أهل المدينة يجتمعون في مجلسٍ لهم بالليل يَسمُرون فيه، فلما قُتل الناسُ «يومَ الحَرَّةِ»[٢] قُتلوا، ونجا رجلٌ، فجاء رجلٌ إلىٰ مجلسه، فلم يُحسَّ منهم أحدًا، ثم جاء الليلةَ الثانية والثالثة، فلم يُحسَّ منهم أحدًا، فعَلم أن القوم قد قُتلوا، فتمثَّل بهٰذا البيت:

ألا ذَهَب الكُمَاةُ وخَلَّفوني … كفىٰ حزنًا تذَكُّرِيَ الكُماةَ[٣]

قال: فنودي من جانب المجلس:

فدَعْ عنك الكُماةَ فقد تولَّوْا … ونفسَك فابكِها قبلَ المماتِ

وكلُّ جماعةٍ لابدَّ يومًا … يفرِّقُ بينها شَعَثُ الشَّتاتِ

٦٦٣ ـ وقال محمود الوراق:

يَبكي علىٰ ميتٍ ويَغفُلُ نفسَه … كأنَّ بكفَّيه أمانٌ مِنَ الردىٰ

وما الميِّتُ المقبورُ في صدرِ يومِه … أحقُّ بأن يَبكيهِ مِن ميِّتٍ غدَا

---

(١) **جنديسابور**: مدينة مشهورة بخوزستان.

(٢) **يوم الحرَّة**: واقعة مشهورة كانت عام (٦٣هـ)، وسببها: أن أهل المدينة عزلوا يزيد بن معاوية، وولَّوا عبداللَّه بن مطيع علىٰ قريش، وعبداللَّه بن حنظلة علىٰ الأنصار، راجع تفاصيلها في كتب التاريخ.

(٣) **الكُماة**: الأبطال الأشداء.

٦٦٤ ـ ووُجد مكتوبٌ علىٰ جدار:

هٰذي منازلُ أقوامٍ عَهِدتُهُمُ ... في رغْدِ عيشٍ رغيبٍ ما له خطرُ
صاح بهم نائباتُ الدهرِ فانقلبُوا ... إلىٰ القبورِ فلا عينٌ ولا أثرُ[1]

٦٦٥ ـ ووجد ـ أيضًا ـ مكتوب علىٰ مسجدٍ خرب:

أفنىٰ جَديدَهم وشتَّت جَمْعَهم ... مَلِكٌ تفرَّد بالبقاءِ عزيزُ

٦٦٦ ـ وقال مَسلمةُ لجلسائه: أيُّ بيتٍ في الشِّعر أحكم[2]؟ قالوا: الذي يقول:

صبا ما صبا حتىٰ علا الشيبُ ... فلما علاه قال للباطل ابعُدِ

فقال مسلمة: إنه ـ واللَّهِ ـ ما وَعَظني شِعرٌ قطُّ ما وَعَظني شِعرُ ابنِ حِطَّانَ حين يقول:

أفي كلِّ عامٍ مَرضةٌ ثم نعمةٌ ... وتَنعَىٰ ولا تُنعىٰ متىٰ ذا إلىٰ متىٰ؟
فيُوشِكُ يومٌ أو يوافقُ ليلةٌ ... يَسوقانِ حَتفًا راح نحوك أو غدَا

وقال له رجلٌ من جلسائه: واللَّهِ ما سمعتُ بأحدٍ أجلَّ الموتَ ثم أفناه قبله حيث يقول:

لم يُعجِزِ الموتَ شيءٌ دون خَالقِهِ ... والموتُ فانٍ إذا ما نالَه الأجَلُ
وكلُّ كربٍ أمامَ الموتِ متَّضعٌ ... للموتِ والموتُ فيما بعدَه جَلَلُ

وقال ابن عبدالأعلىٰ[3]:

مَن كان حينَ تُصيبُ الشمسُ جَبهتَه ... أو الغبارُ يَخافُ الشمسَ والشعَثَا

---

(١) نائبات الدهر: مصائب الزمان.
(٢) أي: أعظمُ حكمةً.
(٣) هو يونس بن عبدالأعلىٰ ـ أحد رواة الأثر ـ.

ويألفُ الظِّلَّ كي تبقىٰ بشاشتُه ... فسوف يسكنُ يومًا راغمًا جَدَثَا[(١)]

في قَعرِ مُقفِرةٍ غبراءَ مظلمةٍ ... يُطيلُ تحتَ الثَّرىٰ في جَوفها اللَّبَثا

٦٦٧ ـ وقال أبو أحمد الفراء: «حُدِّثتُ أن داودَ الطائي أولَ ما هيَّجه علىٰ الجلوس والتخلِّي[(٢)]: أنه مرَّ بامرأةٍ وهي تبكي حَميمًا لها، وهي تقول: ليتَ شِعرِي[(٣)] بأي خدَّيكَ بدأ البِلَىٰ؟ فعكف عليها، فقال: كيف قلتِ؟ فأعادت، فقال داود: فأنا أُخبرُكِ: بخدِّه اليمنىٰ؛ فإنها تلي الثرىٰ. ثم مضىٰ، فتخلَّىٰ».

٦٦٨ ـ ولأبي العتاهية:

ومُختلفانِ يَنتهبانِ عُمري ... سيُقطع منهما نَظَري ولمسي

أموتُ ويَكرهُ الأحبابُ قربي ... وتَحضُرُ وَحْشَتي ويغيبُ أُنسي

وكلُّ ثمينةٍ أصبحتُ أُغلىٰ بها ... ستُباعُ مِن بعدي بوَكسِ[(٤)]

ألا يا ساكنَ البيتِ الموشَّىٰ ... ستُسكِنُك المنيَّةُ بيتَ رَمْسِ[(٥)]

ألم ترَ في صباحِكَ كلَّ يومٍ ... وعُمرُك فيه أقصرُ منه أمسِ!

٦٦٩ ـ وأنشد عبدالعزيز بن الحسن لابنه أبي بكر:

ما عُذرُ مَن خَرَّ عاصيًا رَسَنُهْ ... ما عُذرُه بعد أربعين سَنَةْ[(٦)]

ما عُذرُ مَن لا يكُفُّ منتهيًا ... عن ذنبه دون لُبسِهِ كَفَنَهْ

---

(١) الجَدَث: القبر.
(٢) التخلِّي: العزلة.
(٣) ليت شعري: ليتني أعلم.
(٤) الوكس: الخسارة.
(٥) الرَّمْس: التراب.
(٦) الرسَن: الأنف.

يـا راكـبَ الـذنـب لا يفارقُـه ... والـروحُ مـنـه مفـارقٌ بَدنَـهْ
عجـبتُ مِـن ذي أخٍ يُـسـرُّ بـهِ ... إذ سُـر مـن بعـده وقـد دَفَـنَـهْ
طالـت بـه في الحـيـاةِ فـرحتُـهُ ... ولم يَطُـلْ بعـد مـوتِـهِ حَـزَنُـهْ
طوبـىٰ لمَـن لم يَخُـنْ أمانـتَـه ... والويلُ عنـد الحسـاب للخَوَنَةْ

٦٧٠ ـ وقال أحمدُ بن عاصم الأنطاكي: قلت لعابدٍ: يرحمك اللَّه، أخبرني ما دليلُ الخوف؟ قال: الحَذَر، قلت: فما دليلُ الشوق؟ قال: الطلَب، قلت: فما دليلُ الرجاء؟ قال: العمل، قلت: رحِمك اللَّه، نحن [من] أين جاء ضَعفُنا؟ قال: لأنكم وثِقتم بحِلمِ اللَّه عنكم، وسِترِ اللَّه عليكم علىٰ معصيته! ثم أنشأ يقول:

إنْ كـنتَ تفهـمُ مـا أقـول وتَعقِـلُ ... فارحَلْ بنفسِكَ قبل أنْ بك يُرحَلُ
وذَرِ التشـاغـلَ بالذنوب وخَلِّها ... حتـىٰ متـىٰ وإلـىٰ متـىٰ تـتعلَّـلُ!

٦٧١ ـ وعن السَّريِّ السَّقَطي قال: خرجتُ يومًا إلىٰ المقابر، فإذا أنا ببُهلولٍ قد دلَّىٰ رِجليهِ في قبر وهو يلعبُ بالتُّراب، فقلت: أنت هاهنا؟ قال: نعم؛ أنا عند قوم لا يؤذونني، فإن غبتُ عنهم لا يغتابونني، فقلت: يا بُهلول، الخبزُ قد غلا، فقال: واللَّهِ ما أبالي وحبةٌ بمثقال، إنَّ علينا أن نعبدَه كما أمرنا، وعليه أن يرزقَنا كما وعدنا، ثم ولَّىٰ عني وهو يقول:

يا مَن تَمـتَّـعَ بالدنيـا وبَهجتِهـا ... ولا تـنـامُ عـن اللـذاتِ عيـنـاهُ
أفنيتَ عُمـرَكَ فيمـا لستَ تُدرِكُـهُ ... تقـولُ للَّـه مـاذا حـيـن تلقـاهُ؟!

٦٧٢ ـ وأنشد أبو الفتح البُسْتي لنفسه:

يـا عامـرًا لخـرابِ الدهـرِ مُجتهدًا ... تـاللَّهِ مـا لخَـرابِ العُمـرِ عُمـرانُ
ويـا حريصًـا علىٰ الأموال تَجمَعُها ... أنَـسِيتَ أن سـرورَ المـالِ أحـزانُ؟

٦٧٣ ـ وأنشد يحيىٰ بن معين هٰذا البيت:

نـؤمِّـلُ أن نبقـىٰ طـويـلًا وإنمـا نَعُـدُّ مـن الأيـام طـرفًـا وأنفـاسًـا

٦٧٤ ـ وقال عباسُ بن حمزة: «دخلتُ علىٰ ذي النون المِصري وعنده نفرٌ من المُريدين، وهو يقول لهم: توسَّدوا الموت إذا نِمتم[١]، واجعلوه نُصبَ أعينِكم إذا قُمتم، كونوا كأنكم لا حاجةَ لكم إلىٰ الدنيا، ولابدَّ لكم من الآخرة».

٦٧٥ ـ وقال عيسىٰ بنُ إبراهيم: «دخلتُ علىٰ الحسن بن هانئ وهو عليل، فقلت: يا أبا عليٍّ، كيف تجدُك؟ فقال: كيف تجدُ من هو عَدَد[٢] في كل يومٍ يبيدُ وينفد؟ فاستحسنت قوله، فقلت له: هل لك في هٰذا المعنىٰ شيء؟ فقال لي: نعم، ثم أنشدني:

يَـنقُصُ منـي كـلَّ يـومٍ شَـيْ أنـا مـع ذاك صـحيـحٌ حَـيْ
والمـرءُ يُفنيـهِ البِلـىٰ والطَّـيْ وكـم عسىٰ مِن أن يدومَ الغَيْ[٣]
وآخرُ الداءِ العَياءِ الكَيْ[٤]

٦٧٦ ـ وقال طريح بن إسماعيل: شهدتُ أميةَ بن أبي الصَّلت حين حضرته الوفاة، فأُغمي عليه طويلًا، ثم أفاق، ثم رفع رأسه، فنَظر إلىٰ باب البيت، فقال:

لبَّـيْكمـا لبَّـيْكمـا هـا أنـا ذا لـديكمـا
لا قـويٌّ فأنـتـصـر ولا بَـرأةٌ لي ولا عُـذُرْ

(١) أي: وطِّنوا أنفسكم عليه.
(٢) أي: أيامه معدودة.
(٣) الغَي: الضلال.
(٤) العَياء: الشديد.

ثم أغمي عليه، فمكث طويلًا، ثم أفاق، فرفع رأسه فنظر إلىٰ باب البيت، فقال:

لبَّيْكما لبَّيكما ... ها أنا ذا لديكما

لا عشيرتي تحميني ... ولا مالي يُفدِّيني

ثم أغمي عليه، ثم أفاق، فرفع رأسه فقال:

كلُّ عيشٍ وإن تطاوَلَ دهرًا ... سائرٌ مرةً إلىٰ أن يزُولا

ليتَني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي ... في رؤوسِ الجبالِ أرعىٰ الوُعولا[1]

٦٧٧ - وأنشد عمر بن معبد الواعظ:

أنا مِن عَيني وقلبي في بَلَا ... وسَقامي ما له الدهرَ دَوَا

وكتابي من جناياتي مَلَا ... ذهب العُمرُ بلعبٍ وانقضَىٰ

٦٧٨ - وقال ميمونُ بن مِهرانَ: «دخلتُ علىٰ عمر بن عبدالعزيز وعنده سابقُ البَربري وهو يُنشِدُ شعرًا، فانتهىٰ في شعره إلىٰ هٰذه الأبيات:

فكم من صحيحٍ بات للموت آمنًا ... أتته المنايا بغتةً بعدَما هَجَعْ

فلم يستطِعْ إذ جاءه الموتُ بغتةً ... فرارًا ولا منه بقوَّتِه امتنَعْ

فأصبح تبكيهِ النساءُ مقنَّعًا ... ولا يَسمع الداعي وإنْ صوتَه رَفَعْ[2]

وقُرِّبَ مِن لحدٍ فكان مَقِيلَهُ ... وفارَقَ ما قد كان بالأمس قد جَمَعْ

لا يَتركُ الموتُ الغنيَّ لِمالِهِ ... ولا مُعدِمًا في الحال ذا حاجةٍ يَدَعْ

فلم يزلْ عمرُ يبكي ويضطرب حتىٰ غُشي عليه، وقُمنا وتفرَّقْنا».

---

(١) الوعول: تيوس الجبال.

(٢) مقنَّعًا: مغطًّىٰ.

٦٧٩ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدِم وفدُ إيادٍ علىٰ رسول اللَّه ﷺ، فسألهم عن قَسِّ بن ساعدةَ الإيادي، فقالوا: هَلَك ـ يا رسول اللَّه ـ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «لقد شهدتُه في الموسم بعُكاظ، وهو علىٰ جَمَلٍ أحمرَ أو علىٰ ناقةٍ حمراء، وهو ينادي في الناس: أيها الناس، اجتمِعوا واسمعُوا وعُوْا، واتعِظوا تنتفعوا، مَن عاش مات، ومن مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آت، أما بعد، فإن في السماءِ لَخَبرًا، وإن في الأرض لعِبرًا، نجومٌ تغورُ ولا تفور[١]، وبحارٌ تفورُ ولا تغور، وسقفٌ مرفوع، ومهادٌ موضوع، وأنهارٌ ونُبُوع[٢]؛ أَقسَمَ قَسٌّ قَسَمًا باللَّه لا كاذبًا ولا آثِمًا: لتَتَّبِعُنَّ الأمر سخطًا، ولئنْ كان في بعضه رضًا، إن في بعضٍ لسُخطًا، وما هو باللعب، وإن من وراءِ هٰذا لَلْعَجب، أقسَمَ قَسٌّ قسمًا باللَّهِ لا كاذبًا ولا آثمًا: إن للَّهِ دينًا هو أرضىٰ له من دينٍ نحن عليه، ما بالُ الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضُوا فأقاموا؟ أم تُركوا فناموا؟»، قال رسول اللَّه ﷺ: «ثم أنشد قسُّ بنُ ساعدةَ أبياتًا من الشِّعر لم أحفَظْها عنه»، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: أنا حضرتُ ذٰلك المقام، وحفظتُ تلك المقالة، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «ما هي؟»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: قال قَسُّ بن ساعدة في آخر كلامه:

في الذاهبينَ الأوَّلينَ ... مِنَ القرونِ لنا بصائرْ
لمَّا رأيتُ مواردًا ... للموتِ ليس لها مصادِرْ[٣]
ورأيتُ قومي نحوها ... تَمضي الأكابرُ والأصاغرْ
ولا يَرجِعُ الماضي إليَّ ... ولا مِنَ الباقينَ غابِرْ[٤]

---

(١) تغور: تغيب. تفور: تتقلب.
(٢) نُبوع: جمع «نبع».
(٣) أي: ذهابًا لحياض الموت بلا رجوع.
(٤) **الغابر**: الباقي. يقصد: ولا من الباقين في الحياة اليوم أحدٌ سيبقىٰ أبدًا. =

أيقــنــتُ أني لا محــالــةَ حــيث صــار القــومُ صــائـرْ

ثم أقبل رسولُ اللَّه ﷺ على وفد إياد، فقال: «هل وُجد لقَسِّ بن ساعدةَ وصية؟»، قالوا: نعم، وَجدوا له صحيفةً تحت رأسه مكتوب فيها:

يا ناعيَ الموتِ والأمواتُ في جَدَثٍ عليهم من بقايا ثوبِهم خِرَقُ[١]

دَعهُم فإنَّ لهم يومًا يُصاح بهم كما يُنبَّهُ من نَوماتِهِ الصَّعِقُ[٢]

منهم عُراةٌ وموتىٰ في ثيابِهمُ منها الجديدُ ومنها الأورَقُ الخَلِقُ

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي بعثني بالحقِّ لقد آمَن قَسٌّ بالبعث**»[٣].

٦٨٠ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**أكثِرُوا ذِكرَ هادمِ اللذات**»، قالوا: يا رسول اللَّه، وما هادمُ اللذات؟ قال: «**الموت**»[٤].

= واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(١) **الجَدَث**: القبر.

(٢) **الصَّعِق**: النائم.

(٣) **موضوع**: رواه المصنف في «الدلائل» (٢/١٠٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٢١٥٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٦٣١)، والطبراني في «الكبير» (١٢/٨٨)، وفي «الأحاديث الطوال» (٢٢)، وأبو نُعيم في «الدلائل» (٥٥)، والخطيب في «التاريخ» (٣/٨٩)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٢١٣)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٩/٦٩٧): «فيه محمد بن الحجاج اللخمي، وهو كذاب»، وحكم عليه **بالوضع** الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، وكذا الشيخ حسن الداراني في تحقيق «المجمع» (١٩/٤٢٩).

(٤) **حسن**: رواه أحمد (٢/٢٩٢)، والترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (٤/٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وابن حبان (٢٩٩٢)، والحاكم (٤/٣٢١)، والخطيب في «التاريخ» (٩/٤٧٠)، والقضاعي (٦٦٨). وقال الترمذي: «**حسن غريب**»، **وصححه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٣/٣٠١)، والشيخ الألباني في السنن. =

٦٨١ ـ وأنشد أبو هِفَّان الشاعر ـ وقد مرَّ بمقبرة بسامرة ـ:

ألا يا عسكرَ الأحياء ... هٰذا عسكرُ الموتىٰ

أجابوا الدعوةَ الصغرىٰ ... وهم منتظرو الكبرىٰ

يَحُثُّون علىٰ الزا ... د وما زادٌ سوىٰ التقوىٰ

يقولون لكم: جِدُّوا ... فهٰذا غايةُ الدنيا

٦٨٢ ـ وعن بعض الحكماء أنه سُئل: «مَن أنعمُ الناس عيشًا؟ قال: بدنٌ في التراب، قد أمِن العقاب، ينتظرُ الثواب».

٦٨٣ ـ وعن إبراهيمَ بن أدهم قال: مررتُ ببعض بلاد الشام، فرأيتُ مقبرةً، فإذا قبرٌ عالٍ مشرفٌ عليه كتاب، فقرأتُه، فإذا فيه عبرةٌ وكلام حسن:

ما أحدٌ أكرمُ من مفرَدٍ ... في قبرِه أعمالُه تؤنسُهُ

منعَّمٌ في القبر في روضةٍ ... زيَّنها اللّٰه فهي مجلسُهُ

٦٨٤ ـ وعن أنسِ بن مالكٍ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يَتبَعُ المؤمنَ بعد موته ثلاث: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان، ويبقىٰ واحد: يرجع أهله وماله، ويبقىٰ عمله»(١).

٦٨٥ ـ وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّٰه ﷺ: «إن اللّٰهَ عز وجل قال: مَن عادىٰ لي وليًّا فقد بارَزني بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبُّ إليَّ ممَّا افترضتُه عليه، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أُحبَّه؛ فإذا أحببتُه كنتُ سَمعَه الذي يسمعُ به، وبَصَرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي

= **تنبيه**: الحديث مرويٌ بلفظ: «هادم» ـ بالدال ـ، و«هاذم» ـ بالذال ـ.

(١) رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠). وجُلُّ من روىٰ الحديث رواه بلفظ: «الميت» بدلًا من «المؤمن».

يَبطِشُ بها، ورِجلَه التي يمشي بها، ولئِنْ سألني عبدي لأُعطينَّه، ولئنِ استعاذني لأُعيذنَّه، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي عن نفسِ المؤمن؛ يَكرَهُ الموتَ، وأكرهُ مَساءتَه»[1].

٦٨٦ - وقال الجُنيد - في معنىٰ قوله: «يَكرَهُ الموتَ، وأكرهُ مَساءتَه» -: «لِمَا يَلقَىٰ من عِيانِ الموت وصُعوبته وكُرَبه، ليس أني أكرهُ له الموت؛ لأن الموتَ يورِدُه إلىٰ رحمتِه ومغفرتِه».

٦٨٧ - وعن عائشةَ ﵂ أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «قال ﷻ: مَن آذىٰ لي وليًّا فقد استحلَّ مُحاربتي، وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثلِ أداءِ فرائضي، وإنَّ عبدي ليتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ عينَه التي يبصرُ بها، وفؤادَه الذي يَعقِلُ به، ولسانَه الذي يتكلمُ به، إن دعاني أجبتُه، وإن سألني أعطيتُه، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن موته، إنه يَكرهُ الموتَ، وأنا أكرهُ مَساءته»[2].

٦٨٨ - وسُئل أبو عثمان الحِيري عن معنىٰ هٰذا الخبر، فقال: «معناه: كنتُ أُسرِعُ إلىٰ قضاءِ حوائجِه من سمعِه في الاستماع، وبصرِه في النظر، ويدِه في اللمس، ورِجلِه في المشي»[3].

٦٨٩ - وقال ذو النون: «قال اللَّه تعالىٰ: مَن كان لي مطيعًا كنتُ له

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٦/٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٤٥)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/٥) - مختصرًا -، والطبراني في «الأوسط» (٩٣٥٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٥٧)، وابن شاهين في «الترغيب» (٢٨٦) - مختصرًا -، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٣/٢٦١).

(٣) معنًى مقبول، لٰكنَّ الأظهرَ أن المقصودَ منه توفيقُه في كل خطوةٍ يخطوها. واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

وليًّا، فلْيَثق بي، وليحكم عليَّ[١]، فوعزتي لو سألني زوالَ الدنيا لأزلتُها له».

٦٩٠ ـ وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن اللَّهَ عز وجل يقول: «ما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبَّه، فأكونَ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصِرُ به، ولسانَه الذي ينطقُ به، وقلبَه الذي يعقلُ به، وإذا دعاني أجبتُه، وإذا سألني أعطيتُه، وإذا استنصرني نصرتُه. وأَحَبُّ ما تعبَّد به عبدي النصح لي». وفي رواية: «وأعبد ما يتعبَّدُ به النصح لي»[٢].

٦٩١ ـ وعن جَرير بن عبداللَّه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن يتزوَّدْ في الدنيا يَنفعْه في الآخرة»[٣].

٦٩٢ ـ وعن مجاهدٍ ـ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] ـ، قال: «أن تعملَ في دنياك لآخِرَتِك».

٦٩٣ ـ وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «ما مِن خارج يَخرُجُ إلا ببابه رايتان: رايةٌ بيدِ مَلَك، ورايةٌ بيدِ شيطان، فإنْ خَرج بما يُحبُّ اللَّهُ اتَّبَعه المَلَكُ برايته، فلا يزال تحتَ رايةِ المَلَكِ حتىٰ يرجعَ إلىٰ بيته. وإن خرج بما يُسخِطُ اللَّهَ اتبعَه الشيطان، فلا يزالُ تحتَ رايةِ الشيطان

---

(١) أي: يطلب مني ما يشاء، وعليَّ إبرار مراده وإمضاؤه.

(٢) **ضعيف جدًّا**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٠٤)، وأحمد (٥/٢٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/١٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥١٥)، وهٰؤلاء رووه مختصرًا علىٰ جملة النصر، ورواه بطوله الطبراني في «الكبير» (٨/٢٠٦)، وسكت عليه الهيثمي في «المجمع» (٢/٢٤٧). **وضعَّفه جدًّا** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٦/٥٢٩)، **وضعَّفه** الشيخ الداراني في تحقيق «المجمع» (٥/٦٢٥).

(٣) **ضعيف**: وقد تقدم برقم (٤٥٤).

حتىٰ يرجعَ إلىٰ بيته»[(١)].

٦٩٤ ـ وعن عَمرو بن عبَسةَ السُّلَمي رضي الله عنه قال: أتيتُ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم، فقلت: مَن بايعَك علىٰ هٰذا الأمر؟ قال: «**حُرٌّ وعبدٌ**»، قلت: فأيُّ الأعمالِ أفضل؟ قال: «**الصبرُ والسَّماحةُ وحُسنُ الخُلق**»، قلت: فأيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «**الفقهُ في دين اللَّه، والعملُ في طاعة اللَّه، وحُسنُ الظنِّ باللَّه**»، قلت: فأي المسلمين أفضل؟ قال: «**مَن سَلِمِ المسلمون من لسانِهِ ويدِه**»، قلت: فأي العملِ أحبُّ إلىٰ اللَّه عز وجل؟ قال: «**إطعامُ الطعام، وإفشاءُ السلام، وطِيبُ الكلام**»، قلت: فأيُّ الصلاة أفضل؟ قال: «**الصلاةُ لوقتِها، وطولُ القنوت، وحُسنُ الركوعِ والسجود**»، قلت: فأيُّ الهجرةِ أفضل؟ قال: «**أن تَهجرَ ما كَرِهَ اللَّه**»، قلت: فأي ساعات الليل أفضل؟ قال: «**جوفُ الليلِ الآخِر؛ فإن اللَّهَ يَفتحُ فيه أبوابَ السماء، ويطَّلعُ فيه إلىٰ خلقِه، ويستجيبُ فيه الدعاء**»[(٢)].

ويُشبهُ أن يكون سؤالُه إياه عن الأعمال بعدما لحِق بقومه، ثم عاد بعد ظهور الإسلام ونزولِ شرائعه، وباللَّهِ التوفيق.

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢/٣٢٣)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٨٣)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع»: «فيه عبدالرَّحمٰن بن أبي الزناد؛ وثقه مالك، وضعفه أحمد ويحيىٰ في رواية». **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (١٤/٤٢)، والشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢/٦٥).

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٤/٣٨٥)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط وأصحابه: «قوله: أي الساعات أفضل؟ قال: «**جوف الليل الآخر**» صحيح، وقوله في أفضل الإيمان وأفضل الصلاة وأفضل الهجرة وأفضل الجهاد، صحيح لغيره» اهـ. «تحقيق المسند» (٣٢/١٧٨).

قلتُ: وجُلُّ فقرات الحديث ثابتةٌ في روايات أخرىٰ. وانظر رواية منها عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه في «صحيح مسلم» (٧٠٦)، فيها بعض ما هنا.

٦٩٥ ـ وقال قتادة: «مكتوبٌ في التوراة: ابنَ آدم، أرزقُك وتعبدُ غيري! ابنَ آدم، تعمل بعمل الفجَّار، وتبتغي ثوابَ الأبرار! ابنَ آدم، أتجتني من الشوك العِنب[١]؟ كما تدينُ تدان، كما تزرعُ تحصُد. ابن آدم، كما تَرحمُ تُرحَم. ابنَ آدم، كيف ترجو رحمةَ اللَّه، وأنت لا ترحمُ عباده؟ ابن آدم، تدعو إليَّ وتنفِرُ مني!».

٦٩٦ ـ وقال عليٌّ رضي الله عنه: «ليس الخيرُ أن يكثُرَ مالُك وولدُك، ولٰكنَّ الخيرَ أن يكثُرَ عملُك، وأن يَعظُمَ حلمُك، وأن تُبادرَ[٢] في عبادةِ ربِّك، ولا خيرَ في الدنيا إلا لأحدِ رجلين: رجلٍ أذنب ذنوبًا فهو يتدارَكُ ذنوبَه بالتوبة، أو يسارعُ في دار الآخرة، ولا يَقِلُّ [عملٌ مع] التقوىٰ، وكيف يَقِلُّ ما يُتقبل؟».

٦٩٧ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «**ما أنكرتُم من زمانكم فبما غيَّرتُم من أعمالكم، إن يكُ خيرًا فواهًا وآهًا، وإن يك شرًّا فآهًا آهًا**»، هٰكذا سمعت من نبيِّكم ﷺ[٣].

٦٩٨ ـ وعن أبي قلابة قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**البِرُّ لا يَبلَىٰ، والإثمُ لا يُنسىٰ، والديَّانُ لا ينام، فكن كما شئت؛ كما تَدينُ تُدان**»[٤].

---

(١) يقصد: هل يُخرج الخير من الشر؟

(٢) **تُبادر**: تسارع.

(٣) **ضعيف**: رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٥/٢٤٩)، وقال المصنف ـ هنا ـ بعد تخريجه: «لا أعلمه إلا من هٰذا الوجه، وهو متن غريب، تفرد به هٰذا العُقيلي»، وظاهر كلام الإمام العراقي في «الإحياء» (٤/٢١): أنه موضوع، بينما **حسَّنه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٠٠)، و**ضعَّفه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/١٩٥).

(٤) **ضعيف**: رواه عبدالرزاق في «المصنَّف» (١١/١٧٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٩)، وابن الجوزي في «ذم الهوىٰ» (٢١٠)، وهو **ضعيف** للإرسال. =

٦٩٩ ـ وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، قال: «مِن الطاعة والمعصية؛ عرضها على السماوات والأرض والجبال، ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، وعرضها على آدم عليه السلام، فقال: هل أنت آخذُها بما فيها؟ قال: وما هي؟ قال: إن أحسنتَ جُزيت، وإن أسأت عُوقبت؟ قال: نعم».

٧٠٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثَنا رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**أنه مَن عمل حسنةً كَتب اللَّهُ له ألفَ حسنة**»، وقرأ: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء]، «**والعظيم الجنة**»[1].

٧٠١ ـ وعن أبي عثمانَ النَّهديِّ قال: بلغني أن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنَّ اللَّهَ عز وجل يُضاعفُ للمؤمنِ منَ الحسنة**»، فانطلقت، فلقيت أبا هريرة فقلت: بلغني أنك تقول: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «**يضاعِفُ اللَّهُ للمؤمن الحسنةَ ألفَ ألفِ حسنةٍ**»؟ قال: لا؛ بل سمعتُه يقول: «**بالحسنة ألفَيْ ألفِ حسنةٍ**»، ثم تلا هٰذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء]؛ فما تدري قَدْرَ ما قال اللَّهُ العظيم[2].

= وروواه ابن عدي في «الكامل» (٣٥٠/٧)، والديلمي في «الفردوس» (١٩/١/٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. **وضعَّف** الطريقين الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤/ ٧٧) و(١٢٢/٩).

وقد ورد الحديث من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه: رواه ابن أبي شيبة (١١٠/٧)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٩٩/١٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٢١١/١).

وأورده أبو نُعيم في «الحلية» ـ أيضًا ـ (٣٧٩/٥)، عن كعب الأحبار رحمه الله أنه ورد في الكتب السابقة، وهو أشبه، واللَّهُ تعالى أعلم.

(١) انظر الآتي.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٥٢١/٢)، وابن أبي شيبة (١٢٧/٧)، والطبري (٩١/٥)، =

٧٠٢ ـ وعن سعدِ بن أبي وقاص ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ التؤدةَ في كل شيءٍ خيرٌ إلا في عمل الآخرة**»[(١)].

٧٠٣ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**ما من أحدٍ يموتُ إلا ندم**»، وقالوا: وما ندامتُه ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**إنْ كان محسنًا نَدِمَ ألَّا يكونَ ازداد، وإن كان مسيئًا ندم ألَّا يكون نَزَع**[(٢)]»[(٣)].

٧٠٤ ـ وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا تزولُ قدمُ ابنِ آدمَ يوم القيامة حتىٰ يُسأل: عن عُمرِك فيما أفنيتَه؟ وعن شبابك فيما أبليتَه؟ وعن مالِك من أين اكتسبته وفيما أنفقته؟ وما عمِلتَ فيما علِمتَ؟**»[(٤)].

= وابن أبي الدنيا في «التوبة» (١١)، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٢٨/١٣)، وراجع لفظ الحديث في هٰذه المصادر.

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٨١٠)، وأبو يعلىٰ (٧٩٢)، والمصنف في «الكبرىٰ» (١٩٤/١٠)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٩٤ ـ تهذيبي)، والحاكم (٦٣/١)، **وصحَّحه، ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٠٩)، وقد مال الحافظ المنذري إلىٰ **تضعيف** الحديث في تعليقه علىٰ سنن أبي داود، **وأقرَّه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه (١٨٧/٧).

(٢) **نزع**: تاب ورجع.

(٣) **ضعيف جدًّا**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣)، والتِّرمذي (٢٤٠٣)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١٧٨/٨)، وابن عدي في «الكامل» (٢٦٦٠/٧)، **وضعَّفه جدًّا** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي (٤٠٩/٤).
قلت: والمعنىٰ صحيحٌ تمامًا تشهد له أدلةٌ كُثُر.

(٤) **حسن**: رواه التِّرمذي (٢٤١٦)، وأبو يعلىٰ (٥٢٧١)، والبزار (١٤٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٨/١٠)، وفي «الأوسط» (٧٥٧٦)، و«الصغير» (٧٦٠)، والمصنف في «الشُّعَب» (١٦٤٧)، وابن عبدالبر في «جامع العلم» (١٦٠٥)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حديث غريب**»، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي، **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط عند التِّرمذي ـ أيضًا ـ، لٰكنه بيَّن أن حديث أبي برزة ـ الذي =

٧٠٥ ـ وعن أبي سعيدٍ ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقولُ اللَّهُ** ﷻ: **لو أطاعوني عبادي، لأَطلعتُ عليهم الشمسَ بالنهار، ولأمطرتُ عليهم المطرَ بالليل، ولَمَا أسمعتُهم صوتَ الرعد**[1]»[2].

٧٠٦ ـ وقال أبو وائل: «نِعمَ الربُّ ربُّنا؛ لو أطعناه ما عصانا[3]».

٧٠٧ ـ وقال مالكُ بن دينار: «قال لقمانُ لابنه: يا بُني، اتخِذْ طاعةَ اللَّه تجارة، تأتك الأرباحُ من غير بضاعة[4]».

٧٠٨ ـ وقال حذيفة ﵁: «مَن أراد أُنسًا بلا جماعة، وعِزًّا بلا عَشيرة؛ فلْيَتَّخِذْ طاعةَ اللَّه بضاعة».

٧٠٩ ـ وقال الشِّبلي: «أطِعِ اللَّهَ يُطِعْكَ كلُّ شيء».

٧١٠ ـ وقال إبراهيمُ بن أدهم: «أثقلُ الأعمال في الميزان أثقلُها علىٰ الأبدان[5]، ومَن وفَّىٰ العملَ وُفِّي له الأجر، ومَن لم يعمل رَحل من الدنيا

= أخرجه التِّرمذي في إثره ـ يغني عنه، وهو حديث معناه مقاربٌ جدًّا. فانظر: «تحقيق سنن التِّرمذي» (٤/٤١٨ ـ ط: الرسالة).

(١) وقد أورد الإمام ﵀ نحوًا من هٰذا الأثر من رواية أبي هريرة ﵁، وحذفته للتكرار.

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٢/٣٥٩)، والطيالسي (٢٥٨٦)، وعبد بن حميد (١٤٢٤)، والبزار (٦٦٤)، والحاكم (٤/٢٥٦)، **وصحَّحه**، وردَّه الذهبي لضعف «صدقة ابن موسىٰ»، وكذا فعل الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٤/٣٢٧)، والشيخ الألباني في «الضعيفة» (٨٨٣)، و«ضعيف الجامع» (٤٠٦٢).

(٣) لو قال: «لو أطعناه لاستجاب لنا، لكان أجمل».

(٤) **البضاعة**: سلع التجارة.

(٥) ليس هٰذا بمطرد، فرُبَّ عمل لا يرهق البدن يكون أعلىٰ أجرًا مما هو أشقُّ منه. وانظر بحثًا قيمًا حول هٰذه المسائل في كتاب: «يُسر الشريعة، المعالم والضوابط»، للشيخ عبدالعزيز بن محمد العويد.

إلىٰ الآخرة بلا قليلٍ ولا كثير».

٧١١ ـ وقال أحمدُ بن حنبل: «الدنيا دارُ عمل، والآخرةُ دار جزاء، فمَن لم يعمل هنا نَدِم هناك».

٧١٢ ـ وقال يحيىٰ بنُ معاذ: «مَن سُرَّ بخدمةِ اللَّه، سُرَّتِ الأشياءُ كلُّها بخِدمته، ومن قرَّت عينُه باللَّه، قرَّت عيونُ كل شيءٍ بالنظر إليه».

٧١٣ ـ وقال أبو سليمانَ الداراني: «مَن أحسن في نهاره كُوفئ في ليلِه، ومَن أحسن في ليله كُوفئ في نهاره، ومَن صَدَق في ترك شهوةٍ ذَهب اللَّهُ بها من قلبه، واللَّهُ أكرمُ من أن يعذِّبَ قلبًا بشهوةٍ تُركت له».

٧١٤ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «مَن صدق كُوفي، ومَن أحسن عوفي».

٧١٥ ـ وعن أبي سعيد الخرَّاز قال: «مَن ظنَّ أنه ببذل المجهود يصِل فمتعنٍّ[(١)]، ومَن ظن أنه بغير بذلِ المجهودِ يصل فمُتمنٍّ[(٢)]».

٧١٦ ـ وقال أبو عثمان المغرِبي: «مَن ظنَّ أنه يُفتح عليه شيءٌ من هٰذا الطريق، أو يُكشفُ له عن شيءٍ منه إلا بلزوم المجاهدة؛ فهو علىٰ غلط».

٧١٧ ـ وقال الجُنيد: «بابُ كلِّ علمٍ نفيس جليل: بذلُ المجهود، وليس مَن طَلَب اللَّهَ ببَذلِ المجهود كمن طَلَبَه من طريق الجُود[(٣)]».

٧١٨ ـ وقال محمدُ بن خفيف: «سألت رُويمَ بن أحمد؛ فقلتُ له:

---

(١) **متعنٍّ**: متعبٌ نفسه. ولم يقصد بالطبع عدم المجاهدة، وإنما قصد أن يجاهد العبد في نيل مراضي اللَّهِ ﷻ، ثم يعلم ـ أيضًا ـ أنه لن يدخل الجنة بعمله، وإنما بفضل ربه ورحمته، كيف وعمله الصالح أصلًا من نعمة اللَّه ﷻ عليه وكرمه وإحسانه!

(٢) وكما قال أرباب القلوب: «الأمانيُّ رأس أموال المفاليس».

(٣) أي: كمن طلب اللَّه اعتمادًا علىٰ جوده وكرمه دون بذل الجهد للوصول لذٰلك، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

أوصِني، فقال: أقلُّ ما في هٰذا الأمر بذلُ الروح؛ فإن أمكنك الدخولُ فيه مع هٰذا؛ وإلا فلا تشتغِلْ بترَّهاتِ الصوفية».

٧١٩ ـ وسمعت أبا عبدِالرَّحمٰن يقول: سمعت جدي أبا عمرو يقول: «مَن كرُمت عليه نفسُه، هان عليه دينُه[(١)]».

٧٢٠ ـ ووعظ أعرابيٌّ قومًا، فقال: «رحِم اللَّهُ امرأً كان قويًّا، فاستعمل قوَّتَه في طاعة اللَّه، وكان ضعيفًا فعَجَز عن معاصي اللَّه».

٧٢١ ـ وكان سفيانُ الثوري يكتب إلىٰ إخوانه بأربعة أحرُف: «ذِلَّ عند الطاعة، واستعصِ عند المعصية[(٢)]، وجالِسِ الناسَ علىٰ قدْرِ تقواهم، ولا تَصلحُ القراءةُ[(٣)] إلا بالزهد».

٧٢٢ ـ وعن لقمانَ أنه قال لابنه: «يا بُني، إذا فعلتَ الخير فارْجُ الخير، وإذا فعلتَ الشر فلا تشكَّ أن يُفعَلَ بك الشر»[(٤)].

٧٢٣ ـ وعن الحسن أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**أرأيتُم لو كان لأحدِكم عبدانِ، فكان أحدُهما يُطيعُه إذا أَمَره، ويؤدِّي إليه إذا ائتمَنَه، وينصحُ له إذا غاب عنه، وكان الآخَرُ يَغضَبُ إذا أَمَره، ويَخُونه إذا ائتمَنَه، ويَغُشُّه إذا غاب عنه؛ كانا عنده سواءً؟**»، قالوا: لا، قال: «**فكذٰلك أنتم عند اللَّه** ﷻ»[(٥)].

---

(١) نعم ـ واللَّهِ ـ؛ فمن كرُمت عليه نفسُه وخاف من طعن الخلق فيه، فلن يقف عند حدود اللَّه تعالىٰ كما يجب، خشيةً من غمزهم ولمزهم، وكذا لن يأمرهم بمعروفٍ ولن ينهاهم عن منكر حتىٰ لا يكرهوه ويَنفروا منه.

(٢) أي: كن صلبًا لا تسقط في المعصية بسهولة.

(٣) القراءة: العلم.

(٤) يقصد إذا فعلت الخير أو الشر مع الناس. أما مع اللَّه ﷻ فإذا فعلت الشر، فتُب إليه تجد كل خيرٍ وكرمٍ وإحسان.

(٥) حسن لغيره: فهو مرسل ـ كما ترىٰ ـ، وكذا بيَّن الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (١/٢١٨). =

٧٢٤ ـ وقال كلثومُ بن عياض القُشيري: «مَن آثَرَ اللَّهَ آثَره اللَّه، فرحمَ اللَّهُ عبدًا استعان بنعمتِه علىٰ طاعته، ولم يَسْتَعِنْ بنعمتِه علىٰ معصيتِه، فإنه لا يأتي علىٰ صاحب الحسنةِ ساعةٌ إلا وهو مُزادٌ صنفًا من النعيم لا يكون يعرفُه، ولا يأتي علىٰ صاحب العذاب ساعةٌ إلا وهو مستنكِرٌ

= ويشهد لمعناه ما ثبت عن أبي الأحوص، عن أبيه ﵁ قال: أتيت النبي ﷺ، فصعَّد فيَّ النظر وصوَّب، وقال: «**أرَبُّ إبلٍ أنت أو ربُّ غنم؟**»، قال: من كلٍّ قد آتانيَ اللَّهُ، فأكثر وأطيب، قال: «**فتُنتجها وافيةً أعينُها وآذانُها، فتجدع هٰذه، فتقول: صرمًا** ـ ثم تكلم سفيان [بن عيينة] بكلمةٍ لم أفهمها ـ، **وتقول: بَحِيرةُ اللَّه؟ فساعِدُ اللَّهِ أشدُّ، ومُوساه أحَدُّ، ولو شاء أن يأتيَك بها صُرُمًا أتاك**». قلت: إلىٰ ما تدعو؟ قال: «**إلىٰ اللَّه وإلىٰ الرحم**». قلت: يأتيني الرجلُ من بني عمي، فأحلف ألَّا أعطيَه ثم أعطيه؟ قال: «**فكفِّرْ عن يمينك، وأتِ الذي هو خيرٌ. أرأيتَ لو كان لك عبدانِ؛ أحدُهما يطيعُك ولا يخونُك ولا يَكذِبُك، والآخرُ يخونُك ويَكذِبُك؟**»، قال: قلت: لا، بل الذي لا يخونُني ولا يكذبني، ويصدقني الحديث أحبُّ إليَّ. قال: «**كذاكم أنتم عند ربكم** ﷿». **صحيح**: رواه أحمد (١٣٦/٤)، والطبراني في «الكبير» (٦٢٢/١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٠٣)، والحُميدي (٨٨٣)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٦٥/٢٨).

وقوله: «**بحيرة اللَّه**»: البحيرة من مفتريات الكفار علىٰ اللَّه تعالىٰ:

- فقيل: هي البهيمةُ التي يُمنعُ لبنُها علىٰ الناس تقرُّبًا للطواغيت.
- وقيل: هي الناقة المشقوقةُ الأذُن. ويشهد له هٰذا الحديث.
- وقيل: هي التي تُركت بلا راعٍ.
- وقيل: هي ابنةُ السائبة . الآتيَ ذكرها . .
- وقال ابن عُزيز: البحيرة: الناقة إذا نُتِجت خَمْسةَ أبطن، فإن كان الخامسُ ذَكَرًا نحروه، فأكله الرجالُ والنساء، وإن كان الخامس أنثىٰ بَحَروا أذنَها ـ أي: شقُّوها ـ، وكانت حرامًا علىٰ النساء لحمُها ولبنُها، فإذا ماتت حلَّت للنساء.

وقوله: «**صُرُمًا**»: مقطوعةُ الأذن.

لشيءٍ من العذاب لا يكونُ يعرفه».

٧٢٥ ـ وعن عبداللَّه بن جَرَاد ﷺ أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «اطلُبوا الخيرَ دهرَكم، واهرَبوا من النار جهدَكم، فإن الجنةَ لا ينامُ طالبُها، وإن النارَ لا ينامُ هاربُها، وإن الآخرةَ مُحَفَّفةٌ بالمكاره[(١)]، وإن الدنيا مُحَفَّفةٌ باللذاتِ والشهوات؛ فلا تُلهيَنَّكم شهواتُ الدنيا ولذاتُها عن الآخرة، إنه لا دنيا لمن لا آخرةَ له، ولا آخرةَ لمن لا دنيا له، إن اللَّهَ قد أبلَغَ في المعذرة، وبَلَغ الموعظة[(٢)]، إن اللَّهَ قد أحلَّ كثيرًا طيبًا لكم فيه سَعَة، وحرَّم خبيثًا؛ فاجتنبوا ما حرَّم عليكم، وأطيعوا اللَّهَ؛ فإنه لن يُحِلَّ اللَّهُ شيئًا حرَّمه، ولن يُحرِّمَ شيئًا أحلَّه، وإنه من تَرك الحرام، وأَكل الحلالَ أطاع الرَّحمٰن، واستمسَكَ بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها، واجتمعتْ له الدنيا والآخرة؛ هٰذا لمن أطاع اللَّه ﷻ»[(٣)].

٧٢٦ ـ وقال حاتمٌ الأصم: «الجهادُ ثلاثةٌ: جهادٌ في سِرِّك مع الشيطان حتىٰ تكسِرَه، وجهادٌ في العلانية في أداءِ الفرائض؛ حتىٰ تؤديَها كما أَمر اللَّه، وجهادٌ مع أعداء اللَّه في عزِّ الإسلام[(٤)]».

٧٢٧ ـ وقال ذو النون: «طوبىٰ لمن تطهَّر ولزم الباب[(٥)]، طوبىٰ لمن تضمَّر للسباق[(٦)]، طوبىٰ لمن أطاع اللَّه أيامَ حياته».

---

(١) جاء هنا جملة: «**وحصر مواردها النوم**»! والظاهر أنها مقحمة، ولم أرها في «كنز العمال»، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) أي: كانت مواعظة نهايةً في البلاغة وإقامة الحجة.

(٣) **ضعيف جدًّا**: ذكره صاحب «كنز العمال» (٤٣٥٩٧)، عازيًا إياه لابن صَصْرَىٰ في «أماليه»، وأورده الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٤٨٩)، من رواية المصنف في «الزهد» ـ فقط ـ، وقال: «**ضعيف جدًّا**».

(٤) أي: في نصرة دين اللَّه ﷻ.

(٥) يقصد: الصلاة.

(٦) **تضمَّر**: جاع. والمقصود: صام.

٧٢٨ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «مَن صحَّح استراح[١]، ومن تقرَّب قُرِّب، ومن صَفَّىٰ صُفِّي له، ومن توكَّل وَثِق، ومن تكلَّف ما لا يعنيه ضيَّع ما يعنيه».

٧٢٩ ـ وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ: «بمَ يَعرفُ العارفون ربَّهم عَزَّ وَجَلَّ؟ قال: إن كان شيءٌ، فبقطعِ الطمعِ، والإشرافِ[٢] منهم علىٰ الإياس[٣]؛ مع التمسُّكِ منهم بالأحوال التي أقامهم عليها، وبذلُ المجهودِ من أنفسهم، وما وصلوا بعدُ إلىٰ اللَّه إلا باللَّه».

٧٣٠ ـ وقال أبو سعيد الخرَّاز: «علامةُ العبودية ثلاث: الوفاءُ للَّه علىٰ الحقيقة، والمتابعةُ للرسول ﷺ في الشريعة، والنصيحةُ لجميع الأمة».

٧٣١ ـ وقال ابن عطاء: «العبوديةُ في أربع خصال: الوفاءُ بالعهود، والحفظُ للحدود، والرضا بالموجود، والصَّبرُ عن المفقود».

٧٣٢ ـ وسُئل سهلٌ التُّستَري: «متىٰ يكون العبدُ عبدًا؟ قال: إذا رضي باللَّهِ وباختيارِه له».

٧٣٣ ـ وقال الجُنيدُ بن محمد: «سرعةُ الغضب، واحتقارُ الفقر[٤]، وحبُّ المنزلة؛ كلُّ ذٰلك من حب النفس، وهو خَلعُ العبودية، ومنازعةُ الربوبية».

٧٣٤ ـ أخبرنا أبو عبدالرَّحمٰن قال: «سُئل جدي إسماعيل: ما الذي

---

(١) أي: من صحح معاملته مع ربه استراح من كل سوء.

(٢) في المطبوع: «الإسراف»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

(٣) **الإياس**: اليأس. ويكون المعنىٰ ـ علىٰ ما صححته ـ أنهم يقطعون الطمع في الناس، وييأسون مما عندهم اعتمادًا وتوكُّلًا علىٰ فضل ربِّهم، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٤) المقصود: سرعة الغضب لغير اللَّه جَلَّ جَلَالُهُ، ولغير ما هو مباح شرعًا. والمقصود من احتقار الفقر: عدم الرضا بقضاء اللَّه تعالىٰ، وهٰذا لا يمنع أن يسعىٰ من يريد الغنىٰ في طلب الأسباب المشروعة.

لابد للعبدِ منه؟ قال: ملازمةُ العبودية علىٰ السُّنة، ودوامُ المراقبة».

٧٣٥ ـ وقال أبو العباس بن عطاء: «مَن ألزم نفسه آدابَ السُّنة نوَّر اللَّهُ قلبَه بنور المعرفة، ولا مقامَ أشرفُ من مقام متابعةِ الحبيب ﷺ في أوامره وأفعالِه وأخلاقه، والتأدُّبِ بآدابه قولًا وفعلًا وعزمًا وعقدًا ونيةً».

٧٣٦ ـ وكتب أبو عثمان إلىٰ الشاه يسأله: «ما الذي لابد للعبدِ منه؟ فكتب: أما في الجملة فاللَّهُ ـ تعالىٰ ذِكرُه ـ لابد منه، وأما في الآداب: فاتباعُ كتابه، واعتناقُ[1] سُنةِ رسوله ﷺ، والاشتغالُ في كل وقتٍ بما هو أولىٰ بك من آداب خدمته، وتركُ السكون إلىٰ النفس والاغترارِ بخِدعتها، ودوامُ مراقبة القلب فيما يخصُّ ويَعُمُّ، والجهدُ في طلب الحلال؛ فإنه أُسُّ الأمر وعمودُه، وتركُ الركون إلىٰ البطَّالين».

٧٣٧ ـ وقال بعضُهم: «صفةُ عباد اللَّه: أن يكونَ الفقرُ كرامتَهم، وطاعةُ اللَّه حلاوتَهم، وحبُّ اللَّه لذَّتَهم، وإلىٰ اللَّه حاجتُهم، والتقوىٰ زادُهم، ومع اللَّه تجارتهم، وعليه اعتمادُهم، وبه أُنسُهم، وعليه توكُّلُهم، والجوعُ طعامُهم، والزهدُ ثمارُهم، وحُسنُ الخُلق لباسُهم، وطلاقةُ الوجه حِليتُهم، وسخاوةُ النفس حِرفتُهم، وحُسنُ المعاشرة صحبتُهم، والعلمُ قائدُهم، والصبرُ سائقهم، والهدىٰ مركبُهم، والقرآنُ حديثُهم، والشكرُ زِينتُهم، والذِّكرُ نَهْمتُهم، والرضا راحتهم، والقناعةُ مالُهم، والعبادةُ كَسبُهم، والشيطانُ عدوُّهم، والدنيا مزابلُهم، والحياءُ قميصُهم، والخوفُ سجيَّتُهم، والنهارُ عِبْرتُهم، والليلُ فكرتُهم، والحكمةُ سَيفُهم، والحقُّ حارسُهم، والحياةُ مرحلتُهم، والموتُ منزلُهم، والقبرُ حِصنُهم، والفِردوسُ مَسكنُهم، والنظرُ إلىٰ رب العالمين مُنيتُهم، هم خواصُّ عبادِ اللَّه الذي قال اللَّه تعالىٰ [فيهم]: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ

(١) **الاعتناق**: الملازمة.

قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ [الفرقان]».

٧٣٨ ـ وقال الجُنيد: «إنك لن تكون على الحقيقةِ له عبدًا، وشيءٌ مما دونه لك مُسترِقًّا[(١)]، وإنك لن تصلَ إلىٰ صريح الحرية، وعليك من حقيقةِ عبوديته بقية، وإذا كنتَ له وحده عبدًا كنت مما دونه حرًّا».

٧٣٩ ـ وقال رجلٌ لأبي عبداللّه السوانيطي: «عِظني، فقال: مدارُ العبودية علىٰ ستةِ أشياء: التعظيم، والحياء، والخوف، والرجاء، والمحبة، والهَيبة، فمِن ذِكر التعظيم يَهِيجُ[(٢)] الإخلاص، ومِن ذِكرِ الحياء يكون العبدُ علىٰ خطراتِ قلبه حافظًا، ومِن ذِكرِ الخوف يتوبُ العبدُ من الذنوب، ومِن ذِكرِ الرجاء يتسارعُ إلىٰ الطاعات، ومِن ذِكرِ المحبةِ تصفو له الأعمال، ومِن ذِكرِ الهيبة يدعُ التملُّكَ والاختيار[(٣)]».

٧٤٠ ـ وقال أبو عمرو ـ جد محمد بن الحسين ـ: «مَن أراد أن يعرف قدْرَ معرفته باللّه، فلْيَنظرْ قَدْرَ هيبتِه له وقتَ خدمته».

٧٤١ ـ وقال: «التهاونُ بالأمر من قلةِ المعرفة بالآمر».

٧٤٢ ـ وسأل رجلٌ أبا بكر الشِّبلي: «لم سُمُّوا: «صوفية»؟ قال: لمصافاةٍ أدركتهم من الحق، فصَفَوا، فمن صَفا فهو صوفي[(٤)]».

٧٤٣ ـ وسُئل أبو سهل ـ محمَّدُ بن سليمان ـ: «ما التصوف؟ قال: الإعراضُ عن الاعتراض[(٥)]».

---

(١) **الرِّق**: العبودية. والمقصود: لن تكون عبدًا للّهِ تعالىٰ ـ كما يريد سبحانه ـ، وهناك شيءٌ ذَلَلتَ له وصرتَ عبدًا بين يديه، كالشهوات المرفوضة ونحو ذٰلك.

(٢) **يهيج**: يثور ويخرج.

(٣) أي: يرضىٰ بما قسمه اللّهُ له.

(٤) فيه نظر من ناحية الاشتقاق؛ فإن من كان هٰكذا سُمِّي: «الصَّفِّي» ـ لا الصوفي ـ؛ وانظر التفاصيل في «مجموع الفتاوىٰ»، مطالع الجزء (١١).

(٥) يقصد التسليم للّهِ تعالىٰ.

٧٤٤ـ عن أبي الحسن البُوشَنْجي قال: «التصوفُ عندي فراغُ القلب، وخلوُّ اليدين، وقلةُ المبالاة بالأشكال[(١)]، فأما فراغُ القلب ففي قول اللَّه ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨][(٢)]، وخلوُّ اليدين لقوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وقلةُ المبالاة في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]».

٧٤٥ـ وقال أبو الحسن ـ يحيىٰ بن الحُسين ـ القاهري: «قدمتُ مصر، فجئتُ إلىٰ حلقة ذي النون، فرآني وفيَّ استظهارٌ علىٰ الحاضرين[(٣)]، فقال لي: لا تفعل؛ فإن اللَّهَ تعالىٰ أخفىٰ ثلاثًا في ثلاث: أخفىٰ غضبَه في معصيته، وأخفىٰ رضاءَه في طاعته، وأخفىٰ ولايتَه في عباده؛ فلا تَحقِرَنَّ شيئًا من معاصيه؛ فلعلَّه أن يكون فيه غضبُه، ولا تحقِرنَّ شيئًا من طاعته؛ فلعلَّه يكون فيه رضاؤه، ولا تحقرنَّ أحدًا من خلق اللَّه؛ فلعله أن يكون وليًّا من أوليائه[(٤)]».

٧٤٦ـ وقال رجلٌ لحاتم الأصم: «ما تشتهي؟ قال: أشتهي عافيةَ يوم إلىٰ الليل، فقلت له: أليست الأيامُ كلُّها عافية؟ فقال: إن عافيةَ يومٍ ألَّا أَعصيَ اللَّهَ فيه»[(٥)].

٧٤٧ـ وقال الجُنيد لرجلٍ وهو يعظُه: «جِمَاعُ الخيرِ كلِّه في ثلاثة أشياء: إن لم تُمضِ نهارك بما هو لك، فلا تُمضِه بما هو عليك، وإن لم تصحبِ الأخيار فلا تصحَبِ الأشرار، وإن لم تُنفق مالَكَ فيما للَّه فيه

(١) يقصد عدم الاهتمام بالناس.

(٢) ففراغ القلب نابع من خلوِّ أيديهم من تلك المذكورات.

(٣) أي: نوع عُجبٍ وترفُّعٌ علىٰ الآخرين.

(٤) هٰذا إن لم يَظهر منه القبيح، فمَن أظهر القبيح للخلق، فلا يلومن من أساء به الظن ـ كما ورد عن الفاروق رضي الله عنه ـ.

(٥) نعم واللَّه؛ فكلُّ يومٍ لا يُعصىٰ اللَّهُ فيه فهو يوم عيد.

رضا، فلا تنفِقْه فيما للَّه فيه سُخطٌ».

٧٤٨ ـ وقال خالدُ بن خِداش: «ثنا الفضيل بن عياض قال: ممن أنت؟ قلت: مهلَّبيٌّ، قال: إن كنتَ رجلًا صالحًا فأنت الشريفُ كلَّ الشريف، وإن كنتَ رجلَ سوءٍ فأنت الوضيعُ كلَّ الوضيع»[(١)].

٧٤٩ ـ وعن عمرو بن قيسٍ قال: «قيل لسلمان ﵁: ما حَسَبُك؟ قال: كَرمي ديني، وحسَبي التُّراب، ومن التُّراب خُلقت، وإلىٰ التُّراب أصير، ثم أُبعث وأصيرُ إلىٰ الموازين، فإن ثقُلت موازيني فما أكرمَ حسبي، وما أكرمَني علىٰ ربي، ويدخلني الجنة! وإن خفَّت موازيني فما ألأمَ حسبي، وما أهونَني علىٰ ربي، ويعذبني! إلَّا أن يعودَ بالمغفرة والرحمةِ علىٰ ذنوبي».

٧٥٠ ـ وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَن نفَّس عن أخيه كُربةً من كُرَب الدنيا نفَّس اللَّهُ عنه كُربةً من كُرَب يومِ القيامة، ومَن سَتر علىٰ مسلمٍ سَتَر اللَّهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَن يسَّر علىٰ مسلمٍ يسَّر اللَّهُ عليه في الدنيا والآخرة، واللَّهُ في عونِ العبد ما كان العبدُ في عون أخيه، ومَن سَلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهَّل اللَّهُ به طريقًا إلىٰ الجنة، وما جَلس قومٌ في مسجدٍ من مساجدِ اللَّه يَتلُون فيه كتاب اللَّه، ويتدارسونه بينهم؛ إلا حفَّت بهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة[(٢)]، وغشيَتْهمُ الرحمةُ، وذَكَرهم اللَّهُ فيمن عنده، ومن أبطأ به عملُه لم يُسرِعْ به نسبُه[(٣)]»**[(٤)].

---

(١) نعم، فقيمة العبد ورفعته ليست بكرم حسبه ونسبه.
(٢) السَّكينة: الطمأنينة والراحة.
(٣) أي: من أبطأ به عمله عن إيصاله للفوز ـ بعد رحمةِ اللَّه تعالىٰ ـ، لن تنفعه أنسابُه.
(٤) رواه مسلم (٢٦٩٩).

٧٥١ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: «إذا كان يومُ القيامة قال اللَّه: أيها الناس، إني جعلتُ سببًا ونسَبًا، وجعلتم سببًا ونسبًا، جعلتُ أكرمكم أتقاكم، وأبيتم إلا أن تقولوا: فلانُ بن فلان كان أكرمَ من فلان. وأنا اليوم أرفعُ نسَبي، وأضعُ أنسابكم، أين المتقون؟».

٧٥٢ ـ وقال السَّريُّ: «اجعل خزانتَك قبرَك، واحشُوه من كلِّ خيرٍ؛ حتىٰ إذا قدِمتَ فرحتَ بما قدَّمتَ إليه من المعروف».

٧٥٣ ـ وعن قتادة: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، قال: «مَن أطاع اللَّه في الدنيا خَلَصت له كرامةُ اللَّه في الآخرة»(١).

٧٥٤ ـ وقال بشرُ بن الحارث: «يا حبَّذا العملُ الصالح! ما أحسَنَه خلف ذاك اللِّبْن(٢)!».

٧٥٥ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «ذهب أهلُ الخير بالدنيا والآخرة».

٧٥٦ ـ وقال فارسُ بن عيسىٰ: «كان أبو القاسم ـ الجنيدُ بن محمد ـ كثيرَ الصلاة، ثم رأيناه في وقتِ موته وتُقدَّمُ إليه الوسادةُ، فيسجد عليها، فقيل له: ألا روَّحتَ عن نفسك؟ فقال: طريقٌ وصلت به إلىٰ اللَّه ﷻ لا أقطعُه».

٧٥٧ ـ وقال بعضُ المَشيخة: «رُئي في يد الجنيد سُبحةٌ؛ فقيل له: يا أبا القاسم، أنت مع تمكُّنِك وشرفِك تأخذُ بيدك سبحة؟ فقال: نعم؛ سببٌ به وصلنا إلىٰ ما وصلنا، لا نتركه أبدًا»(٣).

---

(١) لم يظهر لي وجه الربط بين الآية وبين قول قتادة رحمه الله، والسياق في موسىٰ عليه السلام ـ كما هو معلومٌ ـ. وراجع التفاسير لتعلم المراد.

(٢) اللِّبْن: ما يُبنىٰ به القبر. والمقصود: ما أحسن العمل الصالح أنيسًا للعبد في قبره!

(٣) الأمر موقوف علىٰ مشروعية السبحة، فإن كانت مشروعةً في الشرع فلا بأس =

٧٥٨ ـ وقال الجنيد: «فتحُ كلِّ بابٍ شريفٍ بذلُ المجهود»[(١)].

٧٥٩ ـ وقال هَرِمُ بن حيان: «لو قيل لي: «إنك من أهل النار»؛ لم أتركِ العمل؛ لئلَّا تلومَني نفسي».

٧٦٠ ـ وعن ثابتٍ قال: «كان صلةُ بن أشيم يخرجُ إلىٰ مسجدٍ له في الجَبَّان[(٢)]؛ فيمُرُّ علىٰ شبابٍ علىٰ لهوٍ لهم فيقول: أيْ قوم، أخبروني عن قومٍ أرادوا سفرًا، فجازوا بالنهار عن الطريق[(٣)]، وناموا الليل؛ متىٰ يقطعون سفرهم؟ فانتبه منهم شابٌّ، فقال: إن هٰذا الشيخ إنما يعنيكم بقوله؛ إذا كنتم بالنهار في لهوِكم وبالليل تنامون، متىٰ تريدون أن تقطعوا سفركم؟ قال: ولزم الشابُّ صلةَ، فتعبَّد معه حتىٰ مات».

٧٦١ ـ وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إني لأُبغِضُ الرجلَ أراه فارغًا؛ لا في أمرِ دنياه، ولا في أمر آخرته».

٧٦٢ ـ وعن أبي العباس الدِّينَوَري قال: «ليس في الدنيا والآخرةِ أعزُّ وألطفُ من الوقت والقلب، وأنت مضيِّعٌ للوقت والقلب».

= بما قاله الجنيد، وإن لم تكن مشروعةً فلا ريب أن من عرف شيئًا يقرِّبُه لربِّه عز وجل، ثم ظهر له بعد ذٰلك أنه ليس بمشروع، لا ريب أن الواجب عليه تركه، ومسألة السبحة مختلفٌ فيها بين أهل العلم، ولكلٍّ حجته، والأمر فيها واسع ـ إن شاء اللَّه ـ، مع اتفاق الجميع علىٰ أن التسبيح بالأنامل خيرٌ وأحسن. وليس هٰذا موضع التفصيل.

(١) ونحن الآن نريد كلَّ شيءٍ بلا أي مجاهدة!

(٢) **الجبان**: المقابر. والمسجد: موضع الصلاة. فإذا كان المراد أنه كان له مكانٌ يصلي فيه قريبًا من حدود المقابر ـ وليس داخلًا فيها ـ، فلا بأس. وإن كان المراد أن مكان الصلاة هٰذا داخل تلك الحدود، فهٰذا منهيٌّ عنه. وراجع رسالة العلَّامة الألباني رحمه الله: «تحذير الساجد».

(٣) أي: انحرفوا عنه وضلوا.

٧٦٣ـ وعن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كانت الدنيا قبلَ أن أكون فيها، وهي كائنةٌ بعدي، وإنما لي فيها أيامٌ معدودة، فإذا لم أَسعَدْ في أيامي فمتىٰ أَسعد[1]؟!».

٧٦٤ـ وعن يحيىٰ بن معاذٍ الرازي قال: «المغبونُ[2] من عطَّل أيامه بالبطالات، وسلَّط جوارحَه علىٰ الهَلَكات، ومات قبل إفاقتِه من الجنايات».

٧٦٥ـ وقال أبو عثمان: «ابكُوا قبل أن تتمنَّوُا أن تبكُوا فلا تقدروا عليه. ابكوا علىٰ ثروتِكم وشبابكم، ثم اغتنموا بقيةَ أعماركم؛ فقد قال الصادق عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بقيةُ عُمرِ الرجل لا ثمنَ له[3]».

٧٦٦ـ وكان عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إن هٰذا الليلَ والنهارَ خِزانتان، فانظروا ما تضعُون فيهما».

٧٦٧ـ وكان يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعملوا لليل لما خُلق له، واعملوا للنهار لما خُلق له».

٧٦٨ـ وقال فُضيلُ الرَّقاشي: «يا هٰذا، لا يشغلنَّك كثرةُ الناس عن نفسك، فإن الأمر[4] يخلُص إليك دونهم، ولا تقل: «أذهبُ هاهنا وهاهنا ليذهبَ عليَّ النهار»؛ فإنه محفوظٌ عليك، ولم نر شيئًا قطُّ أحسنَ طلبًا، ولا أسرعَ إدراكًا من حسنةٍ حديثةٍ لذنب قديم؛ ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾ [هود]».

٧٦٩ـ وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لم أَرَ شيئًا أحسنَ طلبًا، ولا أسرع إدراكًا من حسنةٍ حديثةٍ لذنب قديم». ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾ [هود].

---

(١) يقصد السعادة بالعمل الصالح والتعلق بالرب جَلَّ جَلَالُهُ.
(٢) **المغبون**: الخاسر المخدوع.
(٣) يقصد: لا يقدَّر بثمن.
(٤) يعني الموت.

٧٧٠ ـ وعن عقبة بن عامر ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنَّ مَثَلَ الذي يعملُ السيئات، ثم يعملُ الحسنات؛ كمَثَل رجلٍ عليه دِرعٌ ضيقةٌ[(١)] قد خنقته؛ كلَّما عَمِل حسنةً فكَّ عنه حلقةً[(٢)]»[(٣)].

٧٧١ ـ وقال الجُنيدُ بن محمد: «العمرُ قصير، والوقتُ ضيِّق، والأيامُ تُقضىٰ، وليس في الوقت فضل[(٤)]».

٧٧٢ ـ وقال عبدُالرَّحمٰن بن مَهدي: «كنَّا مع سفيانَ الثوريِّ جلوسًا بمكة، فوَثب وقال: النهارُ يعملُ عمله»[(٥)].

٧٧٣ ـ وقال ابن أَبْجَر: «ذهب من عمرنا ساعةٌ في الحمام!».

٧٧٤ ـ وقال: «ليس لنا علىٰ النهار سلطان»[(٦)].

---

(١) في المطبوع: «سابغة»! وهو تحريفٌ سهوتُ عنه في الطبعة السابقة، وجميع مصادر التخريج القادمة جاءت علىٰ ما أثبتُّه. فالحمد للَّه علىٰ كل حال.

(٢) قال الإمام السندي ﵀: «أي: كأنه الذي خرج من ضيق شديد إلىٰ فضاءٍ واسع بالحسنات» اهـ. «حاشية المسند» (٢٨/٥٤٣).

(٣) حسن: رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٠)، وأحمد (٤/١٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/٧٨٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٤٩). وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٣٣٤): «رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي الطبراني **رجاله رجال الصحيح**»، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٨/٥٤٣)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٩٢)، و«الصحيحة» (٢٥٨٤)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/٦١).

(٤) **الفضل**: الزيادة. أي: ليس هناك وقتٌ زائدٌ لتضييعه؛ بل ينبغي أن تغتنم كل لحظةٍ في عملٍ صالح.

(٥) أي: ساعاتُه تمر، ولا أريد تضييعَ وقتٍ أكثر من هٰذا! بالرغم من أن سلفنا الأبرار ما كانوا يجلسون في ترهات وسفاسف، فماذا نفعل نحن ـ يا عباد اللَّه ـ!.

(٦) فهو يمر ويرحل بلا استئذان.

٧٧٥ ـ وقال عيسىٰ البِسطاميُّ: «إن الليلَ والنهارَ رأسُ مال المؤمن، رِبحُهما الجنة، وخسرانُهما النار».

٧٧٦ ـ وقال مَطرٌ الورَّاق: «إن المؤمنَ[1] يصبحُ تائبًا، ويُمسي تائبًا عاتبًا علىٰ نفسه، مُزرٍ عليها في كثيرٍ، ولا يسعُه إلا ذٰلك».

٧٧٧ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «تنجَّزُوا[2] موعودَ اللَّه بطاعةِ اللَّه؛ فإنه قَضىٰ أن رحمتَه قريبٌ[3] من المحسنين».

٧٧٨ ـ وأنشدني عامرُ بن العباس الهمداني الزاهد:

إنما الدنيا إلىٰ الجنةِ والنار طريقْ   والليالي مَتجَرُ الإنسانِ والأيامُ سوقْ

٧٧٩ ـ وعن ابن المبارك قال: «قلت لهُشيم: [مَن] منصورُ بن زاذان؟ قال: كان يُصلِّي الغداة، ولا يكلِّمُ أحدًا حتىٰ تطلُعَ الشمس، فإذا طلعت الشمسُ قام فصلَّىٰ إلىٰ نحو الزوال، ويدخلُ منزله، ثم يخرجُ إلىٰ الظُّهر، ويصلِّي ما بين الظهر إلىٰ العصر، ثم يصلِّي العصر، ويسلِّمُ علينا ويقول: هل من مريض؟ هل من جنازة؟ فإن كان قام فتَبِعَ أو عاد[4]، ثم صلَّىٰ المغرب، [ثم صلَّىٰ] ما بين المغرب والعشاء، ثم صلَّىٰ العشاء، ثم يدخلُ منزله، قلت: كم كان هٰذا حاله؟ قال: أربعين سنة، قلتُ: من أين كان معيشته؟ قال: كان له[5]».

٧٨٠ ـ وقال رَباح بن الجَرَّاح: «رأيتُ فاطمةَ بنت بُزيع ـ امرأةَ أبي

---

(١) يعني اليقظ العاقل.
(٢) **تنجَّزوا**: تعجَّلوا.
(٣) أي: قريبٌ ثوابُها. قاله ابن كثير في «تفسيره».
(٤) أي: تبع الجنازة، وعاد المريض.
(٥) لعله يقصد: كان له مصدر مال ـ كإرثٍ مثلًا أو أرضٍ أو نحو ذٰلك ـ، أو كان له من يكفله، والعلم عند اللَّه تعالىٰ.

عثمان ـ، وكانت من العابدات، وكانت تُصلِّي أكثرَ الليل؛ ما كنتُ أنتبهُ من الليل، فأفقدُ صوتَها في القراءة والصلاة حتىٰ تصلِّيَ الصبح بوضوءِ العَتَمة»[(١)].

٧٨١ ـ وقال إبراهيمُ بن شَيبان الزاهد: «مَن حَفِظ علىٰ نفسه أوقاتَه، فلم يضيِّعْها بما لا يرضاه اللَّهُ ﷻ فيها؛ حَفِظ اللَّهُ دينه ودنياه[(٢)]».

٧٨٢ ـ وقال ذو النون: «العارفُ لا يلزمُ حالةً واحدة؛ ولٰكن يلتزمُ مع ربِّه في الحالاتِ كلها[(٣)]».

٧٨٣ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «إذا أكرم اللَّهُ عبدًا ألهَمَه ذِكرَه، وألزمه بابَه، وآنسَه به، يُصرِّفُ إليه بالبرِّ والفوائد، ويُمِدُّه من عند نفسه بالزوائد، ويصرفُ عنه أشغالَ الدنيا والبلايا، فيصيرُ من خالص عبادِ اللَّه وأحبابه؛ فطوبىٰ له حيًّا ومَيْتًا، لو علم المغترُّون بالدنيا ما فاتهم من حظِّ المقرَّبين، وتلذُّذِ الذاكرين، وسرور المحبين لماتُوا كمدًا».

٧٨٤ ـ وكتب أبو الدرداء ﵁ إلىٰ مَسلمةَ بن مَخْلَد: «سلامٌ عليك؛ أما بعد، فإن العبدَ إذا عمِل بطاعةِ اللَّه أحبَّه اللَّه، فإذا أحبَّه اللَّه حبَّبه إلىٰ عباده. وإنَّ العبدَ إذا عمِل بمعصيةِ اللَّه أبغضه اللَّه، فإذا أبغضه اللَّه بغَّضه إلىٰ عباده».

٧٨٥ ـ وقال محمدُ بن واسع: «إذا أقبل العبدُ بقلبه إلىٰ اللَّه ﷻ أقبل اللَّهُ إليه بقلوب المؤمنين».

---

(١) **العَتَمة**: العشاء.

(٢) وهو مقتضىٰ قوله ﷺ ـ فيما صح عنه ـ: «**احفظِ اللَّهَ يحفظْك**».

(٣) نعم؛ فإن للأوقات أعمالًا فاضلةً ومفضولة، وفي كلِّ وقتٍ منها عملٌ هو أحبُّ للَّهِ تعالىٰ من غيره، والعابد الحق يدورُ مع مراضي مولاه حيث دارت، وليس كحال بعضنا ـ معشر الحمقىٰ ـ؛ يكونون مع اللَّه فيما خفَّ وسهل، ويخالفونه فيما شق عليهم فعله. واللَّهُ المستعان.

٧٨٦ ـ وقال هَرِمُ بن حيان: «ما أقبل عبدٌ بقلبه إلىٰ اللَّه ﷻ، إلا أقبلَ اللَّهُ بقلوب أهلِ الإيمان إليه، حتىٰ يرزقَه مودَّتهم ورحمتَهم».

٧٨٧ ـ وعن قتادة ـ في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم] ـ، قال: «إي ـ واللَّهِ ـ؛ وُدًّا في قلوب أهل الإيمان».

٧٨٨ ـ وعن سُهيل بن أبي صالح قال: كنتُ مع أبي غداةَ عرفة، فوقفنا لعمرَ بن عبدالعزيز لننظرَ إليه ـ وهو أمير الحاج ـ، فقلت: يا أبتاه، واللَّهِ إني لأرىٰ اللَّهَ يُحبُّ عمرَ! قال: لِمَ ـ أيْ بُني ـ؟ فقلت: لِمَا أراه دخل له في قلوب الناس من المودة! فقال: بأبيكَ أنت[1]؛ سمعت أبا هريرة ﵁ يقول: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«إنَّ اللَّه إذا أَحبَّ عبدًا نادىٰ جبرائيل: إن اللَّهَ أحَبَّ فلانًا فأحِبُّوه. قال: فإذا كان ذٰلك، كان له القبولُ والمودَّةُ عند أهل الأرض[2]، وإذا أبغض اللَّهُ عبدًا نادىٰ جبرائيل، فقال: يا جبرائيل، إن اللَّه قد أبغض فلانًا، فأبغِضوه، فينادي جبرائيلُ في السماء: إن اللَّه قد أبغض فلانًا فأبغِضُوه، فإذا كان ذٰلك وُضعت له البِغضةُ عند أهل الأرض»**[3].

٧٨٩ ـ وقال أنوشروانَ لبُزُرْجَمِهْر لما أراد أن يقتله: «إني قاتلُك، فتكلَّمْ بشيء تُذكَرُ به، فقال: أيها الملك، إن الدنيا [حديثٌ] حسنٌ وقبيح، فإن استطعت أن تكون حديثًا [حَسنًا] فكُنْهُ.

فذُكر هٰذا الكلامُ لابن عائشة[4]، فقال: صدق اللَّه ﷻ: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء]».

---

(١) كلمة مدح وثناء.

(٢) وفي لفظٍ أورده الإمام في رواية أخرىٰ: «**ثم توضع له المحبة في الأرض**».

(٣) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٤) هو عبيداللَّه بن محمد بن حفص، سُمي بهٰذا الاسم لأنه من ولد عائشة بنت طلحة ﵃ أجمعين.

٧٩٠ ـ ولبعض الشعراء:

ألم تر أن الناسَ يُخلِّدُ بعضَهم ... أحاديثُهم والمرءُ ليس بخالدِ!

٧٩١ ـ وأنشد ابن عائشة:

وإذا الفتىٰ لاقىٰ الحِمامَ رأيتَه ... لولا الثناءُ كأنه لم يُولَدِ[(١)]

٧٩٢ ـ وعن خلاد بن عبدالرَّحمٰن، عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «**ألَا أُخبِرُكم بأحبِّكم إلىٰ اللَّه ﷻ؟**» ـ حتىٰ ظنُّوا أنه سيسمِّي رجلًا ـ، قالوا: بلىٰ ـ يا رسول اللَّه ـ، قال: «**أحبُّكم إلىٰ اللَّه ﷻ أحبُّكم إلىٰ الناس. ألا أُخبرُكم بأبغضِكم إلىٰ اللَّه؟**»، حتىٰ ظنوا أنه سيسمي رجلًا، قالوا: بلىٰ ـ يا رسول اللَّه ـ، قال: «**أبغضُكم إلىٰ اللَّه أبغضُكم إلىٰ الناس**»[(٢)].

٧٩٣ ـ وعن أبي زُهيرٍ الثَّقَفي ﷺ قال: سمعت رسولَ اللَّه ﷺ بالتناوة ـ أو بالتناة ـ من الطائف يقول في خطبته: «**يا أيها الناس، إنكم توشِكون أن تعرِفوا أهلَ الجنة من أهل النار ـ أو قال: خيارَكم من شراركم ـ**»، فقال رجل: يا رسول اللَّه، بِمَ؟ قال: «**بالثناءِ الحسن، أو بالثناء السيِّئ، وأنتم شهودٌ بعضُكم علىٰ بعض**[(٣)]»[(٤)].

---

(١) **الحِمام**: الموت.

(٢) **ضعيف**: رواه عبدالرزاق في «المصنَّف» (١١/١٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (٦٠١٩)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٣٤)، وابن المرزُبان في «ذم الثقلاء» (١٥)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٨١): «فيه عبدالرَّحمٰن بن حيدة الأنباري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات». **وضعَّفه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/٣٥٦).

(٣) ومقبول الشهادة هو الصادق الأمين العادل الذي ليس في قلبه غلٌّ ولا حقدٌ ولا حسد علىٰ إخوانِه المؤمنين.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٣/٤١٦)، وابن ماجه (٤٢٢١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٣٠٦)، وابن حبان (٧٣٨٤)، والحاكم (١/١٢٠) و(٤/٤٣٦)، =

٧٩٤ ـ وعن عبداللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول اللَّه ﷺ أرسل معاذًا، وأبا موسىٰ الأشعري إلىٰ اليمن، فقال: «**تسانَدَا وتطاوَعَا**[(١)]، **ويسِّرَا ولا تنفِّرَا**»، وأمرهم بالتفقُّهِ والعلمِ والقرآن. فقَدِمَا اليمن، فخطب للناس معاذٌ، فحضَّهم علىٰ الإسلام، [وقال]: فإذا فعلتم ذٰلك فسلُوني أُخبِرْكم بأهل الجنة من أهل النار. قال: فمكثوا ما اللَّهُ أعلمُ [به]، ثم قالوا: يا أبا عبدِالرَّحمٰن، كنت أمرْتَنا إذا نحن فقِهنا وقرأنا القرآنَ أن نسألك، فتخبرَنا بأهل الجنة من أهل النار! قال: نعم، إذا ذُكر الرجلُ بخيرٍ فهو من أهل الجنة، فإن ذُكر بسوءٍ ـ أو قال: بشرٍّ ـ فهو من أهل النار[(٢)].

٧٩٥ ـ وقال مجاهدٌ ـ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء] ـ: «ما أراد إلا الثناءَ الحسن؛ فليس من أمةٍ إلا هي تودُّه[(٣)]».

٧٩٦ ـ وقال كعبُ الأحبار: «إذا أحببتم أن تعلَموا ما للعبد عند ربِّه

= والطبراني في «الكبير» (٢٠/٣٨٢)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١/١٢٣٠)، والدولابي في «الكنىٰ» (١/٣٢)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٩٠٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٦٠٢)، **وصحَّحه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢٤/١٧٣)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند ابن ماجه.

(١) **تطاوعًا**: اتفقا.

(٢) **ضعيف**: رواه الدارمي (٢٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (٧٤١٦)، والدولابي في «الكُنىٰ» ـ مختصرًا ـ (٨٥٥)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/٤٠٤): «**رجاله موثقون**»، **وضعَّفه** الشيخ حسين الداراني عند الدارمي (١/٢٩٩).
والمرفوع منه **صحيح**: يشهد له ما عند البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)؛ من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال له ولمعاذٍ حين أرسلهما إلىٰ اليمن: «**يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**». واللفظ لمسلم.

(٣) **تودُّه**: تحبه. والمقصود إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ﷻ، فانظروا ماذا يَتْبَعُه[(١)]».

٧٩٧ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم]، قال: «يحبُّهم ويُحبِّبُهم [إلىٰ عبادِه المؤمنين]».

٧٩٨ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**تفرَّغوا من هُموم الدنيا ما استطعتم، فإنه من كانتِ الدنيا أكبرَ هَمِّه؛ أفشىٰ اللَّهُ ﷻ ضيعتَه[(٢)]، وجَعل فقرَه بين عينيه، ومن كانت الآخرةُ أكبرَ هَمِّه جَمَع اللَّهُ ﷻ له أموره، وجعل غناهُ في قلبه. وما أقبل عبدٌ بقلبه إلىٰ اللَّه ﷻ إلا جَعل اللَّهُ قلوبَ المؤمنين تَفِدُ إليه بالوُدِّ والرحمة، وكان اللَّهُ إليه بكل خيرٍ أسرع**»[(٣)].

٧٩٩ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**أهلُ الجنة: مَن**

---

(١) يقصد من الثناء الحسن أو الثناء السيئ؛ وفقًا للميزان الذي ذكرتُه منذ قليل؛ وهو أن المقبول ثناؤه أو ذمُّه هو المؤمنُ العادل صافي القلب.

(٢) **الضيعة**: الأرض. والمقصود: شتت عليه أحواله وأموره.

(٣) **موضوع**: رواه أبو نُعيم في «الحلية» (١/٢٢٧)، والطبراني في «الكبير» ـ كما في «المجمع» (١٠/٤٣٢) ـ، وفي «الأوسط» (٥٠٢٥)، وقال الإمام الهيثمي: «فيه «محمد بن سعيد بن حسان» ـ المصلوب ـ، وهو كذَّاب»، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٤٦٧)، بينما قال في «ضعيف الترغيب» (١٨٤٢)، و«الضعيفة» (١٠١٨): «موضوع». بينما ذهب الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/٢٥٧) أن الحديث **صحيح بشواهده**.

قلت: والشطرُ الأول من الحديث ثابتٌ عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «**مَن كانت الآخرةُ همَّه، جعل اللَّهُ غناه في قلبه، وجمَع له شَمْلَه، وأتته الدنيا وهي راغمةٌ، ومَن كانت الدنيا همَّه، جعل اللَّهُ فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شَمْلَه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّر له**»، **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٦٥)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، وهو في «المسند» (٥/١٨٣)، و«سنن ابن ماجه» (٤١٠٥) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، **وصحَّحه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٥/٤٦٧).

ملأ أُذنيه من ثناءِ الناس خيرًا وهو يسمع، وأهلُ النار من ملأ أذنيهِ من ثناءِ الناس شرًّا وهو يسمع»(١).

٨٠٠ ـ وعن أنسٍ ﵁ قال: قيل: يا رسول اللّه، من أهل الجنة؟ قال: «مَن لا يموتُ حتىٰ يُملأ أذناه ممَّا يُحبُّ»، قالوا: مَن أهل النار ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «مَن لا يموتُ حتىٰ يُملأ أذناه ممَّا يَكره»(٢).

٨٠١ ـ وعن أبي سعيدٍ ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا أَحبَّ اللَّهُ عبدًا أثنىٰ عليه سبعةُ أصنافٍ من الخير لم يعمله، وإذا سَخِط علىٰ عبدٍ أثنىٰ عليه سبعةُ أصنافٍ من الشر لم يَعمَلْه»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٢٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٨٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٦٦١٨)، والمِزِّي في «تهذيب الكمال» (٢٠/١٩٢)، **وصحَّحه** الإمام البوصيري، والشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سنن ابن ماجه» (٥/٣٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «التاريخ» (٢/٩٣)، والحاكم (١/٥٣٤)، **وصحَّحه، وأقرَّه** الذهبي، وقد بيَّن الإمام البيهقي ـ هنا ـ عقب تخريجه: أنه رُوي موصولًا ومرسلًا. وكذا قال الشيخ شعيب الأرنؤوط وأصحابه في تحقيق «سنن ابن ماجه» (٥/٣٠٤).

قلتُ: ويشهد لمعناه ما قبله، والعلمُ عند رب العالمين.

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/٣٨)، وعبد بن حميد (٩٢٨)، والحارث بن أبي أسامة (١١٠٥ ـ زوائد)، وأبو يعلىٰ (١٣٣١)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٩٠٥)، وابن حبان (٣٦٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٣٧٠)، والبيهقي في «الشعب» (٨٧٤)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٨٢)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/٢٧٢)، وقال: «رواه أحمد وأبو يعلىٰ؛ إلا أنه قال: «**تسعة أصناف**»، ورجاله وُثِّقوا علىٰ ضعفٍ في بعضهم». **وضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٧/٤٣٨)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (١٥٤٨). وجعل الشيخ الداراني في تحقيق «المجمع» (٢١/٣٥٨) حديث أبي هريرة ﵁ عند =

٨٠٢ ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**إذا أراد اللَّهُ بعبدٍ خيرًا استعمله**»، قالوا: كيف يستعمله ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**يوفِّقُه لعملٍ صالحٍ قبل الموت**»[(١)].

٨٠٣ ـ وعن عمرو بن الحَمِق رضي الله عنه أنه سمع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «**إذا أرادَ اللَّهُ بعبدٍ خيرًا عَسَلَه**»، قيل: يا رسول اللَّه، وما عَسْلُه؟ قال: «**يَفتحُ له عملًا صالحًا قبل موته حتىٰ يَرضىٰ عنه مَن حوله**»[(٢)].

٨٠٤ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «كان رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَستحبُّ أن يموتَ الرجلُ ـ حين يموتُ ـ أو المرأةُ وهو زائدٌ في عملِه غيرُ ناقص»[(٣)].

= البخاري (٦٠٤٠)، شاهدًا لحديث المتن، وهو الحديث المشهور: «**إذا أحبَّ اللَّهُ عبدًا نادىٰ جبريل: إن اللَّه يحبُّ فلانًا فأَحِبَّه، فيُحبُّه جبريل، فينادي جبريلُ في أهل السماء: إن اللَّه يحبُّ فلانًا فأحِبُّوه، فيحبُّه أهلُ السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض**».

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/١٠٦)، والتِّرمذي (٢١٤٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٩٧)، وابن حبان (٣٤١)، والحاكم (١/٣٣٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٦٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٩٨)، وقال الإمام التِّرمذي: «**حسن صحيح**»، **وصحَّحه** الحاكم، وأقرَّه الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩/٩٤)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/٢٢٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٨٣)، وابن حِبَّان (٣٤٢)، والحاكم (١/٣٤٠) ـ واللفظ له ـ، **وسكت عليه** الحاكم والذهبي، وقال الحافظ العراقي في التعليق علىٰ «الإحياء» (٢/١٩٠): «**إسناده جيد**»، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (٧/٤٣٥): «فيه بقيه (يعني ابن الوليد)، وقد صرح بالتحديث في «المسند»، وبقية رجاله ثقات». **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٥٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٦/٢٧٩).

(٣) **ضعيف**: رواه إسحاق ابن راهويه في «مسنده» (١٦٥٤)، ولم أقف علىٰ أحدٍ =

٨٠٥ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**ما من عبدٍ إلا له صِيتٌ في السماء، فإذا كان صيتُه في السماءِ حسنًا وُضع له في الأرض حسنًا، وإذا كان صِيتُه في السماء سيئًا وُضع له في الأرض سيئًا**»[(١)].



= حكم علىٰ هٰذا الحديث، والظاهر أنه أقربُ إلىٰ الضعف، فلم أقف عليه في الأحاديث الصحيحة ولا الحسنة، فليحرر، والعلمُ عند رب العالمين.

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٢٤٨)، وفي «مسند الشاميين» (٢٨١٠)، وتمَّام في «الفوائد» (١٢٨٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/١٦٣)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٣٢)، و«الصحيحة» (٢٢٧٥).

الفصل الخامس

الـورع والتقـوى

الفصل الخامس

الـورع والتقـوى

٨٠٦ ـ عن سعدِ بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فضلُ العلم أحبُّ إليَّ من فضل العبادة**[١]**، وخيرُ دينِكمُ الورع**»[٢].

٨٠٧ ـ وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا أبا هريرة، كنْ وَرِعًا تكنْ أعبَدَ الناس، وكنْ قَنِعًا تكنْ أشكرَ الناس، وأَحِبَّ للناس ما تُحبُّ لنفسِك تكنْ مؤمنًا، وأحسِنْ مُجاورةَ مَن جاوَرَك تكن مسلمًا، وأقِلَّ الضحك؛ فإن كثرةَ الضحكِ تُميتُ القلب**»[٣].

٨٠٨ ـ وقال وُهيبُ بن الورد: «إذا أردتَ البناء فأَسِّسْه علىٰ ثلاثٍ: علىٰ الزهد، والورع، والنية؛ فإنك إن أسَّسْتَه علىٰ غير هٰؤلاء انهدم البناء».

---

(١) أي: التزود من العلم خيرٌ من التزود من العبادة.

(٢) صحيح: رواه الحاكم (٩٢/١)، والبيهقي في «المدخل» (٤٥٤)، و«الآداب» (٨٣٠)، والشاشي في «مسنده» (٧٥)، **وسكت عليه** الحاكم، **وصحَّحه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢١٤).

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الصغير» (١٠٥٧)، والبيهقي في «الشُّعَب» (٥٧٥٠)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣٦٥/١٠)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٨٠).

ورواه بلفظ مقارب: أحمد (٣١٠/٢)، والتِّرمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤٢١٧)، وأبو يعلىٰ (٦٢٤٠)، وقال الإمام التِّرمذي: «**غريب**». **وجوَّده** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤٥٨/١٣)، **وحسَّنه** الشيخ الألباني عند التِّرمذي.

٨٠٩ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «مَن لم يكن فيه ثلاثٌ فلا يَعتدَّ بعمله شيئًا، ورعٌ يحجُزُه عما حرَّم اللَّه، وحِلمٌ يكُفُّ به السفيه، وخُلقٌ يُداري به الناس».

٨١٠ ـ وقال الكتَّاني: «مَن يدخلُ في هٰذه المفازة[١] يحتاجُ إلىٰ أربعة أشياء: حالًا يَحميه[٢]، وعلمًا يسُوسه[٣]، وورعًا يحجزُه، وذِكرًا يؤنِسُه».

٨١١ ـ وقال ابنُ مسعود ﷺ: «ينتهي الإيمانُ إلىٰ الورع، ومِن أفضل الدين ألَّا يزالَ بالإفادة مِن ذِكر اللَّه، ومَن رضي بما أنزل اللَّهُ من السماءِ إلىٰ الأرض دخل الجنة ـ إن شاء اللَّه ـ، ومن أراد الجنة لا شكَّ فيها فلا يخافُ في اللَّه لَومةَ لائم».

٨١٢ ـ وقال طاووس: «مَثَلُ الإسلامِ كمَثَلِ شجرةٍ؛ فأصلُها الشهادة، وساقُها كذا ـ شيئًا سماه[٤] ـ، وثمرُها الورع، ولا خيرَ في شجرةٍ لا ثمرَ لها، ولا خيرَ في إنسانٍ لا وَرَع له».

٨١٣ ـ وقال عبدُاللَّه بن مطرِّف: «إنك لتَلقَىٰ الرجلين أحدُهما أكثرُ صومًا وصلاةً، والآخر أكرمُهما علىٰ اللَّه بونًا بعيدًا، قلت: كيف ذاك ـ يا أبا جُرَيٍّ ـ؟ قال: يكون أورعَهما في محارمه».

٨١٤ ـ وقال رجلٌ لسعيد بن المسيب: «يا أبا محمد، لا نَقوَىٰ علىٰ ما يَقوَىٰ عليه هٰؤلاء! قال: وما يقوىٰ عليه هٰؤلاء؟ قال: يواظبون علىٰ الصلاة ما بين الظُّهر إلىٰ العصر، فقال: إنما العبادةُ التفكُّرُ في أمر اللَّه، والورعُ في دينه».

---

(١) **المَفازة**: الصحراء، والمقصود هنا: طريق الدين والاستقامة «الالتزام».

(٢) أي: يحميه من الفتن.

(٣) **يسوسه**: يقوده.

(٤) الغالب أن المراد: «العمل»، تبعًا لمذهب السلف الصالح ﷺ.

٨١٥ ـ وعن جابر ﷺ قال: ذُكر رجلٌ عند النبي ﷺ بعبادةٍ واجتهاد، وذُكر آخرُ برِعَةٍ[١]، فقال النبي ﷺ: «**لا يُعدَلُ بالرِّعَة**»[٢].

٨١٦ ـ وقال الضحاك: «لقد أدركتُ أصحابي وما يتعلَّمون إلا الورع».

٨١٧ ـ وقال أبو سليمان الداراني: «الورعُ أولُ الزهد؛ كما أن القناعةَ طرفٌ من الرضاء».

٨١٨ ـ وعن إبراهيمَ بن أدهم قال: «الورعُ يبلغُ بالعبدِ إلىٰ الزهدِ في الدنيا، والزهدُ يبلغُ به إلىٰ حبِّ اللَّه ﷻ».

٨١٩ ـ وقال ذو النون: «ينبغي للمريدِ أن يُحكِمَ الأصل، ثم يطلبَ الفرع، كيف يسألُ عن الزهد، ولا يُحكِمُ الورع؟ ـ و[قد] قيل: الورعُ التوبة ـ، ولربما نظرتُ إلىٰ الرجل يَسأل عن الرضا وهو لا يدري ما القُنوع؟!».

٨٢٠ ـ وسُئل إبراهيمُ بن أدهم: «بما يتمُّ الورع؟ قال: بتسويةِ جميعِ الخلقِ في قلبك، والاشتغالِ عن عيوبهم بذنبك، وعليك باللفظِ الجميل من قلبٍ ذليل، واحسِم[٣] الطمعَ إلا من ربِّك».

٨٢١ ـ وقال إسحاقُ بن إبراهيم بن شيبان: «قال لي أبي: يا بُني، تعلَّمِ العلمَ لآدابِ الظاهر، واستعمِلِ الورعَ لآداب الباطن، وإياك أن يَشغَلك عن اللَّه شاغل، فقَلَّ مَن أعرض عنه فأقبَلَ عليه».

٨٢٢ ـ وقال ـ أيضًا ـ «قلت لأبي: بماذا أصلُ إلىٰ الورع؟ فقال لي: بأكلِ الحلال، وخدمةِ الفقراء، فقلت له: من الفقراء؟ فقال: الخلقُ كلُّهم

---

(١) **الرِّعَة**: الورع والخوف والوجل.

(٢) **ضعيف**: رواه التِّرمذي (٢٥١٩)، وقال: «**غريب**»، **وأقرَّه** الإمام البيهقي ـ هنا ـ بعد تخريجه، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٨١٧)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «سنن التِّرمذي» (٤/ ٤٩١).

(٣) **احسم**: اقطع.

فقراء، فلا تَمنُنْ في خدمةِ مَن مكَّنك من خدمته، واعرف فضلَه عليك في ذٰلك».

٨٢٣ ـ وقال أبو عثمان المَغرِبي ـ وسأله عبدُاللَّه المعلِّم ـ: «ما عُقدةُ الوَرِع[1]؟ فقال: شريعةٌ تأمره وتنهاه، فيتَّبعُ ولا يخالِف».

٨٢٤ ـ وقال عبدُاللَّه بن السِّندي: «جاء رجلٌ إلىٰ يونسَ بنِ عُبيد، فقال له: أنت يونسُ بن عبيد؟ قال: نعم، قال: الحمدُ للَّه الذي لم يُمِتْني حتىٰ رأيتُك، قال: وما حاجتُك؟ قال: أريدُ أن أسأل عن مسألةٍ، قال: سل عمَّا بدا لك، قال: أخبِرْني ما غايةُ الورع؟ قال: محاسبةُ النفس مع كلِّ طرفةِ عَين، والخروجُ عن كل شبهةٍ، قال: فأخبِرْني ما غايةُ الزهد؟ قال: تركُ الراحة».

٨٢٥ ـ وعن أبي عليٍّ الدقَّاق قال: «أصلُ الطاعة الورع، وأصلُ الورع التُّقىٰ، وأصل التقىٰ محاسبةُ النفس، ومحاسبةُ النفس من الخوف والرجاء، والخوفُ والرجاء من المعرفة، وأصلُ المعرفة لسانُ العِلم والتفكُّر».

٨٢٦ ـ وقال: «مَن لا وِزانَ له فلا حساب عليه[2]، ومَن لا حساب له فلا مشاهدةَ له، ومَن لا مشاهدةَ له فلا نصيبَ له».

٨٢٧ ـ وقال أبو العباس بنُ عطاء: «تولَّد ورعُ المتورِّعين من ذِكرِ الذرَّةِ والخردلة[3]، وإن ربًّا يُحاسبُ علىٰ اللحظةِ والهمزةِ واللمزةِ[4] لمُستقْصٍ

---

(١) **العقدة**: ما يعقدُ عليه أمره، ويثبِّته علىٰ الطريق.

(٢) لعل المقصود: أن من لا وزن له عند اللَّه ﷻ بالأعمال الصالحة، فلن يحاسَب، بل سيلقىٰ في النار مباشرةً، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) يعني في الحساب يوم القيامة، وأنه تعالىٰ يحاسب علىٰ أحقر الأشياء.

(٤) **اللحظة**: النظرة. **الهمزة**: الحركة الظاهرة. **اللمزة**: الحركة الخفية.

في المحاسبة[١]، وأشدُّ منه أن يحاسبَه علىٰ مقادير الذرة وأوزانِ الخردلة، ومن يكن هٰكذا حسابُه لحريٌّ أن يُتَّقىٰ».

٨٢٨ ـ وقال إبراهيمُ الخَوَّاص: «الورعُ دليلُ الخوف، والخوفُ دليل المعرفة، والمعرفةُ دليلُ القُربىٰ[٢]».

٨٢٩ ـ وقال يونسُ بن عُبيد: «عجبتُ من ثلاثِ كلمات: عجبتُ من كلمةِ مورِّق العِجْلي: ما قلتُ في الغضب شيئًا فندِمتُ عليه في الرضا. وعجبتُ من كلمةِ محمد بن سيرين: ما حسدتُ أحدًا علىٰ شيءٍ من الدنيا؛ إن كان من أهل الجنة؟ فكيف أحسُدُه علىٰ شيءٍ من الدنيا وهو يصيرُ إلىٰ الجنة؟ وإن كانَ من أهل النار فكيف أحسُدُه علىٰ شيءٍ من الدنيا وهو صائرٌ إلىٰ النار؟ وعجبتُ من كلمة حسَّانِ بن أبي سِنان: ما شيءٌ أهونُ عندي من الورع؛ إذا رابني شيءٌ تركتُه».

٨٣٠ ـ وقال سفيانُ الثوري: «عليك بالزهدِ يبصِّرْك اللَّهُ عوراتِ الدنيا، وعليك بالورع يخفِّفِ اللَّهُ حسابك، ثم دع ما يَريبُك إلىٰ ما لا يَريبك، وادفع الشكَّ باليقين يسلَمْ لك دينُك».

٨٣١ ـ وقال مطرِّفٌ: «لَأَنْ يسألَني ربي ﷻ يومَ القيامة فيقول: يا مطرف، ألَا فعلت! أحبُّ إليَّ من أن يقول لي: لِمَ فعلت؟»[٣].

٨٣٢ ـ وقال يحيىٰ بن معاذ: «الورعُ اجتنابُ كلِّ رِيبة، وتركُ كلِّ شُبهة، والوقوفُ مع اللَّه علىٰ حدِّ العلم من غير تأويل».

٨٣٣ ـ وقال عبدُاللَّه بن ضُرَيس: «جاء رجلٌ إلىٰ يونسَ بنِ عُبيدٍ، فقال:

---

(١) **المستقصي**: المستوفي حقَّه كاملًا. نعوذ باللَّه من ذٰلك.

(٢) في المطبوع: «القربة»، ولعل الأصح ما أثبتُّه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) أي: لأن يوبِّخَني اللَّهُ تعالىٰ علىٰ ترك بعض العمل، أحبُّ إليَّ من أن أفعل ما لم يأمرْني فيسألني: لمَ فعلتَه؟ واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

ما غايةُ الورع؟ قال: الخروجُ من كل شُبهة، والمحاسبةُ عند كل طَرْفة[(١)].
قال: فما غايةُ الزهد؟ قال: تركُ الراحة».

٨٣٤ ـ وقال شاه الكِرْماني: «علامةُ التقوىٰ الورع، وعلامةُ الورع الوقوف عند الشبهات».

٨٣٥ ـ وعن سَرِيٍّ السَّقَطي قال: «لا تقوىٰ علىٰ تركِ الشبهات إلا بتركِ الشهوات»[(٢)].

٨٣٦ ـ وعن الضحَّاكِ بن مُزاحم أنه كتب إليه بعضُ إخوانه: «اكتب إليَّ كتابًا تجمعُ فيه الأمرَ وما يلزمُ العبدَ. فكتب إليه الضحاك: أما بعد، فإن اللَّه الواحدَ القهارَ يختارُ من الأعمال أخيارَها ـ وهي الفرائضُ التي افترض علىٰ عباده ـ، وهو سائلُهم عن وفائها، ومَن تطوَّع بخيرٍ فإن اللَّه شاكرٌ عليم، وإن اللَّه ـ جل ثناؤه ـ حلَّل حلالًا بيِّنًا، وحرَّم حرامًا بيِّنًا، وبينَ ذٰلك شبهاتٌ؛ وهي حزازاتُ الصدور[(٣)]، فمهما حزَّ في صدرك فدَعْه، وعليك بحلالِ اللَّه، وإياك وحرامَه، جعلنا اللَّهُ وإياك من المتقين».

٨٣٧ ـ وقال ذو النون: «ثلاثةٌ من أعلام[(٤)] الورع: تركُ الشبهةِ باحتمالِ المضرَّة في المالِ والبدن، وبذلُ الفضل خوفًا من دخولِ الخَلل في الفريضة، والكفُّ عن الفضولِ خشيةَ فساد القلب».

٨٣٨ ـ وقال أبو عمر المَرْوَزي: «مَن دامت تُهمتُه قوِيت محاذرتُه[(٥)]،

---

(١) أي: محاسبة النفس علىٰ أقلِّ الأشياء.

(٢) فالقلب إذا انغمس في الشهوات المحرمة أظلم وفسد، فسهل علىٰ الشبهات اجتياحُه.

(٣) **الحزازات**: الشكوك.

(٤) **الأعلام**: العلامات.

(٥) أي: من دامت تُهمتُه لنفسه بالتقصير والتفريط، دام حذره من المعاصي والزلل، =

ومَن قويت محاذرتُه سَهَل عليه ردُّ الشبهات وقبولُ البينات».

٨٣٩ ـ وقال يحيىٰ بن معاذٍ الرازي: «مَن عَبد اللَّه تعالىٰ علىٰ الخطرات قضىٰ اللَّهُ حاجته علىٰ الخطرات».

يعني: ترك الذنوب إذا خطرت علىٰ قلبه[1].

٨٤٠ ـ وقال: «الورعُ علىٰ وجهين: ورعٌ في الظاهر، وورعٌ في الباطن، أما ورعُ الظاهر فلا يتحركُ إلا للَّه، وأما الباطن فلا يَدخُلُ قلبَك سواه».

٨٤١ ـ وقال الشِّبلي: «الورعُ أن يتورَّع عن كل ما سِوىٰ اللَّه»[2].

٨٤٢ ـ وقال السريُّ بن المغلس: «كان أهلُ الورع في وقتٍ من الأوقات أربعة: حذيفةُ المرعشي، وإبراهيمُ بن أدهم، ويوسفُ بن أسباط، وسليمانُ الخواص، فنظروا إلىٰ الورع، فلما ضاقت عليهم الأمور، فزِعوا إلىٰ التقلُّل»، أو قال: «التذلل».

٨٤٣ ـ وعن أبي بكر الكتَّاني قال: «الورعُ هو ملازمةُ الأدب، وصيانةُ النفس»[3].

٨٤٤ ـ وقال أبو عثمان الآدمي: «سألتُ إبراهيم الخواص عن الورع، فقال: ألَّا يتكلم العبدُ إلا بالحق ـ غضِب أو رضي ـ، وأن يكون اهتمامُه بما يُرضي اللَّه».

٨٤٥ ـ وقال إسحاقُ بن خلف: «الورعُ في المنطق أشدُّ منه في الذهب

= واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(١) وعليه فيكون معنىٰ الجملة السابقة: «قضىٰ اللَّه حاجته علىٰ الخطرات»، أي: لبَّىٰ اللَّه تعالىٰ ما يريده، ولو لم يطلبه بلسانه. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) أي: يبتعد عن كل ما لا يُرضي ربَّه ﷻ. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) انظر كلامًا طيبًا للإمام الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن صيانة النفس في كتابه: «آداب الدين والدنيا» ص(٩٥ ـ ط: دار ابن الجوزي بالدمام).

والفضة، والزهدُ في الرئاسة أشدُّ منه في الذهب والفضة؛ لأنه يبذلُهما في طلب الرئاسة».

٨٤٦ ـ وعن النعمانِ بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «**الحلالُ بيِّن، والحرامُ بيِّن، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمُهنَّ كثيرٌ من الناس، فمَن اتقىٰ الشبهاتِ استبرأ لدينِه وعرضِه، ومَن وَقع في الشبهاتِ وَقَع في الحرام، كالراعي حولَ الحِمىٰ يوشكُ أن يقعَ فيه، ألَا وإن لكل مَلِكٍ حِمًىٰ، وإن حِمَىٰ اللَّه محارمُه. ألَا إن في الجسدِ مضغةً؛ إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلُّه؛ ألا وهي القلب**»[1].

٨٤٧ ـ وفي لفظٍ: «**الحلالُ بيِّنٌ، والحرامُ بيِّن، وبين ذٰلك أمورٌ مشتبهاتٌ، مَن استبرأهُنَّ فهو أسلمُ لدينه، ومَن وقع فيهنَّ فيوشِكُ أن يقعَ في الحرام، كالمُرتِعِ إلىٰ جانبِ الحِمىٰ، فيوشِكُ أن يقعَ فيه**»[2].

٨٤٨ ـ وقال أبو قتادة وأبو الدهماء: أتينا علىٰ رجلٍ من أهل البادية، فقال البدوي: أخذ رسولُ اللَّه ﷺ بيدي، فجعل يعلِّمُني مما علَّمه اللَّه، فكان فيما حفِظتُ عنه أن قال: «**إنك لا تَدَعُ شيئًا اتقاءً للَّه إلا أعطاك اللَّهُ خيرًا منه**»[3].

٨٤٩ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**الحلالُ بيِّن، والحرامُ بيِّن، وبين ذٰلك مشتبهاتٌ، فدَعْ ما يَريبُك إلىٰ ما لا يريبك**».

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٢) انظر السابق.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/٧٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٨١٠)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٥/٣٣٥)، وفي «الشعب» (٥٣٦٤)، والمِزِّي في «تهذيب الكمال» (٢٣/٥٧٠)، وحسين المروزي في زياداته علىٰ «الزهد» لابن المبارك (١١٦٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٣٥)، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (٣٤/٣٤٢).

وفي لفظٍ آخر: «**الحلالُ بيِّن، والحرام بيِّن، وبين ذٰلك شبهاتٌ، فمن ترك كان أبرأَ لدينه، ومَن وقع يوشِكُ أن يواقعَ الحرام؛ كالمُرتع إلىٰ جنب الحمىٰ يوشك أن يواقعَه ولا يشعر**»[(١)].

٨٥٠ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا تنظُروا إلىٰ صيام أحدٍ ولا صلاته، ولٰكن انظروا إلىٰ صدقِ حديثه إذا حدَّث، وأمانتِه إذا ائتُمن، وورعِه إذا أَشفَىٰ[(٢)]».

٨٥١ ـ وعن صَعصعةَ ـ عمِّ الفرزدق ـ أنه قدِم علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، فقلتُ: «حسبي حسبي؛ لا أُبالي أن أسمع غيرها»[(٣)].

٨٥٢ ـ وقال إبراهيمُ التيمي: «لقد أدركتُ ستينَ من أصحاب عبداللَّه ابن مسعود في مسجدنا هٰذا، وأصغرهم الحارث بن سويد، وهو يقرأ: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾، حتىٰ بلغ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾، ثم بكىٰ وقال: إن هٰذا الإحصاء شديد».

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٨٦٨)، و«الصغير» (٣٢)، والرامهرمزي في «الأمثال» (٤)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٥٢)، **وضعَّفه**، بينما **حسَّنه** الإمام الهيثمي في «المجمع» (٤/٧٤)، وكذا **حسَّنه** الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٩/٧٣).

(٢) **أشفىٰ**: اقترب. أي: إذا قاربَ المعصية.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٥/٥٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٣٠)، وابن الأثير في «أُسد الغابة» (٣/٢١)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/٣٩)، والحاكم (٣/٦١٣)، وابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» ص(٤٧٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٩٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٤١١)، **وسكت عليه** الحاكم والذهبي، **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٣٤/٢٠٠).

٨٥٣ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «لولا ثلاثُ خِلالٍ لأحببتُ ألَّا أبقىٰ في الدنيا، فقيل: وما هنَّ؟ قال: لولا وضوعُ وجهي للسجودِ لخالقي في اختلافِ الليل والنهار أقدِّمه لحياتي، وظمأُ الهواجر، ومقاعدةُ أقوامٌ ينتقون الكلام كما تُنتقىٰ الفاكهة[(١)]، وتمامُ التقوىٰ أن يتقيَ اللَّهَ العبدُ حتىٰ يتقيَه في مثقالِ ذرة، حتىٰ يتركَ بعضَ ما يرىٰ أنه حلال، خشيةَ أن يكون حرامًا، يكونُ حاجزًا بينه وبين الحرام، إن اللَّهَ تبارك وتعالى قد بيَّن للعباد الذي هو يصيِّرُهم إليه، قال اللَّهُ عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾، فلا تحقِرن [شيئًا] من الشر أن تتقيَه، ولا شيئًا من الخير أن تفعلَه».

٨٥٤ ـ وقال شريحٌ لرجل: «يا عبدَ اللَّه، دعْ ما يَريبُك إلىٰ ما لا يريبُك، فواللَّهِ لا تدعُ من ذٰلك شيئًا فتجدَ فقْدَه[(٢)]».

٨٥٥ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «لا يدعُ عبدٌ شيئًا تحرُّجًا فيجدَ فَقْدَه».

٨٥٦ ـ وعن أبي إسحاق قال: اتقوا اللَّهَ، واعمَلوا خيرًا؛ فإني سمعتُ عبداللَّه بن مَعقِل يقول: سمعتُ عديَّ بن حاتم رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يقول: «**اتقوا النار، ولو بشِقِّ تَمْرة**»[(٣)].

٨٥٧ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**اتقِ اللَّهَ حيثُما كنت، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تَمحُها**»[(٤)].

---

(١) أي: كلامهم كله نورٌ وبركةٌ وتذكيرٌ باللَّه تعالىٰ.

(٢) أي: لن تترك شيئًا ابتغاء وجه اللَّه تعالىٰ، فتشعر أنه تفتقده.

(٣) رواه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٥/١٥٣)، والدارمي (٢٧٩١)، والترمذي (١٩٨٧)، والحاكم (١/٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٣٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٨٠٢٦)، والبزار في «مسنده» (٤٠٢٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٥٢). وقال الإمام الترمذي: «**حسن صحيح**»، **وصححه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وكذا =

٨٥٨ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فقال: مَن أكرمُ الناس؟ فقال: «**أتقاهم**»[(١)].

٨٥٩ ـ وعن دُرَّةَ بنتِ أبي لهب ﵂ قالت: قلت: يا رسولَ اللَّه، من خير الناس؟ قال: «**أتقاهم للرب، وأوصلُهم للرحم، وآمَرُهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر**»[(٢)].

٨٦٠ ـ وعن ابن عباس ﵄: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ قالوا: يا رسولَ اللَّه، وما حقُّ تقاتِه؟ قال: «**أن يُذكَر فلا يُنسىٰ، ويطاعَ فلا يعصىٰ**»، قالوا: يا رسول اللَّه، ومَن يَقوَىٰ علىٰ هٰذا؟ فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦][(٣)].

٨٦١ ـ وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسولَ اللَّه ﷺ توضَّأَ علىٰ نهر، فلمَّا فَرَغ أفرغ فضلَه في النهر، وقال: «**يُبلِّغُه اللَّهُ قومًا ينفعُهم**»[(٤)].

= **صححه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٥/٢٨٤).

(١) رواه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٥).

(٢) **ضعيف**: رواه أحمد (٦/٤٣٢)، وابن أبي شيبة (٨/٥٣٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣١٦٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٤٤)، وابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٢/٣١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٥٠)، **وضعفه** الإمام المنذري في «الترغيب» (٣٤٩٦) ـ مصدرًا إياه بصيغة التمريض ـ، **وضعفه** ـ أيضًا ـ الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند» (٤٥/٤٢١)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٨٩٧)، وبخلاف هٰذا كله **حسنه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/٢١٥).

(٣) **ضعيف**: ولم أقف عليه عند غير المؤلف ﵀، ولا يثبت عن رسول اللَّه ﷺ، وقد ورد من كلام ابن مسعود ﷺ.

(٤) **ضعيف**: رواه الخطيب في «التاريخ» (٥/٥٧٢)، وابن حِبَّان في «المجروحين» (٣/١٤٧)، والطبراني في «الكبير» ـ كما في «المجمع» (١/٢٢٠) ـ، وفي «مسند الشاميين» (١٤٦٩)، **وضعَّفه** الشيخ بشار بن عواد في تحقيق «تاريخ بغداد»، =

٨٦٢ ـ وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق: «لا أذكرُ أني بتُّ ليلةً وفي بيتي ماء القناة؛ إنما نأخذُ من الحوض ما يكفينا، ثم نصُبُّ البقيةَ في الحوض».

٨٦٣ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**إني لأعرفُ آيةً لو أخذ الناسُ بها لكفَتْهم**: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]»[(١)].

٨٦٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «**ألَا إن أوليائي منكم المتَّقون، وإن كان نسبٌ أقربَ من نسب، ولا يأتِيَنَّ الناسُ بالأعمال يوم القيامة، وتأتون بالدنيا تَحمِلُونها علىٰ أعناقِكم، فتقولون: يا محمَّد! فأقول كذا، وأقول كذا**». وأعرض في عِطْفَيه[(٢)(٣)].

٨٦٥ ـ وعنه رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ يريد سفرًا إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول اللَّه، أوصني، فقال: «**أوصِيكَ بتقوىٰ اللَّه، والتكبيرِ علىٰ كلِّ**

= واشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (٣/٩٣).

(١) ضعيف: رواه أحمد (٥/١٧٨)، والدارمي (٢٧٢٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٣٩)، وابن ماجه (٤٢٢٠)، وابن حبان (٦٦٦٩)، والحاكم (٢/٤٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٩٥)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٣٣٠)، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، بينما **ضعَّفه** الإمام البوصيري في «الزوائد»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٣٥/٤٣٦)، والشيخ الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٣٧٢).

(٢) **العِطفان**: جانبا الجسد، والمقصود: أنه أعرض عنهم وقال: لا شأن لي بكم.

(٣) حسن: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢١٣)، وفي «الزهد» (٢٤٩)، وصحَّح الإمام الدَّارَقُطْني في «العلل» (٩/٢٩٢) **إرساله**، بينما **حسَّنه** الشيخ الألباني في «الأدب المفرد»، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ«جامع العلوم والحكم» (٢/٣٠٩).

شَرَف[١]»، فلما مضىٰ قال: «**اللهم ازْوِ له الأرض**[٢]**، وهوِّن عليه السفر**»[٣].

٨٦٦ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبي ﷺ، فقال له: أوصِني، فقال: «**اتقِ اللَّهَ؛ فإنه جِمَاعُ كلِّ خير**»[٤].

٨٦٧ ـ وكتبت عائشةُ إلىٰ معاوية ﷺ: «أوصيكَ بتقوىٰ اللَّه؛ فإنك إنِ اتقيت اللَّهَ كفاك الناس، وإن اتقيتَ الناس لن يُغنُوا عنك شيئًا، فعليك بتقوىٰ اللَّه ﷻ».

٨٦٨ ـ وعن الشعبيِّ قال: كتب معاويةُ بن أبي سفيان إلىٰ عائشة ﷺ: اكتبي إليَّ بشيء سمعتيه من رسولِ اللَّه ﷺ. فكتبتْ إليه: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**مَن يعملْ بغير طاعةِ اللَّه، يعودُ حامدُه من الناس ذامًّا**»[٥].

---

(١) **الشرف**: المرتفع.

(٢) أي: اجْمَعْها له، وقرِّب عليه سَفَرَه.

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٢/٣٢٥)، والترمذي (٣٤٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٢٦٦)، و«عمل اليوم والليلة» (٥٠٥)، وابن حبان (٢٦٩٢)، والحاكم (٢/٩٨)، وابن السني في «عمل اليوم» (٥٠١)، والبيهقي في «السنن» (٥/٢٥١)، وفي «الشعب» (٥٤٧)، **وحسَّنه** الترمذي، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦٢/١٤)، وكذا الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٠).

(٤) **صحيح**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٤٠)، وأحمد (٣/٨٢)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٤٣)، وابنُ الضُّرَيس في «فضائل القرآن» (٦٨)، وأبو يعلىٰ (١٠٠٠)، والطبراني في «الصغير» (٩٤٩)، والبيهقي في «الآداب» (١٠١٤)، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٥٥٥)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤٣)، بينما **ضعَّفه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٨/٢٩٧).

(٥) **حسن ـ إن شاء اللَّه ـ**: رواه الحُميدي (٢٦٨)، أبو داود في «الزهد» (٣٢٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٥٣)، والعُقيلي في «الضعفاء» (٣/٣٤٣)، والقضاعي =

٨٦٩ ـ وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**مَن أراد سخطَ اللَّهِ ورضاءَ الناس؛ عاد حامدُه من الناس ذامًّا**»[1].

٨٧٠ ـ وعنها رضي الله عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من آثَرَ مَحامِدَ اللَّهِ علىٰ مَحامِدِ الناس، كفاه مَؤُونةَ الناس**»[2].

٨٧١ ـ وعنها رضي الله عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَن أرضىٰ اللَّهَ بسَخَطِ الناس كفاه اللَّهُ الناس، ومَن أسخط اللَّهَ برِضاءِ الناس وَكَله اللَّهُ إليهم**»[3].

٨٧٢ ـ وعن توبةَ العنبريِّ قال: «أوفَدَني صالحُ بن عبدالرَّحمٰن إلىٰ سليمان بن عبدالملك، فخرجتُ من عند سليمان، فدخلتُ علىٰ عمرَ بن عبدِالعزيز، فقلتُ له: لك إلىٰ صالحٍ حاجةٌ؟ قال: قل له: عليك بالذي يبقىٰ لك عند اللَّه؛ فإنَّ ما بقيَ لك عند اللَّه بقيَ لك عند الناس، وما

= في «مسند الشهاب» (٤٩٨)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢٢١)، وابن بشران في «الأمالي» (٧٢١)، وأبو عبداللَّه الدقاق في «مجلس في رؤية اللَّه عز وجل» ص(٣١٢)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٨٣٣)، والباغندي في «أماليه» (٢٠)، **وضعَّفه** الأئمة: ابن عدي، والعقيلي، والبيهقي في المواضع السالفة، وجعله الشيخ شعيب الأرنؤوط شاهدًا للفظٍ آخر في تحقيق «الطحاوية» (٢/ ٤١٠)، بينما **قوَّىٰ** الشيخ الألباني رفعه في تحقيق «الصحيحة» (٥/ ٣٩٤).

(١) انظر السابق.

(٢) انظر السابق.

(٣) **صحيح**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٩٩)، والتِّرمذي (٢٤١٤)، وفي «العلل» (٦١٦)، وابن حِبَّان (٢٧٦، ٢٧٧)، وأبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٨٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٩٩)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٧٥)، واللالكائي في «شرح الاعتقاد» (٢٧٨٨)، ورجَّح الإمام التِّرمذي في «العلل» **وَقْفَه** علىٰ أمنا عائشة رضي الله عنها، بينما **صحَّحه** مرفوعًا الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٣١١)، **وحسَّنه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق سنن التِّرمذي» (٤/ ٤١٦).

لم يبقَ لك عند اللَّه لم يبقَ لك عند الناس».

٨٧٣ ـ وعن يزيدَ بن سلمة الجُعفيِّ رضي الله عنه: قال: قلت: يا رسول اللَّه، إني قد سمعتُ منك حديثًا كثيرًا، فأخافُ أن يُنسِيَني أوَّلَه آخِرُه، فحدِّثْني بكلمةٍ تكون جِماعًا، قال: «**اتقِ اللَّهَ فيما تَعلَمُ**[١]»[٢].

٨٧٤ ـ وكتب ابنُ الإفريقي إلىٰ سفيان الثوري: «أما بعد، فإني أوصيكَ بتقوىٰ اللَّه عز وجل، وشُغلِ عظيمِ الآخرة عن شُغلِ صغير الدنيا، والسلام».

٨٧٥ ـ وقال عليُّ بن المديني: «قال لي أحمدُ بن حنبل: إني لأحبُّ أن أصحبَك إلىٰ مكة، فما يمنعُني من ذٰلك إلا أني أخافُ أن أَمَلَّكَ أو تمَلَّني! قال عليٌّ: فلما ودعتُه قلت: يا أبا عبداللَّه، توصيني بشيء؟ قال: نعم، أَلزِمِ التقوىٰ قلبَك، وانصِبِ الآخرةَ أمامك».

٨٧٦ ـ وعن سَهلٍ التُّستَريِّ قال: «لا مُعينَ إلا اللَّه عز وجل، ولا دليلَ إلا رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم، ولا زادَ إلا التقوىٰ، ولا عملَ إلا الصبر عليها[٣]».

٨٧٧ ـ وقال أعرابيٌّ: «مَن أراد طول العافية فليتقِ اللَّه».

٨٧٨ ـ وقال أبو الحُسين الزِّنجاني: «مَن كان رأسُ ماله التقوىٰ؛ كلَّتِ الألسُنُ[٤] عن وصفِ رِبْحِه».

---

(١) أي: فيما علَّمك اللَّهُ تعالىٰ.

(٢) **ضعيف**: رواه التِّرمذي (٢٦٨٣)، وفي «العلل» (٦٣٢)، وعبد بن حُميد (٤٦٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/٢٤٢)، وهناد في «الزهد» (٢/٤٦٦)، وابن قانع في «معجمه» (٣/٢٢٤)، وأبو نُعيم في «المعرفة» (٦٥٩٨)، **وضعَّفه** الإمام التِّرمذي، والشيخ الألباني عنده، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه ـ أيضًا ـ (٤/٦١٨).

(٣) أي: علىٰ التقوىٰ، وفي المطبوع: «عليه»، ولعل الأصح ما أثبتُّه.

(٤) **كلَّت**: تعبت وعجزت.

٨٧٩ ـ وقال النَّهْرَجُوري: «الدنيا بحر، والآخرةُ ساحل[١]، والمَركبُ التقوىٰ، والناسُ سَفَر».

٨٨٠ ـ وقال سفيانُ: «قال لقمانُ لابنه: يا بني، إن الدنيا بحرٌ عميق؛ غَرِق فيها ناسٌ كثير، فلتكنْ سفينتُك فيها تقوىٰ اللَّه، وزيادتُها الإيمانَ باللَّه، ومَشرَعُها[٢] التوكلَ علىٰ اللَّه؛ لعلَّك تنجو؛ وما أُراك ناجيًا[٣]!».

وفي لفظٍ: «وحشوُها إيمانٌ باللَّه، وشِراعُها التوكلُ علىٰ اللَّه».

٨٨١ ـ وقال محمد بن عليٍّ الكتاني: «قُسِّمتِ الدنيا علىٰ البلوىٰ، وقُسِّمتِ الجنةُ علىٰ التقوىٰ».

٨٨٢ ـ وقال داودُ الطائي: «ما أخرج اللَّهُ عبدًا من ذلِّ المعاصي إلىٰ عزِّ التقوىٰ، إلا أغناه بلا مال، وأعزَّه بلا عشيرة، وآنَسَه بلا أنيس».

٨٨٣ ـ وقال أبو القاسم النَّصرآباذي: «التقوىٰ منالُ الحق؛ قال اللَّهُ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]».

٨٨٤ ـ وقال أبو محمد الجُريري: «مَن لم يُحكِمْ ـ فيما بينه وبين اللَّه ـ المراقبةَ والتقوىٰ؛ لا يصلُ إلىٰ الكَشْفِ والمشاهدة[٤]».

٨٨٥ ـ وقال الجُنيدُ بن محمد ـ في معنىٰ قوله ﷻ: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] ـ، قال: «إذا اتقىٰ اللَّهَ جعل له تبيانًا يَبينُ به الحقُّ

(١) الساحل: شاطئ النجاة.
(٢) المَشرع: الشراع الذي يوجِّه السفينة.
(٣) يقصد: فلابد أن تؤثِّر فيك الدنيا.
(٤) الكشف والمشاهدة نوعان: شرعي وبدعي، والكلام عليهما يطول، وليس هٰذا محلَّ استقصائِه، وقد أفاض فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فانظر جمع النصوص في هٰذا في الكتاب القيم: «موقف ابن تيمية من الصوفية»، للشيخ محمد بن عبدالرَّحمٰن العَريفي ـ حفظه اللَّه ـ.

والباطل، حتىٰ يفرِّقَ بين هٰذا وبين هٰذا، وهٰذا يجعلُه اللَّه له إذا اتقىٰ. قيل له: أفليس التقوىٰ فرقانًا؟ قال: بلىٰ، الأولُ هدايةٌ من اللَّه ﷻ، والثاني اكتسابٌ، فإذا اتقىٰ اللَّهَ اكتسب بتقواه معرفةَ التفرقةِ بين الأمر المشكِل وغيره؛ حتىٰ يتبيَّن هٰذا من هٰذا».

٨٨٦ ـ وقال أبو عثمانَ المغرِبي: «مَن أسَّس بنيانَه علىٰ التقوىٰ والعلم، جاءت أذكارُه وأفعالُه صافيةً، ودخل عليه الورعُ من حيث لا يشعر».

٨٨٧ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «التقوىٰ هي الوقوفُ مع الحدود، ولا يقصرُ فيها، ولا يتعداها؛ قال اللَّه ﷻ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]».

٨٨٨ ـ وقال أبو عليٍّ الحسنُ بن عليٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وقيل له: ما التقوىٰ؟ ـ، قال: «وَقفُهُ عن الحرام. قيل: ما الورع؟ قال: وقْفُهُ عند الشبهة».

٨٨٩ ـ وقال: «التقوىٰ ما حَجَزك عن المعاصي».

٨٩٠ ـ وسأله بعضُهم: «ما التقوىٰ؟ فقال: رقيبُ المولىٰ في قلوب أوليائه».

٨٩١ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «مَن اتقىٰ الكفرَ والنفاق؛ نال من اللَّه معرفةً يقال لها: (عِلم اليقين). ومن اتقىٰ الكبائر نال من اللَّه معرفةً يقال لها: (عين اليقين). ومَن اتقىٰ الصغائر نال من اللَّه معرفةً يقال لها: (حق اليقين)»[(١)].

٨٩٢ ـ وقال أحمدُ بن أبي الحَوَاري: «قيل: إن سفيان بن عيينة وقف علىٰ عبداللَّه بن مرزوق ـ وقد جَمَع بطحاءَ تحت رأسه، وتحت جنبه رملٌ يُسفي عليه التراب ـ، فقال له سفيان: يا أبا محمد، إنه من ترك شيئًا من الدنيا عوَّضه اللَّه عليه في الدنيا، فما الذي عوَّضَك مما تركت؟

(١) وحق اليقين أعلاها، والمقصود من اتقىٰ الكل: الكبائر والصغائر والكفر.

قال: الرضا بما أنا فيه الآن.

قال: ورأىٰ عبدَاللَّه بمكة، فقيل له: راكبًا جئتَ أم راجلًا؟ فقال: ما حقُّ العبد العاصي أن يرجعَ إلىٰ باب مولاه راكبًا، لو أمكنني جئتُ علىٰ رأسي».

٨٩٣ ـ وعن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: «ما ترك أحدٌ منكم للَّه شيئًا، إلا آتاه اللَّه بما هو خيرٌ له من حيث لا يحتسب، ولا تَهاوَنَ به وأخذه من حيث لا يَعلم به، إلا آتاهُ اللَّه بما هو أشدُّ عليه من حيثُ لا يحتسب».

٨٩٤ ـ وقال يونسُ بن عُبيد: «ليس شيءٌ أعزَّ من شيئين: درهمٌ طيب، ورجلٌ يعملُ علىٰ سُنة».

٨٩٥ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «إنما هما درهمان: درهمٌ أمسكتَ عنه حتىٰ طاب لك، ودرهمٌ وجب للَّه عليك حقٌّ فأدَّيتَه».

٨٩٦ ـ وقال الحسنُ البصري: «لو علمتُ موضعَ درهمٍ من حلالٍ لركبتُ إليه حتىٰ آخذَه، واشتريتُ به دقيقًا، فعجنتُه، ثم خبزتُه، ثم دقَقْتُه، فأنعمتُ دقَّه[(١)]، فإذا دخلتُ علىٰ مريضٍ سقيتُه حتىٰ يُشفىٰ»[(٢)].

٨٩٧ ـ وقال بشرُ بن الحارث: «ينبغي للرجل أن ينظرَ خُبزَه من أين هو؟ ومسكنَه الذي يُسكِنُه أهلَه من أي شيء هو؟ ثم يتكلم».

٨٩٨ ـ وعن سهلٍ التُّستَريِّ قال: «الحلال هو الذي لا يُعصىٰ اللَّه فيه، والصافي هو الذي لا يُنسىٰ اللَّهُ فيه».

٨٩٩ ـ وقال رَباحُ بن عُبيدة: «أُخرج مسكٌ من الخزائن، فوُضع بين يدي عمرَ بن عبدالعزيز، فأمسك أنفَه مخافةَ أن يجدَ ريحه، فقال له رجلٌ من أصحابه: يا أمير المؤمنين، ما ضرَّك إن وجدتَ ريحه؟ قال: وهل

---

(١) أي: جعلته دقيقًا ناعمًا، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) ويقصد أن أكل الحلال من أعظم أسباب شفاء المرض. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

يُنتفع من هٰذا إلا بريحِه؟!».

٩٠٠ - وعن محمدِ بن يوسفَ الجَوْهريِّ قال: «كنتُ أمشي مع بشرِ بن الحارث في يومٍ صائفٍ منصرفًا من الجمعة، فاجتَزْنا بسُورِ دار إسحاقَ ابنِ إبراهيم وله فَيْءٌ[١]، فجعلت أزاحمُ بِشرًا إلىٰ الفيء[٢]، وهو يمشي في الشمس، فقلت: واللَّهِ لأسألنَّه: إيشٌ الورع: أن يمشيَ إنسانٌ في الشمسِ فيُضِرَّ بنفسه؟ فقلت: يا أبا نُصير، أنا أضطرُّك إلىٰ الفيءِ، وأنت تمشي في الشمس؟ فقال مجيبًا لي: هٰذا فَيْءُ سُوء[٣]».

٩٠١ - وقال محفوظٌ الكَرْخي: «التقوىٰ في الحرام، ثم في الشبهات، ثم في الفُضول[٤]».

٩٠٢ - وقال أبو سليمان الداراني - في قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [الحجرات: ٣] -، قال: «أزال عنها الشهوات. ثم قال: لَأَنْ أتركَ لقمةً من عَشائي أحبُّ إليَّ من أن آكلَها، فأقومَ من أولِ الليل إلىٰ آخره».

٩٠٣ - وعن أبي حفصٍ قال: «التقوىٰ: الحلالُ المحضُ؛ لا غير»[٥].

٩٠٤ - وعن ابنِ عطاءٍ قال: «للتقوىٰ ظاهرٌ وباطن، فظاهره محافظةُ الحدود، وباطنُه النيةُ والإخلاص».

٩٠٥ - وقال الحسنُ بن عليٍّ: «التقوىٰ علىٰ التقوىٰ هو الصبرُ علىٰ التقوىٰ».

---

(١) **الفَيْء**: الظل.

(٢) أي: أدفعه حتىٰ يدخل تحت الظل.

(٣) يقصد لأنه ملكٌ للغير.

(٤) **الفضول**: المباحات التي لا يحتاجُها العبد.

(٥) أي: تحقيق التقوىٰ لا يكون إلَّا بأكل ما لا شبهة فيه أصلًا.

٩٠٦ ـ وقال: «التقوىٰ رقيبُ المتَّقي، والإيمانُ رقيبُ المؤمن، والعِلمُ رقيبُ العالِم، والإحسانُ رقيبُ المحسن».

٩٠٧ ـ وقال السَّريُّ: «قليلٌ في سُنة خيرٌ من كثيرٍ مع بدعة، كيف يَقلُّ عملٌ مع تقوىٰ؟».

٩٠٨ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «الأمور ثلاثةٌ: أمرٌ بان لك رُشدُه فاتَّبعْه، وأمرٌ بان لك غيُّه فاجتنِبْه، وأمرٌ أُشكل عليك فقِف عنه، وكِلْه إلىٰ اللَّه تعالىٰ، وليكنِ اللَّهُ دليلَك، واجعل فقرَك إليه؛ تستغنِ به عمن سواه».

٩٠٩ ـ وقال عمرُ بن عبدِالعزيز: «التقيُّ مُلجَم»[(١)].

٩١٠ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «المؤمنُ وقَّافٌ؛ يمضي عند الخير، ويقفُ عند الشر».

٩١١ ـ وقال الفضيلُ: «ليس لأحدٍ أن يفعل ما شاء؛ لأن اللَّه ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وليس له أن ينظرَ إلىٰ من يشاء؛ لأن اللَّه ﷻ يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، وليس له أن يقولَ ما لا يعلم، أو يسمعَ إلىٰ ما شاء، أو يَهوَىٰ ما شاء؛ لأن اللَّه ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، ولا تفعل، تقول: ولا تقل»[(٢)].

٩١٢ ـ وقال المُزيِّن: «لا يصلُ العبدُ إلىٰ العلم إلا بالطلب، ولا يتصلُ بالتُّقىٰ إلا بالعلم، ولا يتصل بالزهد إلا بالورع، ولا يتصلُ بالصبر إلا بالزهد، ولا يتصلُ بالشكر إلا بالصبر، ولا يتصلُ بالرضاء إلا بالشكر،

---

(١) **ملجم**: مقيَّد، لا يفعل ولا يقول كل ما يحلو له.

(٢) كذا، ولم أتبينها.

ولا يتصلُ باللَّه إلا بالرضاء، والرضاءُ سرورُ القلب بمُرِّ القضاء[١]، والشكرُ انكسارُ القلب برؤيةِ المِنَّة[٢]، والصبرُ حبسُ النفس عن المكروه، والزهدُ تركُ ما فيها علىٰ من فيها، والورعُ شدةُ الهرب من الشبهات مخافةَ الوقوع في الحرام، وجِماعُ التقوىٰ شدةُ الوجل علىٰ دوام الأحوال في المحمودِ والمذموم[٣]، والعلمُ رؤيةُ ما يَرىٰ الأشياءَ به[٤]، والطلبُ حرصٌ منقطعٌ عما سواه[٥]».

٩١٣ ـ وقال يحيىٰ بن مَعين:

المـالُ يَـذهَـبُ حِلُّـهُ وحـرامُـهُ	يـومًـا وتبقـىٰ في غـدٍ آثـامُـهُ
لـيـس التـقـيُّ بمـتَّـقٍ لإلٰـهـهِ	حتـىٰ يَطـيـبَ شـرابُـه وطعامُـهُ
ويَطـيبَ ما يَحـوِي ويَكـسِبُ كفُّه	ويكـونَ في حُسنِ الحديثِ كلامُهُ
نطـق النبـيُّ لـنـا بـه عـن ربِّـهِ	فعلـىٰ النبـيِّ صـلاتُـهُ وسـلامُـهُ

٩١٤ ـ وقال السَّريُّ: «النجاةُ في ثلاثٍ: في طيبِ الغذاء، وكمالِ التقىٰ، وطريقِ الهدىٰ».

٩١٥ ـ وقال يوسفُ بن أسباط: «إذا تعبَّدَ الشابُّ يقول إبليسُ: انظروا مِن أين مطعمُه؟ فإن كان مطعمُه مَطعمَ سَوءٍ قال: دعوهُ لا تشتغلوا به،

---

(١) سرور القلب صعب عسير، ولم يكن هٰذا حال نبينا ﷺ، وهاهو لما مات ابنه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ صرح تصريحًا بقوله: «**يحزن القلب**»، وإنما المطلوب من العبد: الرضا وعدم التسخط. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٢) أي: رؤية كرم الرب جَلَّ جَلَالُهُ وإنعامه، مع شدة تقصير العبد.

(٣) أي: في حال الرخاء وفي حال الشدة.

(٤) أي: رؤية الأشياء علىٰ حقيقتها التي دل عليها العلم؛ فإن العلم الحق يدلُّ علىٰ الحقائق دون لَبسٍ أو غبش.

(٥) لم أفهمها جيدًا، فمن كان عنده زيادةٌ علم فليفدني مشكورًا.

دعوه يجتهد ويَنصَب؛ فقد كفاكم نصيبَه»[(١)].

٩١٦ ـ وقال سهلٌ التُّستري: «مَن نظر في مَطعمِه دخل عليه الزهدُ من غير دعوىٰ[(٢)]، ولا يَشُمُّ طريقَ الصدقِ عبدٌ داهَنَ نفسه أو داهَنَ غيره».

٩١٧ ـ وقال سفيانُ الثوري: «انظر درهَمَك من أين هو؟ وصَلِّ في الصف الأخير[(٣)]».

٩١٨ ـ ونظر حذيفةُ المَرْعشي إلىٰ الناس يتبادَرون[(٤)] إلىٰ الصف الأول، فقال: «ينبغي أن يتبادَروا إلىٰ أكل خبزِ الحلال، ولا يتبادَروا إلىٰ الصف الأول».

٩١٩ ـ وقال يونُس بن عُبيد: «إنه لَيشتدُّ عليَّ أن أُصيبَ الدرهمَ الواحدَ من حلال».

قال المسعودي: «هٰذا يونُس بنُ عبيد؛ فكيف نحن؟!»[(٥)].

٩٢٠ ـ وقال الفضيلُ: «دانقٌ[(٦)] حلال أفضلُ من عبادةِ سبعين سنةً».

٩٢١ ـ وقال: «تخسيرُ الميزان سوادُ الوجه غدًا في القيامة».

---

(١) وكان بعض السلف يقول: «من أكل الحرام عصىٰ اللَّهَ ـ شاء أم أبىٰ ـ».

(٢) أي: صار زاهدًا حقًّا؛ دون أن يدعي أنه من الزاهدين.

(٣) لم يقصد سفيانُ رَحِمَهُ اللَّهُ أن العبد يفضَّلُ له التأخرُ عن الصفوف الأولىٰ؛ فهٰذا لا يقوله عاقل ـ فضلًا عن علمٍ كبيرٍ مثله ـ؛ وإنما قصد أنك إذا اجتهدتَ في معرفةِ ما يدخلُ جوفك، فلا عليك أن تُصلِّي في الصف الأول أو الأخير، لأن من الخلق مَن تراه يحرِصُ حرصًا كبيرًا علىٰ الصلاة في الصف الأول، ثم تراه مخلِّطًا في مكاسبه ـ بل قد يأكل الحرام الصريح ـ، فأنَّىٰ يُتقبَّلُ لذٰلك! وهٰذا ـ أيضًا ـ معنىٰ ما بعده. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٤) **يتبادَرون**: يتسابقون.

(٥) فماذا يقول لو رآنا ورأىٰ بلايانا.

(٦) **الدانق**: سُدس الدرهم.

٩٢٢ ـ وقال سهلُ بن عبداللَّه: «أصولُنا خمسةُ أشياء: التمسُّكُ بكتاب اللَّه، والاقتداءُ بسُنةِ رسولِ اللَّه ﷺ، وأكلُ الحلال، واجتنابُ الآثام، وأداءُ الحقوق».

٩٢٣ ـ وشيَّع[1] الرَّبيعُ بن خُثيم صاحبًا له، فقال له صاحبُه عند الوداع: «أوصِني، فقال له الربيع: أوصيكَ أن تعملَ صالحًا، وتأكل طيبًا».

٩٢٤ ـ قال سليمانُ بن حرب: «ومَن كان أزهدَ من الأسود بن شيبان! حجَّ علىٰ ناقةٍ له، فشرب من لبنها، وركِب ظهرها حتىٰ رجع! لم يأكل في خروجِه غير لبنها، وكان في دارٍ ليست له[2]، وكان فيها بيتٌ غيرُ مسطَّح».

٩٢٥ ـ وعن جعفر بن محمد الخواص: «أن الجُنيدَ بن محمد كان يكره الأكل من السواد[3]، وأن يملِكَ فيها أحدٌ، وكان يشدِّدُ في ذٰلك، ولا يأكلُ من بقل السواد، ولا من ثمرِه، ولا من شيء يعلم أنه منه ـ ما أمكنه ـ، فرأيتُ رجلًا يومًا وقد أهدىٰ له خُرنوبًا وقِثَّاءً برِّيًّا[4] ـ حَمَله له من أرض الجزيرة ـ، فقبِله منه، ورأيته قد سُرَّ به، وكان يشدِّدُ في الورع»[5].

٩٢٦ ـ وقال السَّريُّ: «يعجبُني طريق حسينٍ الفَلَّاس؛ كان لا يأكل إلا القمام[6]».

---

(١) **شيَّع**: ودَّع.

(٢) يقصد أنها دارٌ مستأجرةٌ وليست مِلكًا له، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٣) **السواد**: الريف، واللَّهُ أعلم.

(٤) **الخرنوب**: الخرُّوب. **القثاء**: الخيار الكبير.

(٥) لا أدري ـ إن صح الأثر ـ وجهَ كراهة الجُنيد للأكل من الأرياف! ولعله شكَّ في بعض ما يأتي منها أنه قد دخلته شبهةٌ ونحو ذٰلك. ولٰكن هٰذا ليس قاصرًا علىٰ ما يأتي من الأرياف فحسب. ولعله قصد أريافًا معينة. واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

(٦) **القمام**: طعام المزابل! وليس هٰذا بهدي النبي ﷺ ولا صحابته الأبرار ﵃. =

٩٢٧ ـ وقال: «كنتُ بطَرَسوس، وكان معي في الدار فِتيانٌ متعبِّدون، وكان في الدار تنوُّرٌ[(١)] يخبِزُون فيه، فانكسَر التنُّور، فعملتُ بآلةٍ من مالي، فتورَّعوا أن يخبِزوا فيه»[(٢)].

٩٢٨ ـ وقال عليُّ بن عثَّام: «أقام بشرُ بن الحارث بعبَّادان عشرَ سنينَ يشربُ من ماءِ البحر، ولا يشربُ من حياض السلاطين حتىٰ أضرَّ بجوفه، فرجع إلىٰ أخته، وأخذه وجعٌ لا يقومُ به إلا أختُه، وهو يتَّخِذُ المغازلَ فيبيعُها؛ فذاك كسبه».

٩٢٩ ـ وقال وُهيبُ بن الورد لابن المبارك: «غلامُك يتَّجرُ ببغداد! قال: لا تبايعْهم. قال: أليس هو ثمةَ؟ فقال ابن المبارك: فكيف يصنع بمصر وهي أحواز[(٣)]؟ قال: فواللَّهِ لا أذوقُ من طعام مصر أبدًا. قال: فلم يذُقْ منه حتىٰ مات، كان يتعلَّلُ بتمرٍ ونحوه»[(٤)].

٩٣٠ ـ وقال السَّريُّ ـ وذكر أبا يوسف الغَسُولي ـ: «كان أبو يوسف يلزم الثغرَ ويغزو، فكان إذا غزا مع الناس ودخلوا بلادَ الروم أكل أصحابُه من ذبائح الروم ومن فواكههم، وكان أبو يوسف لا يأكُلُ، فيقال له: يا أبا يوسف، تشكُّ أنه حلال؟ فيقول: لا؛ هو حلال، فيقال له: كلْ من الحلال! فيقول: إنما الزهدُ في الحلال[(٥)]».

= فاللَّهُ أعلم بحال هٰذا العبد الصالح.

(١) **التنُّور**: الفُرن.

(٢) إن كان المقصود ألَّا يخبزوا دون إذنه، فلها وجهٌ ما. وإن كان المراد التورع عن الخبز مع وجود الإذن، فلا أدري ما وجهُه الشرعي؟!

(٣) **الأحواز**: النواحي والجهات.

(٤) لم أفهم المراد جيدًا من هٰذا الأثر. فمن كان عنده إفادة فليوافني مشكورًا.

(٥) هٰذا العبد الصالح تكلم عن حاله هو. وخيرُ الهدي هدي محمد ﷺ، فقد أباح لأصحابه الأكل من طعام الكفار. وراجع كتاب «الآنية» من مراجع الفقه.

٩٣١ ـ وقال أبو عبداللَّه بن الجَلَّاء: «أعرفُ مَن أقام بمكة ثلاثين سنةً لم يشرَبْ من ماء زمزم، إلا ما استقاه برَكوته ورِشاهُ[١]، ولم يتناوَلْ من طعامٍ جُلب من مصر شيئًا»[٢].

٩٣٢ ـ وقال السريُّ بن المغلِّس: «جُعتُ مرةً في بعض المفاوز، فإذا في طريقنا قَفرٌ فيه ماءٌ، وحَولَه عُشبٌ من حشيش، فنزلتُ، فقعدتُ واسترحت، ثم قلت: يا سريُّ، إن كنتَ يومًا أكلتَ أكلةً حلالًا، وشربت شربةً حلالًا؛ فاليوم. فهاتفني هاتفٌ ـ سمعت صوته، ولم أرَ الشخص ـ يقول لي: يا سريُّ بنَ مغلس؛ فالنفقةُ التي بلَّغتك إلىٰ هنا من أين[٣]؟ فقصَّر إليَّ نفسي[٤]».

٩٣٣ ـ وقال ابنُ سيرين: «كان يقال: المسلمُ المسلمُ عند الدرهم[٥]».

٩٣٤ ـ وعن هشامٍ: «أن ابن سيرينَ اشترىٰ بيعًا من متُّوثيٍّ[٦]، وأشرف فيه علىٰ ربحِ ثمانينَ ألفا، فعرض في قلبه منه شيء، فتركه، وواللَّهِ ما هو بربًا».

٩٣٥ ـ وعن عمرانَ بن حُصين رضي الله عنه قال: أخذ النبي ﷺ عمامتي من ورائي، فقال: «**يا عمران، إن اللَّهَ عز وجل يُحبُّ الإنفاق، ويُبغِضُ الإقتار**[٧]، **فأنفِقْ وأطعِم ولا تقتِّرْ، فيعسُرُ عليك الطلب، واعلم أن اللَّهَ عز وجل يُحبُّ البصرَ النافذَ عند مَجيءِ الشبهات، والعقلَ الكاملَ عند نزول الشهوات،**

---

(١) **الرَّكْوة**: الإناء. **الرِّشاء**: الحبل.
(٢) هٰذا ـ أيضًا ـ لا أدري ما وجهُه؟!
(٣) راجع ما سلف عن الشبهات تحت الأثر (٢٧).
(٤) أي: أشعرني بالتقصير.
(٥) أي: الذي يظهر ورعه وتقواه عند التعامل بالأموال.
(٦) **متُّوثي**: نسبة إلىٰ بلدة «متوثة»، وهي مدينةٌ بالعراق.
(٧) **الإقتار**: البخل.

ويُحبُّ السماحةَ[(١)] ولو علىٰ تَمَرات، ويُحبُّ الشجاعةَ ولو علىٰ قتل حيةٍ»[(٢)].

٩٣٦ - وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: «تدْرُون ما أكثرُ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ؟»، قالوا: اللَّهُ ورسوله أعلم، قال: «أكثرُ ما يُدخِلُ الناسَ النار الأجوفانِ: الفرجُ والفَمُ. تدرُون ما أكثرُ ما يُدخِلُ الناسَ الجنةَ؟»، قالوا: اللَّهُ ورسوله أعلم، قال: «فإن أكثرَ ما يُدخِلُ الناسَ الجنة تقوىٰ اللَّه وحُسنُ الخلق»[(٣)].

٩٣٧ - وعن معاذِ بن جبل ﵁ قال: أخذ بيدي رسولُ اللَّه ﷺ، فمشىٰ ميلًا، ثم قال: «يا معاذ، أوصيكَ بتقوىٰ اللَّه، وصِدقِ الحديث، ووفاءِ العهد، وأداءِ الأمانة، وتركِ الخيانة، ورحمةِ اليتيم، وحفظِ الجوار، وكظمِ الغيظ، ولِينِ الكلام، وبذلِ السلام، ولزومِ الإمام، والتفقُّهِ في القرآن، وحبِّ الآخرة، والجزعِ من الحساب، وقِصَرِ الأمل، وحُسنِ العمل. وأنهاك أن تشتمَ مسلمًا، أو تُصدِّقَ كاذبًا، أو تكذِّبَ صادقًا، أو تعصيَ إمامًا عادلًا، وأن تفسدَ في الأرض. يا معاذ، اذكرِ اللَّهَ عند كلِّ شجرٍ وحجر، وأحدِثْ لكل ذنبٍ توبةً،

(١) **السماحة**: الصدقة والإحسان.

(٢) **ضعيف**: رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٦/١٩٩)، وفي «الأربعين» (٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٨٠)، وابن جُميع في «معجم شيوخه» (١/٨٨)، وأشار الإمام البيهقي - في إثره - إلىٰ تفرد عمر بن حفص به - وهو من الضعفاء -، وبسببه **ضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/١٨١)، وكذا فعل الشيخ مشهور حسن في تحقيق «إعلام الموقعين» (٢/٢٥٥).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/٤٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٩)، والترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وابن حبان (٤٧٦)، والحاكم (٤/٣٢٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٩٨). وقال الترمذي: «**حسن صحيح غريب**»، **وصحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، **وصحَّحه** الشيخ الألباني في السنن، وكذا الشيخ شعيب الأرنؤوط ثَمَّ.

السرُّ بالسرِّ، والعلانيةُ بالعلانية[(١)]».

٩٣٨ ـ وفي رواية عن محمد بن جبير قال: بعث رسول اللَّه ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن، فلما حضر رحيلُه أتاه النبيُّ ﷺ يسلِّمُ عليه، فقال: يا رسول اللَّه، إني منطلقٌ فعظني، فقال: «**يا معاذ، اتق اللَّهَ ما استطعت، واعمل بقوَّتك للَّهِ ﷻ ما أطقت، واذكر اللَّهَ ﷻ عند كل شَجَر وحَجَر، وإن أحدثتَ ذنبًا، فأحدِثْ عنده توبةً؛ إنْ سرًّا فسرًّا، وإن علانيةً فعلانيةً**»[(٢)].

٩٣٩ ـ وعن أنسٍ بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قرأ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المدثر]، قال: «**يقول ربكم: إني أهلٌ أن أُتَّقىٰ أن يُجعل معي إلٰهًا آخرَ، فمن اتقىٰ أن يَجعل معي إلٰهًا آخرَ؛ هو أهلٌ أن أَغفر له**»[(٣)].

٩٤٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**أوليائي منكم**[(٤)]

---

(١) أي: إذا أذنبتَ سرًّا فتب سرًّا، وإذا أحدثته علانيةً فتب علانيةً.

(٢) **ضعيف**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/٢٤٠)، وابن حبان في «الثقات» (٢/١٠٩)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٥٤)، والخطيب في «التاريخ» (٩/٤٣٥)، وابن عساكر في «التاريخ» (١٨/١٩٤)، **وسكت عليه** الحافظ العراقي في التعليق علىٰ «الإحياء» (٣/١٢٥)، **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «ضعيف الترغيب» (١٨٤١)، وحكم **بوضعه** الشيخ بشار بن عواد في «تاريخ بغداد»

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد (٣/١٤٢)، والتِّرمذي (٣٣٢٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٦٦)، وابن ماجه (٤٢٩٩)، وأبو يعلىٰ (٣٣١٧)، والدارمي (٢٧٦٦)، والحاكم (٢/٥٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٦٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٥١٥)، وابن عدي في «الكامل» (٣/١٢٨٨)، وأشار إلىٰ **علَّته** الإمام البيهقي عقب تخريجه، وكذا **استغربه** الإمام التِّرمذي، **وضعَّفه** الشيخ الألباني، والشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (١٩/٤٣١).

(٤) **الأولياء**: الأحباب.

المتقون، وإن كان نسبٌ أقربَ من نسب[(١)]»[(٢)].

٩٤١ ـ وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: ما قام رسولُ اللَّه ﷺ علىٰ المنبر قطُّ إلا سمعتُه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١][(٣)].

٩٤٢ ـ وقيل: «مكتوبٌ في التوراة: ابتغِهِ تَجِدْه، واتقِهِ تُوْقَهْ، واشرَبْ تشبَعْ. مَن لا يشاور يندَمْ، والفقرُ الموتُ الأحمر[(٤)]».

٩٤٣ ـ وقال قتادةُ: «مكتوبٌ في التوراة: يا ابن آدم، اتقِ اللَّه، ثم نَمْ حيث شئت، فإنك إنِ اتقيتَ اللَّه كانت معك من اللَّه صحبةٌ وحافظٌ من كل شيء، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل]».

٩٤٤ ـ وقال رجلٌ لأبي هريرة رضي الله عنه: «ما التقوىٰ؟ قال: أخذتَ طريقًا ذا شوكٍ؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيتُ الشوكَ عَدَلْتُ عنه[(٥)]، أو جاوزتُه، أو قصَّرتُ عنه[(٦)]! قال: ذاك التقوىٰ».

٩٤٥ ـ وقال عمرُ بن عبدالعزيز: «ليس تقوىٰ اللَّهِ بصيام النهار، ولا بقيامِ الليل، والتخليطِ فيما بين ذٰلك، ولٰكنَّ تقوىٰ اللَّهِ تركُ ما حرَّم اللَّه، وأداءُ ما افترض اللَّه، فمن رُزق بعد ذٰلك خيرًا فهو خيرٌ إلىٰ خير».

٩٤٦ ـ وقال عاصمٌ الأحول: «وقعت الفتنةُ، فقال طلقُ بن حبيب: اتقوا الفتنة بالتقوىٰ. فقال بكرُ بن عبداللَّه: أجْمِلِ لنا التقوىٰ في يسير، فقال:

---

(١) أي: وإن كان بعض أقاربي أقرب لي نسبًا، إلَّا أنَّ أحبكم إليَّ المتقون.
(٢) **ضعيف**: وقد تقدم.
(٣) **ضعيف**: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «التقوىٰ»، كما في «الدر المنثور» (٦/٦٦٧)، وقال الإمام ابن كثير في «تفسيره» (٦/٤٧٦): «**غريب جدًّا**».
(٤) يُضرب به المثل في العذاب الشديد.
(٥) **عدلت**: ابتعدت.
(٦) أي: لم أقرب منه أصلًا.

التقوىٰ العملُ بطاعة اللَّه، علىٰ نورٍ من اللَّه، رجاءَ رحمةِ اللَّه، والتقوىٰ تركُ معاصي اللَّه، علىٰ نورٍ من اللَّه، مخافةَ عذاب اللَّه».

٩٤٧ ـ وقال ابنُ المبارك: «قال داودُ لابنه سليمان عليهما السلام: يا بني، إنما يُستدلُّ علىٰ تقوىٰ الرجل بثلاثةِ أشياء، بحُسن توكُّلِه علىٰ اللَّه فيما نابه، وبحُسن رضائه فيما آتاه، وبحُسن صبره فيما ينتظرُه».

٩٤٨ ـ وقال ذو النون: «ثلاثةٌ من أعلام اليقين: النظرُ إلىٰ اللَّه[(١)] في كل شيء، والرجوعُ إليه في كل شيء[(٢)]، والاستعانةُ به في كل حال»[(٣)].

٩٤٩ ـ وقال السَّريُّ لبعض جلسائه: «لا تُلزِمْ نفسَك طولَ الفكرةِ فيما يورِّثُ قلبَك ضعفَ الإيمان، فإنَّ ضعفَ الإيمان أصلُ كلِّ إثمٍ وهَمٍّ وغَم، ولٰكنِ اشغَلْ قلبَك بكلِّ ما يورِّثُ اليقين، فإن اليقينَ يورِّثُ كل طاعة، ويباعدُ من كل غمٍّ وهَمٍّ، ويؤمِّنُك من كل خوف، ويقرِّبُك من كل رَوحٍ وفرح[(٤)]».

٩٥٠ ـ ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أُوتي عبدٌ خيرًا له من اليقين**»[(٥)].

---

(١) أي: مراقبتُه تعالىٰ.

(٢) أي: فلا تخطو خطوةً إلا بأمره.

(٣) فتلك الأعلام: المراقبة، والإنابة، والتوكل.

(٤) أي: الراحة والسعادة.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (١/٣، ٨)، والطيالسي (٥)، والحميدي (٧)، وابن أبي شيبة (٨ / ٥٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٤)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٦٥١)، وابن ماجه (٣٨٤٩)، وأبو يعلىٰ (١٢١)، والبغوي في «الجعديات» (١٧٧٧)، وابن حبان (٩٥٢)، والحاكم (١/٥٢٩)، والبزار (٧٤)؛ من حديث أبي بكر رضي الله عنه، **وصححه** الحاكم، **وأقره** الذهبي، **وصححه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تحقيق المسند» (١/١٨٤)، والشيخ الألباني عند ابن ماجه.

٩٥١ ـ وقال السريُّ: «تدرون ما اليقين؟ هو سكونُ القلب عند العمل بما صَدَّق به القلب، فالقلبُ مطمئنٌّ ليس فيه تخويفٌ من الشيطان، ولا يؤثِّر فيه تخوُّفٌ، فالقلبُ ساكنٌ آمنٌ؛ ليس يخاف من الدنيا قليلًا ولا كثيرًا؛ فإذا همَّ القلبُ ببابٍ من الخير لم يخطُر بقلبه قاطعٌ يمنعه ولا يُضعِفُه عمَّا نوىٰ من الخير، سَكَن قلبَ الموقن ورَسَخ فيه حتىٰ صار كأنه طُبع عليه وجُبل عليه جَبْلًا، وإنك لا تصلُ إلىٰ نفعٍ إلا باللَّه، ولا يكونُ إلا ما شاء اللَّه. واعلم أن الخَلقَ لا يملِكون لأنفسهم شيئًا، ولا يَقدِرون عليه إلا باللَّه؛ ليسكنَ قلبُ الموقنُ إلىٰ اللَّه ﷻ دون خلقِه، فلا يرجو غيرَ اللَّه، ولا يخافُ غيره، وزال عن قلبه جميعُ الخلقِ من أن يرجوَ منهم أحدًا أو يخافَه، أو يتكلَ عليه أو علىٰ مالِه أو علىٰ بدنِه أو علىٰ احتياله، فلما عَرَف ذٰلك عزَّ وقوِيَ واستغنىٰ باللَّه في كل شيءٍ دون ما سواه».

٩٥٢ ـ وعن سويدِ بن الحارث رضي الله عنه قال: وفدتُ علىٰ النبي ﷺ سابعَ سبعةٍ من رُفقائي، فلما دخلنا عليه وكلَّمناه أعجَبَه مِن سَمْتِنا وزِيِّنا، فقال: «**ما أنتم؟**»، قلنا: مؤمنون، فتبسَّم رسولُ اللَّه ﷺ، وقال: «**لكلِّ قولٍ حقيقةٌ، فما حقيقةُ قولِكم وإيمانِكم؟**»، قلنا: خمسَ عشرةَ خصلةً، خمسٌ منها أَمَرَتْنا رُسُلُك أن نؤمنَ بها، وخمسٌ أمرَتْنا رسلُك أن نعملَ بها، وخمسٌ منها تخلَّقْنا بها في الجاهلية، ونحن علىٰ ذٰلك؛ إلا أن تكره منها شيئًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما الخمسُ الخصالُ التي أمرتْكم رُسلي أن تؤمِنوا بها؟**»، قلنا: أمرتنا رسُلُك أن نؤمنَ باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعثِ بعد الموت قال: «**فما الخَمسُ التي أمرَكم رسلي أن تَعمَلوا بهنَّ؟**» قلنا: أمرتنا رُسُلُك أن نشهدَ ألَّا إلٰهَ إلا اللَّه، وأن محمدًا رسولُ اللَّه، وأن نقيمَ الصلاة، ونؤتِيَ الزكاة، ونصومَ رمضان، ونحُجَّ البيت؛ فنحن علىٰ ذٰلك. قال: «**وما الخمسُ الخصالُ التي تَخلَّقْتُم بها في**

الجاهلية؟» قلنا: الشكرُ عند الرخاء، والصبرُ عند البلاء، والصدقُ عند اللقاء، ومناجزةُ الأعداء[(١)] ـ وفي روايةٍ: وتركُ الشماتةِ بالمصيبة إذا حلَّت بالأعداء ـ، والرضا بالقضاء، فتبسَّم رسول اللَّه ﷺ وقال: «**أدباءُ فقهاءُ عقلاءُ حُلماء؛ كادوا أن يكونوا أنبياءَ؛ مِن خصالٍ ما أشرفَها وأَزْيَنَها وأعظمَ ثوابها!**». ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «**أوصيكم بخمسِ خصالٍ لتكمُلَ عشرون خصلةً**»، قلنا: أوصِنا ـ يا رسول اللَّه ـ، قال: «**إن كنتم كما تقولون فلا تَجمَعوا ما لا تأكلون، ولا تبنُوا ما لا تسْكُنون، ولا تَنافسوا في شيءٍ غدًا عنه تزولون، وارغبوا فيما عليه تَقدَمون وفيه تَخلُدون، واتقوا اللَّهَ الذي إليه تُرجعون، وعليه تُعرَضون**».

فانصرف القومُ من عند رسولِ اللَّه ﷺ وقد حفِظوا وصيَّته وعمِلوا بها. ولا ـ واللَّهِ ـ يا أبا سليمان[(٢)]، ما بقي من أولٰئك النفر، ولا من أبنائهم غيري، ثم قال: اللهم اقبضني إليك غير مبدِّلٍ ولا مغيِّر.

قال أبو سليمان: فماتَ ـ واللَّهِ ـ بعد أيامٍ قلائل[(٣)].

٩٥٣ ـ وسُئل الجُنيد عن أولِ مقامِ التوحيد، فقال: قولُ رسول اللَّه

---

(١) **المناجزة**: المحاربة والصمود.

(٢) القائل هو علقمة بن يزيد بن سويد ـ راوي الخبر عن أبيه ـ، وأبو سليمان هو: الداراني.

(٣) **ضعيف**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/٢٩٢)، وابن عساكر (٤١/٢٠١)، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية» (٧/٣٧٠) ـ في قدوم وفد الأزْد علىٰ رسول اللَّه ﷺ ـ، وابنُ الأثير في «أُسد الغابة» (ترجمة سويد بن الحارث الأزدي رضي الله عنه). وقد **استنكره** الإمام الذهبي في «الميزان» ـ كما في «إتحاف السادة المتقين» (١/٣٦٩) ـ، وكذا حكم عليه **بالنَّكارة** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٢٦١٤)، وفي تعليقه علىٰ كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠١).

ﷺ: «كأنك تراه»[(١)].

٩٥٤ ـ وعن الحارثِ بن مالك رضي الله عنه قال: أتيتُ نبيَّ اللَّه ﷺ ـ وقد أخذ رداءه، فكبَّبه[(٢)] فوضعه تحتَ رأسه ـ، فسلَّمتُ عليه، فقال لي: «**كيف أنت ـ يا حارث ـ؟**»، فقلت: رجلٌ من المؤمنين، فقال: «**انظرْ ماذا تقول؟**»؛ قلت: نعم؛ رجلٌ من المسلمين حقًّا، فاستوىٰ نبيُّ اللَّه ﷺ جالسًا، ثم قال: «**إن لكل شيءٍ حقيقةً، فما حقيقةُ ذٰلك؟**»، قلت: عزَفت نفسي عن الدنيا، وأسهرتُ ليلي، وأخمصتُ نهاري[(٣)]، فكأني أنظرُ إلىٰ عرش ربي، وكأني أرىٰ أهلَ الجنةِ يتزاوَرون فيها، وكأني أسمعُ عُواءَ أهل النار فيها، فقال: «**عرفتَ فالزَمْ؛ عبدٌ نوَّر اللَّهُ قلبَه بالإيمان**»[(٤)].

٩٥٥ ـ وعن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: تلا نبيُّ اللَّه ﷺ هٰذه الآية: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، فقلنا: يا رسول اللَّه، كيف انشراحُ صدره؟ قال: «**إذا دخل النورُ القلبَ انشَرَح وانفسح**»، فقلنا: فما علامة ذٰلك ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**الإنابةُ إلىٰ دار الخلود، والتجافي[(٥)] عن دارِ الغرور، والتأهُّبُ للموت قبلَ نزولِ**

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كبَّبه: طواه وجَمَعه.

(٣) أخْمَصتُ: فرَّغت، والمقصود الصيام.

(٤) **ضعيف**: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/١٧٠)، وفي «الإيمان» (١١٥)، وعبد بن حُميد (٤٤٥)، وأبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (٢٠٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٣/٢٦٦)، وابن عساكر في «التاريخ» (٥٤/١٨٠)، والبيهقي في «الشُّعَب» (١٠١٠٧)، و**ضعَّفه** الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/١٠٣)، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/٢٢٠): «فيه ابن لهيعة، وفيه من يُحتاج إلىٰ الكشف عنه»، و**ضعَّفه** محقق «الشُّعب» (١٣/١٥٩)، وكذا الشيخ حسين الداراني في تحقيق «المجمع» (١/٣٢٩).

(٥) **التجافي**: الابتعاد.

الموت»[(١)].

٩٥٦ ـ وعن سهلِ بن عبداللَّه قال: «اجعلوا طعامَكم الشَّعير، وإدامَكم الجُوع، وحلاوتَكم التمر، ومالِحَكُم المِلح، ولباسَكم الصوف، وبيوتَكم المساجد، ودِفاءَكم ـ أو قال: رُواقكم[(٢)] ـ الشمس، وسِراجَكم القمر[(٣)]، وطِيبَكم الماء، ودِينَكم الحَذَر، وعِلمَكم الارتضاء[(٤)]، وزادكم التقوىٰ، وأكلَكم بالليل، ونومَكم بالنهار[(٥)]، وكلامَكم الذِّكْر، وهِمَّتَكم الفكرةَ

---

(١) **ضعيف**: رواه الطبري (٢٧/٨)، والحاكم (٣٤٦/٤)، وابن أبي شيبة (٧٧/٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣٥٢/٧)، و«القضاء والقدر» (٣٨٩)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٣١)، **وضعَّفه** الحافظ العراقي في «التخريج الكبير للإحياء» ـ كما في «الإتحاف» (٧٠٢/١) ـ، وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند الآية (١٢٥) من سورة «الأنعام» ـ بعد إيراد عدَّة طرق ـ: «فهٰذه طرقٌ لهٰذا الحديث مرسلةٌ ومتصلةٌ، **يشدُّ بعضُها بعضًا**، واللَّهُ أعلم»، **وأقرَّه** الشيخان شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط في تحقيق «زاد المعاد» (٢٣/٢). وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٠٣/٢): «رُوي من طرقٍ **كلُّها وهم**، والصواب: عن عمرو بن مرَّة، عن أبي جعفر ـ عبداللَّه بن المِسْور ـ **مرسلًا**، عن النبي ﷺ. كذٰلك قاله الثوري. وابنُ المسور متروك». وقال الحافظ الذهبي في التعليق علىٰ «مستدرك الحاكم»: «**عديُّ بن الفضل ساقط**». **وضعَّفه** الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٣٨٣/٢).

تنبيه: أورد أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٨٠/٧) عن سفيان بن عيينة قال: «سمعت أبا خالد يقول: تُحضَرُ الحكمةُ بثلاثٍ: الإنصات، والاستماع، والوعي؛ وتُلقَّحُ الحكمةُ بثلاثِ خصال: الإنابةِ إلىٰ دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعدادُ للموت قبل نزول الموت».

(٢) **الرواق**: الخيمة.

(٣) **السِّراج**: المصباح.

(٤) **الارتضاء**: الرضا بما أعطاكم اللَّه تعالىٰ، واللَّهُ أعلم.

(٥) إذ فرَّغوا الليل للقيام.

والعِبْرة، ومَلجأكم وسَندكم وناصرَكم المولىٰ، ولباسَكم الحياء، ومالَكم الثقة، واجعلوا ضميرَكم[(١)] علىٰ هٰذا إلىٰ الممات. ولا يتمُّ هٰذا للعبد حتىٰ يشاهِدَ اللَّهَ بقلبه، فيعاين الغيب، وينكشفَ له اليقين[(٢)]، فتهونَ عليه الأمورُ الشدائد، وبمكاشفةِ اليقين مشَوا علىٰ الماء وفي الهواء، ومن لم يُعطَ هٰذا فليس في شيء».

٩٥٧ ـ وعن وُهيبٍ المكِّيِّ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لو عرفتمُ اللَّهَ حقَّ معرفتِه، لَعَلِمتمُ العلمَ الذي ليس معه جهل، ولو عرفتُمُ اللَّهَ حقَّ معرفتِه لزالت الجبالُ[(٣)] بدعائكم، وما أُوتي أحدٌ من اليقين شيئًا إلا ما لم يؤتَ منه أكثرُ ممَّا أُوتي[(٤)]**». قال معاذُ بن جبل: ولا أنت ـ يا رسول اللَّه ـ؟ قال: «**ولا أنا**»، فقال معاذٌ: بلغنا أن عيسىٰ ابن مريم عليه السلام كان يمشي علىٰ الماء! فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**لو زاد يقينًا لمشىٰ علىٰ الهواء**»[(٥)].

٩٥٨ ـ وقال بكر بن عبداللَّه المُزَني: «فَقَد الحواريُّون نبيَّهم عيسىٰ عليه السلام، فقيل لهم: توجَّهَ نحو البحر، فانطلَقوا يطلبونه، فلما انتهَوا إلىٰ البحر إذا هو قد أقبل يمشي علىٰ الماء ـ يرفعه الموجُ مرةً ويضعُه أخرىٰ ـ، وعليه كساءٌ مرتديًا بنصفه ومتَّزِرًا بنصفه، حتىٰ انتهىٰ إليهم، فقال له بعضهم ـ وكان من أفاضلهم ـ: ألا أجيءُ إليك ـ يا نبي اللَّه ـ؟ فوضع إحدىٰ رجليه في الماء، ثم ذهب ليضعَ الأخرىٰ، فقال: أوَّهْ،

---

(١) **ضميركم**: قلبكم.
(٢) أي: كأنه يرىٰ الآخرة ـ نعيمها وعذابَها ـ بعينيه.
(٣) أي: من أماكنها ـ إذا أردتم ـ.
(٤) يقصد أن اليقين كبير كبير، وليس عندكم منه إلَّا القليل.
(٥) **منكر**: رواه أبو نُعيم في «الحلية» (٨/١٥٦)، وضعَّفه الإمام البيهقي ـ هنا ـ بعد تخريجه، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/٩٧): «**منكر**».

غَرِقتُ ـ يا نبي اللَّه ـ، قال: أدْنِ يدَك ـ يا قصيرَ الإيمان ـ، لو أن لابن آدم من اليقين قدْرَ شعيرةٍ مشىٰ على الماء»[(١)].

٩٥٩ ـ وقال الحسن في قوله ﷻ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾ [المطففين]: «إن القومَ ـ اللَّهِ ـ لو ظنوا ذٰلك لقاربوا العدلَ»[(٢)].

٩٦٠ ـ وقال أحمدُ بن عاصم الأنطاكي: «يسيرُ اليقين يُخرِجُ كلَّ الشك من القلب، ويسيرُ الشك يخرجُ اليقينَ كلَّه من القلب».

٩٦١ ـ وقال ذو النون: «ثلاثةٌ من أعلام اليقين: قلةُ المخالفة للناس في العِشرة[(٣)]، وتركُ المدح لهم في العطيَّة[(٤)]، والتنزُّهُ عن ذمِّهم في المنع والرزيَّة[(٥)]. وثلاثةٌ من أعلام يقين اليقين: النظرُ إلىٰ اللَّه في كل شيء، والرجوعُ إليه في كل أمر، والاستعانةُ به في كل حال».

٩٦٢ ـ وقال ـ أيضًا ـ: «إذا صحَّ اليقينُ في القلب صحَّ الخوفُ فيه. فقيل له: فما بالُ الموقنين يذنبون؟ قال: ليعرِّفَهم اللَّهُ تفضُّلَه عليهم وإحسانه إليهم عند إساءتِهم إلىٰ أنفسهم؛ ليجدِّدَ عندهم النِّعم[(٦)]،

---

(١) إسرائيليات لا يحتج بها. وفي معناه نكارةٌ وسماجة.

(٢) يقصد أنهم لا يظنون بعثًا أصلًا، وإنما هم علىٰ يقين ـ أو شبه يقين ـ بأنهم لن يبعثوا.

(٣) أي: أن توافقهم في معاشرتك لهم، لٰكن بشرط: ألا تكون الموافقة في معاصي الرب ﷻ.

(٤) أي: إذا أعطوك! وهٰذا فيه نظر؛ إذ قد ثبت الحديث: «**من لا يشكر الناس لا يشكر اللَّهَ**»، وهو **حديثٌ صحيح**.

(٥) أي: لا تذمهم إذا منعوك شيئًا، أو أصابوك بمكروه. وليس هٰذا علىٰ إطلاقه.

(٦) في المطبوع: النعيم. وعلىٰ ما أثبتُّه فالمراد: أن يتوبوا توبةً نصوحا ليزيدهم اللَّهُ تعالىٰ من فضله وإنعامه، واللَّهُ تعالىٰ أعلم.

ويستقبِلوا بالشكر ليُرفعوا إلىٰ أعلىٰ درجاتهم.

ثم قال: تحقيقُ اليقين في القلب يحقِّقُه صحةُ العقل، وثباتُ نور اليقين بحقيقةِ الفعل، فبالعقل أداءُ الفرائض، واجتنابُ المحارم والفكرُ في أمر اللَّه ﷻ، والحزنُ الدائم في القلب، واليقينُ جَعَله اللَّه في القلب ليبغيَ به مشاهدتَه الآخرةَ وما فيها».

٩٦٣ ـ وعن ابن عباس ﭭ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**ليس الخبرُ كالمعاينة؛ إن اللَّهَ خبَّر موسىٰ بما صنع قومُه في العِجل، فلم يُلقِ الألواح؛ فلمَّا عايَنَ ما صَنعوا ألقىٰ الألواح**»[1].

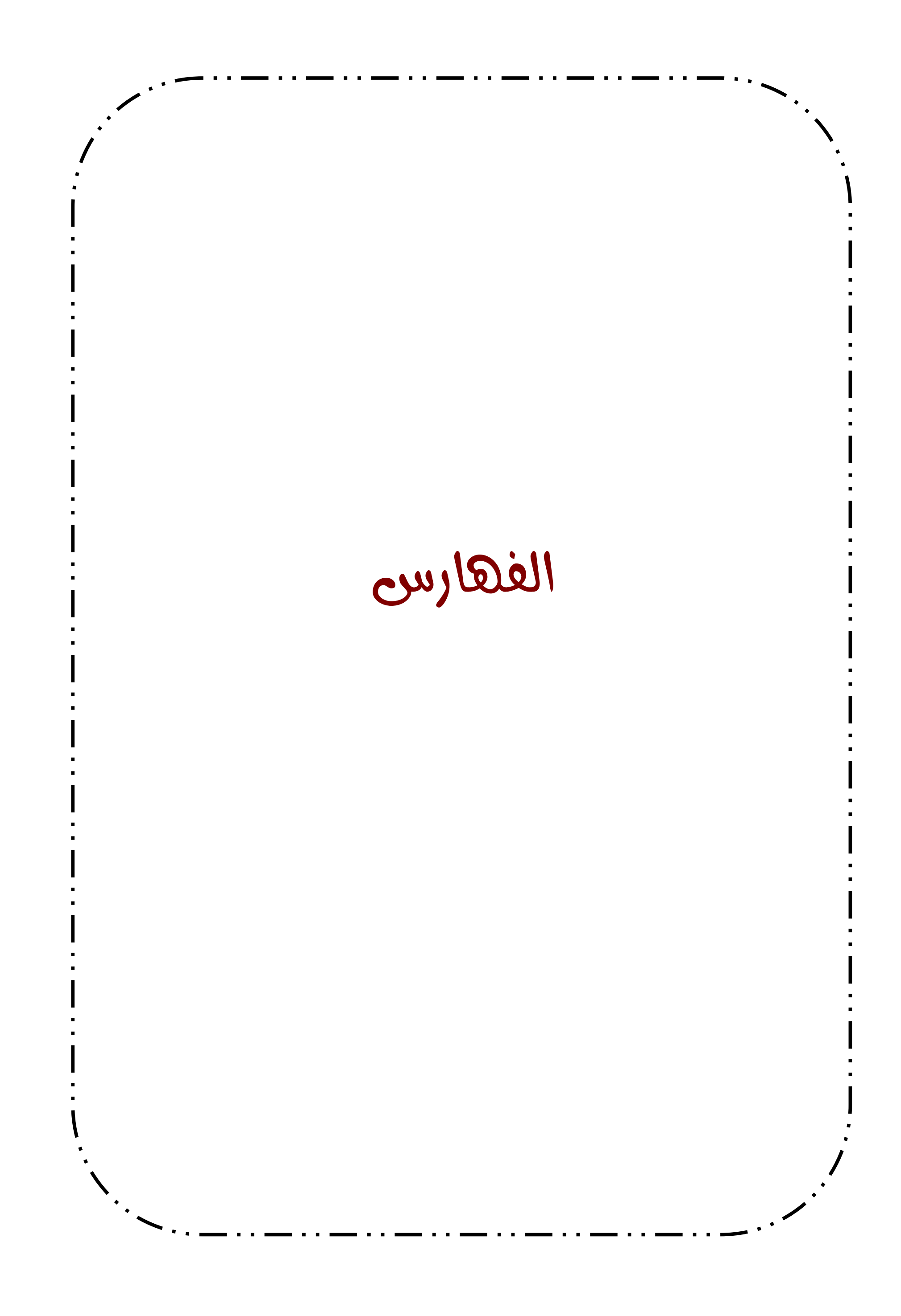


آخر الكتاب، والحمد للَّهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحات

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/٢٧١)، وعبداللَّه بن أحمد في «السنة» (١١١٤)، وابن حبان (٦٢١٣)، والحاكم (٢/٣٢١)، وابن عدي في «الكامل» (٧/٢٥٩٦)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (٥)، والخطيب في «تاريخه» (٦/٥٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥)، وبعضهم رواه مختصرًا علىٰ الجملة الأولىٰ: «**ليس الخبر كالمعاينة**». والحديث **صحَّحه** الحاكم، **ووافقه** الذهبي، وقال الإمام الهيثمي في «المجمع» (١/٣٨٣): «**رجاله رجال الصحيح، وصححه ابن حبان**». **وصحَّحه** الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٤/٢٦٠)، والشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٧١)، والشيخ الداراني في تحقيق «المجمع» (٢/١٧٠).

واللَّهُ تعالىٰ أعلىٰ وأعلم، والحمد للَّهِ رب العالمين، وصلىٰ اللَّهُ وسلم وبارك علىٰ حبيبنا وقدوتنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.



الفهارس

[١] فهرس الأحاديث النبوية



[٢] فهرسُ المحتويات

